شعـراء

من الإسكندرية

دكتور
فوزى خضر

٢٠٠٦

الناشـــر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية



إلى أستاذي . . .

الشاعر الكبير . . .

الأستاذ الدكتور / فوزي سعد عيسى

عرفاناً بفضله . . .

وتقديراً لعطائه . . .



رؤيـــة

بـــدأ شـــعر الإسكندرية مع نشأتها . فقد شاء قدر هذه المدينة أن تكـــون مديـــنة حضـــارية كبرى بمجرد ظهورها إلى الوجود، فقد أراد الإســـكندر الأكبر أن تكون عاصمة إمبراطوريته حيث أسسها عام ٣٣١ ق.م. فلما خلفه بطليموس الأول سوتر (٣٢٣-٢٨٥) ق.م. أراد أن تكون الإسكندرية مركزاً للعلوم والآداب والفنون يفوق أثينا، فاستقدم ديمتريوس الفالـــيرى الـــذى وضع القوانين واقترح إنشاء مكتبة الإسكندرية وإنشاء أكاديمـــية كبرى للعلوم والفنون، وأكمل هذه المشروعات بطليموس الثانى فـــيلادلف (٢٨٥-٢٤٧) ق.م. الـــذى أكمل أيضاً بناء منارة الإسكندرية بجزيـــرة فاروس، وأعاد حفر الخليج القديم بين النيل والبحر الأحمر مما أنعـــش الاقتصاد المصرى، واستقدم العلماء والأدباء وصارت الإسكندرية مركـــزاً لإشـــعاع الحضـــارة الهيلينستية التى تمزج بين حضارة الشرق وحضـــارة اليونان، وسمى العصر الذى بدأ مع بطليموس الأول بالعصر الســـكندرى، وتوافد إلى الإسكندرية كل من راوده الأمل فى تحقيق المجد من العلماء والأدباء إذ كانت الحكومة تقدم لهم الرعاية الكاملة.

شعر الإسكندرية فى العصر القديم (اليونانى)

يمثل **كليماخوس** مدرسة الإسكندرية الشعرية، فهو المؤسس الحقيقى لهـــا، ولد فى برقة (بليبيا) ووفد إلى الإسكندرية فى عهد بطليموس الثانى فـــيلادلف فاشـــتهر بهـــا، وكان كليماخوس باحثاً، وضع فهارس لمكتبة الإســـكندريةـ مع بعض تلاميذه ـ تقع فى ١٢٠ مجلداً، وذكر أن لفائف البردى التى تشتمل الواحدة منها على أكثر من كتاب بلغ عددها ٤٠٠ ألف

لفافــة، والــتى تشتمل الواحدة منها على كتاب واحد بلغ عددها ٩٠ ألفاً. وتوجــد فــى مكتــبة الإســكندريةـ الحالــية ـ شرفة سميت (شرفة كلــيماخوس) تقديراً لدوره. وهذه الشرفة على شكل مثلث يطل على قاعة الاطلاع الكبرى بالمكتبة. كوّن كليماخوس جماعة شعرية أسماها بلياد أو الحمام، وانطلق بشكل الملحمة وحجمها، ودعا إلى القصيدة القصيرة جداً، على أن تكون موجزة ومبتكرة ومركزة مع الاهتمام بأناقة العبارة وجمال الموسيقا والاهتمام بالتجربة الذاتية. وقد عاش كليماخوس سبعين عاماً من ٣١٠-٢٤٠ ق.م.

اســتقطبت الإســكندرية عدداً كبيراً من الشعراء، يأتى فى مقدمتهم **ثيوكريتوس** وهو أول من كتب القصائد الرعوية، وصور حياة المزارعين واحــتفى بالطبيعة، وكذلك **أراتوس** الذى نظم القصائد العلمية فى الفلك، وأيضــاً **هيروندداس** الذى أشتهر بقصائد فكاهية يستلهم فيها الحياة الشعبية اليومــية، وظهــر **لــيكوفرون** الــذى كتب فى ذلك العهد صوراً شعرية ســيريالية، ونذكر أيضاً **أرسطو فانيس البيزنطى** الذى أهتم بالنقد بجانب كونـــه شاعراً، و **فيليتاس** شاعر المراثى، و **موسخوس** الشاعر الفكاهى الــذى صــور فى شعره أصحاب الحرف من صيادين وباعة ومهرجين، و**مــاخون** الذى أشتهر بالمسرحيات الشعرية الفكاهية، وكان **أبولونيوس** هو الشاعر الوحيد الذى ولد بالإسكندرية من بين هؤلاء الشعراء جميعهم، وبالــرغم مــن أنه كان من مؤسسى جماعة الحمام التى تدعو إلى كتابة القصائد القصار إلا أنه كتب ملحمة كبيرة خالف بها اتجاه الجماعة وهى ملحمـــه (رحلة السفينة أرجو) وقد أدى ذلك إلى اشتعال المعارك الأدبية آنذاك.

يتضـــح مـــن هذا العرض الموجز السريع أن شعر الإسكندرية فى أزهـــى عصوره أمتاز بالتنوع الذى حققه لـــه الثراء الفنى، وكان معظم

هــؤلاء الشعراء باحثين، منهم من وضع فهارس المكتبة مثل كليماخوس ومنهم من كان أميناً عاماً لها مثل أبولونيوس، وامتاز الشعر بالتجديد فى الــرؤية والبناء والأغراض، مع وجوده فى منظومة تجمع أطرافه تمثلت فـــى جماعـــة الحمام ذات الفلسفة الواضحة فى ملامح التجديد التى دعت إليها.

فى العصر الرومانى

ينـــتهى العصـــر الهيلينســـتى بموت كليوباترا السابعة، ليبدأ العصر الـــرومانى بسقوط الإسكندرية فى يد الرومان فى أول أغسطس عام ٣٠ ق.م. واحـــتلالهم مصـــر. وتظهـــر المســـيحية فى هذا العصر، وتشهد الإســـكندريةأحداثاً جساماً فى الصراع بين المسيحيين والوثنيين منها سبع ســـنوات (٣٠٣ ــ ٣١١م.) ســـميت بعصر الشهداء، قتلت خلالها أعداد غفـــيرة مـــن المســـيحين، منهم مشهورون أمثال مارمينا العجائبى وأبى قـــير(الأنـــبا كير) والقديسة كاترين وغيرهم. كما شهد العصر الرومانى ظهـــور علماء عظام فى الإسكندرية أمثال جالينوس الطبيب وبطليموس الفلكـــى، وظهـــور فلاســـفة بارزيـــن أمثال فيلون وأكليمندس وأفلوطين وأثناسيوس وهيباتيا ابنة ثيون وغيرهم.

واللافـــت للنظر أنه لا يقابلنا فى المصادر اسم شاعر كبير ظهر فى الإســـكندرية خـــلال العصر الرومانى الذى امتد إلى فتح مصر. على يد عمرو بن العاص عام ٦٤٢م. فأين كان الشعر خلال الأحداث الجسام التى شـــهدتها المديـــنة؟ هـــل أحـــرق الوثنيون شعر المسيحيين..ثم لما تمكن المسيحيون أحرقوا بدورهم شعر الوثنيين فضاع هذا وذاك؟؟..

المسلمـون

يظل السؤال حائراً، ويزيد الأمر غموضاً حين نجد أربعة قرون بعد الفتح الإسلامى لا يظهر خلالها شاعر فى الإسكندرية يمكن أن يشار إليه، فأيـــن كان شعر هذه المدينة عبر فترة امتدت إلى أكثر من ألف عام؟ إنها دعـــوة لكلية الآداب فى جامعة الإسكندرية بضرورة إفراد بحث أكاديمى لتغطية هذه الفترة التى أسقطها التاريخ الأدبى، ولم يلتفت الباحثون إليها.

القرون الوسطى

يعلو صوت الشعر فى الإسكندرية بعد ذلك فى أواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، فيظهر عدد من الشعراء البارزين،يأتى فـــى مقدمـــتهم أبـــو الطاهـــر إســـماعيل بـــن محمد الملقب بابن مكنسة الإسكندرانى (ت: ٥١٠هـ/١١١٦م.) وهو من شعراء العصر الفاطمى، حـــاول ابتكار المعانى وصياغة القديم بألفاظ سهلة، كتب الشعر الفكاهى، وكتب فى المديح والهجاء والغزل، لكن ديوانه أحرقه الأيوبيون من ضمن ما أحرقوه من أعمال الفاطميين.

ويأتي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بشعراء أعلام مثل أبى الصلت أمية بن أبى الصلت الذى وفد من الأندلس عام ٥١٠هـ. ويبرز اسم ظافر الحداد (٤٨٠هـ ــ ٥٢٨م .) الذي كتب قصائد رائعة فـــى الحنيـــن إلـــى الإسكندرية بعد ارتحاله إلى القاهرة، ويتجلى الإبداع الشـــعرى فـــى قصـــائد أبى الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف الذى اشتهر باسم ابن قلاقس (٥٣٢هـ/٥٦٧ هـ ــ ١١٢٧م/١١٧١م.) وتنقل بيـــن صقلية شمالاً واليمن جنوباً، أما القاضى الرشيد بن الزبير الأسوانى المولود فى أوائل القرن السادس الهجرى فكان محافظ الإسكندرية (رئيس

دواوينها) وعاش فيها فترة، وكان من أقوى الشعراء، كما عاش بها أيضاً إمام المادحين شرف الدين البوصيرى (ت: ١٢٩٥م.) الذى اشتمل ديوانه على أكبر عدد من المطولات فى المديح البنوى وكان تلميذاً لأبى العباس المرسى.

نلاحـــظ أن شـــعراء كباراً ظهروا متفرقين ما بين القرنين ١١، ١٣ الميلاديين، ثم يخفت صوت الشعر فى الإسكندرية مرة أخرى. من القرن ١٤م إلى القرن ١٨م. وهو أمر يثير تساؤلاً جديداً: هل اختفى الشعر من الـــثغر؟ أم أن الباحثين لم يبذلوا من الجهد. ما يكفى لرصد الشعراء عبر تلك القرون؟؟

فى العصر الحديث

اســـتعادت الإسكندرية جزءاً من مكانها الحضارية فى القرن ١٩م. حيـــن صارت ميناءً تجارياً ضخماً، وصارت محطة للركاب منها يرتحل المســـافرون وإلـــيها يفد القادمون من أنحاء العالم، فاحتك أهلها بأصحاب الحضارات الأخرى، واستقر بها كثير من الجاليات الأجنبية. لذلك لم يكن بمستغرب أن تنشأ بها الصحف والسينما وتتألق الفنون المختلفة.

وقـــد ظهـــر بعض الشعراء فى الإسكندرية فى أواخر القرن ١٩م. ولكـــن الشـــعر الإسكندرى اتخذ مكانه على خريطة الأدب العربى حين أنشـــئت (جماعـــة شـــعراء الشلالات) على يد عثمان حلمى عام ١٩١٢ وضـــمت معه كلاً من عبد اللطيف النشار وزكريا جزارين وعبد الحميد السنوســـى ومحمد مفيد الشوباشى وحسن فهمى وعبد الحكيم الجهنى. ثم عـــاد عبد الرحمن شكرى من بعثة فى إنجلترا ليعمل بمدرسة رأس التين الـــثانوية فصـــار رائـــداً للجماعة بما حمله من أفكار فى تطوير القصيدة

العربـــية. واهتمـــت هـــذه الجماعة بسلاسة الشعر والابتعاد عن التعقيد اللفظـــى، واهتمـــت بالتعبـــير عـــــن التجارب الذاتية، وطرق شعراؤها موضوعات مبتكرة، وعبروا عن البيئة الساحلية، فكونوا بذلك اتجاهاً فنياً جديداً للشعر فى الإسكندرية.

واجـــتمع أكـــثر من ثلاثين أديباً عام ١٩٣٢ ليكونوا (جماعة نشر الـــثقافة فى الإسكندرية) وكان هدفها النهوض بالمدينة ثقافياً، والعمل على جمع شمل الأدباء ونشر إنتاجهم ورعاية مصالحهم، وقد دعا إليها الدكتور مصطفى فهمى ويوسف الجزايرلى، وتكون مجلس إدارتها الأول من خليل شـــيبوب وعـــبد اللطيف النشار ومصطفى فهمى وداوود حلمى، وتكونت لجـــان للتألـــيف والـــترجمة والنشر والمحاضرات والمهرجانات والفنون الجمـــيلة. وقد ضمنت الجماعة أصحاب الثقافة العربية الأصيلة وضمت أيضاً من انفتحوا على الثقافات الأجنبية، فحدث تمازج أتاح لجماعة نشر الـــثقافة أن تحقق ازدهاراً ــ بالفعل ــ فى الفنون والآداب بالإسكندرية ، والـــتحق بعضـــويتها كل من د. حسين فوزى وعبد العزيز برهام وعبد الفـــتاح الطويـــل ونبوية موسى وإسماعيل صدقى وحسن سرور وحكمت فهمـــى... وغـــيرهم. وأضـــاءت أسماء شعراء الإسكندرية الذين قدمتهم جماعة نشر الثقافة عبر عشرين عاماً أمثال خليل شيبوب وصديق شيبوب وفلـــيكس فـــارس، وعثمان حلمى، ونقولا فياض، وعبد الحكيم الجهنى، وعبد اللطيف النشار، وعبد الحميد السنوسى، وحسن فهمى، وفخرى أبو السعود، وأحمد راسم، وزكى غازى، وعبد المنصف محمود..وغيرهم.

وانـــزوى نشـــاط الجماعة مع افتتاح جامعة فاروق الأول (جامعة الإســـكندرية) التى صارت مركزاً للإشعاع الثقافى وملجأ فكرياً للأدباء، لكـــن دورهـــا كـــان مرحلياً، فبعد سنوات قليلة انكفأ معظم أساتذتها على دراسات نظرية بعيدة عن التيارات الأدبية التى تموج بها الساحة، وحدث

انفصـــال بيـــن الأدباء والجامعة، ولم يعد الاتصال إلا مؤخراً من خلال دراســـات بعض الأساتذة أمثال الدكاترة محمد زكى العشماوى ومصطفى هـــدارة وعـــبـــده الراجحى ومحمد زكريا عنانى وفوزى عيسى والسعيد الورقى وعبد الله سرور وأحمد صبرة ومحمد أبو شوارب.

ظهـــرت بدائـــل للجامعة ــ حين انفصلت عن الأدباء ــ تمثلت فى تجمعـــات أدبية فى أوائل الستينيات ومنتصفها منها هيئة الفنون والآداب والعلـــوم الاجتماعية، وجمعية أصدقاء الشيوخ وذوى المعاشات، وجمعية أدبـــاء الشعب، وجماعة أدباء الرصيف ــ التى أنشأها محسن الخياط - وجماعـــة الأدب العربى، والنادى النوبى، وجريدة السفير، ومقهى النيل.. وغـــيرها، ثم صار النشاط فعالاً من خلال قصور الثقافة، حيث انتعشت الفـــنون فى قصر الأنفوشى تحت قيادة الفنان **فاروق حسنى** بينما انتعشت الآداب فـــى قصر الحرية على يد **محمد غنيم**، كما قام الاتحاد الاشتراكى بدور فعال فى الآداب بالمدينة، وكذلك المركز الثقافى السوفييتى، وجمعية الشـــبان المسلمين، وفى أوائل السبعينيات أنضم لأتيليه إلى دائرة النشاط الأدبـــى، لكـــنه صـــار أكثر نشاطاً وفاعلية هذه الأيام على يد **د. محمد رفيـــق خليل**.

لم يقتصر شعر الإسكندرية على أبنائها، وإنما امتد أيضاً، إلى شعراء عاشوا فيها فترة من حياتهم، وأبدعوا كثيراً من أعمالهم فى رحابها أمثال عـــبد الرحمن شكرى، وأحمد زكى أبى شادى، وإيليا أبى ماضى، ومحمد الجـــيار، ومحســـن الخـــياط، وأمل دنقل، وسيد حجاب.. وغيرهم. ومن الأوربييـــن أو نجاريتى الإيطالى، وقسطنطين كفافيس اليونانى الذى نشأ وعـــاش وتوفى بالإسكندرية، كذلك ظهر من شعراء الإسكندربة من كتب شعره كله بالفرنسية مثل رمضان بيومى ، ومن كتب بالإنجليزية مثل د. نادية بشاي .

في النصف الثاني
من القرن العشرين

ســمحت المعاصرة برصد الشعراء الذين ظهروا في الثغر بدءاً من الخمســينيات حتى الآن وعددهم كبير، لذلك سوف، نكتفي بذكر أبرزهم، خاصة أن منهم من حقق انتشاراً واسعاً في عصره مثل محمود عبد الحي صـــاحب نشــيد (أقسمت باسمك يابلادي فاشهدي) الذي تغنت به مصر كلهـا فــي الخمســينيات وأحمد السمرة الذي غنى لــه عباس البليدي، ود. يوســف عز الدين عيسى الذي تغنى بكلماته عبد الحليم حافظ وفتحية أحمــد وسعاد محمد وغيرهم وعبد العليم القباني الذي علقت قصيدته (لا لــن أعــود) علــى جدران البيوت في بورسعيد أثناء العدوان الثلاثي، وقررت على طلاب المدارس..، وقد كان رائدهم في اقتحام مجال الأغنية محمــود بــيرم التونســي، ونذكر من هذا الرعيل الأول -غير من سبق ذكــرهم ــ محمود العتريس، وصالح المصري، ومنيرة توفيق، ود. عمر الجــارم، وإدوار حــنا سعد، زالكمشوشي، والسيد عقل، وأبا فراج، وأبا رواش، وكــامل حسني، ومحمد السنوسي، وشريف أباظة، وسالم حقي، ومحمــد بــرهام، ومحمد عبد الرحيم إدريس، وحسن شهاب ، ود. عمر الجارم ، وجليلة رضا ، وحكمت شبّارة .

وظهــر فــي الستينيات: عبد المنعم الأنصاري، ومحجوب موسى، ومحمــد محمــود زيــتون، ومصطفى الشندويلي، ومحمد رخا، ومحمد مكيوي، وفؤاد قاعود.

ثــم فلوري عبد الملك، ومهدي بندق، ود. علي الباز، وفؤاد طمان، وعزيــزة كــاطو، ووصفي صادق، وعصمت شوقي، وأحمد عبد العظيم الشــيخ، وسعيد نافع، ومحمد المصري، وصبري أبو علم، وعبد الصبور

منــير، ومحمود نحلة، ود. محمد رفيق خليل، وأحمد البليهى، وعبد الحق الحلوجى، وعبد العظيم ناجى، ود. فوزى أمين.

ظهر مع بداية السبعينيات فهمى إبراهيم، وكاتب هذه السطور، وهدى عبد الغنى، وعبد المنعم سالم، وفاطمة أمين جابر، ومحمد الرفاعى، وعبد القـــادر رمضـــان، وتاج الدين محمد تاج الدين، وإبراهيم كليب، وحسين العياط، وعلى محمدى على، ومحمد الصديق شحاته، ونجوى السيد، وعبد الحميد محمود، وسامح درويش.

ثـــم لحـــق بهم عبد الرحمن عبد المولى، وأحمد فراج، وناجى عبد اللطيف، ومرسى توفيق، وأحمد فضل شبلول، وهدى مراد، وعبد المنعم كـــامل، ومحمـــود عبد الصمد زكريا، وأحمد شاهين، ومحمد عبد الفتاح الشـــاذلى، وحسام الدين شوقى، وأحمد مبارك ــ بعد عودته من السفر ــ وجابر بسيونى، وأحمد النقيب، وحسين حماد، ومحمد إدريس.

وانضـــم فـــى الثمانينيات إلى ركب شعراء الإسكندرية كل من: د. حورية البدرى، رأفت رشوان ، كاميليا عبد الفتاح، إيمان يوسف، ناصر فرغلى، علاء عبد الرحمن، حميدة عبد الله حميدة، إيهاب محمد، وسامية المصـــرى، أمـــانى يوسف عبد الله، ضياء طمان، أحمد شاهر، د. فوزى عيســـى ــ بعد عودته من السفر ــ جابر سلطان بعد انقطاع دام أكثر من عشـــرين عاماً، وأيمن صادق، زينات القليوبى، وفاء جابر، محمد فرج، فاطمة جعفر، عاطف الحداد، فوزية شبل، عادل خليل، إسماعيل الشيخة، على عبد الدايم .

وجـــاءت التسعينيات بعدد كبير من الشعراء والشاعرات نذكر منهم: حســـنى منصـــور، طـــارق السيد، آمال بسيونى، سحر أبو شادى، إيمان حســـن، عبد الرحمن درويش، محمد أحمد طه، صادق أمين، عزة رشاد،

د. محمــد مصطفى أبو شوارب، بشرى بشير، محمد طعيمة، أمل سعد، محمود أمين ــ بعد عودته من السفر ــ مصطفى تمام، أمانى شكم، وفاء بغدادى ، وهيبة صادق، وخيرى السلكاوى ــ بعد عودته من سفر دام ٢٥ عاماً ــ وصفية نور الدين، وأمينة عبد الله، سناء الجبالى، رحاب عابدين، رضـــا فوزى، عمر عبد العزيز، عمرو عبد المجيد، تامر فتحى. ونذكر أيضاً طاهر سعيد وأحمد عواد وزملاءهما فى قصر الثقافة القبارى.

بالإضـــافة إلى شعراء ورشة لاتيليه الإسكندرية ومنهم أحمد يحيى، دعـــاء العدل، أحمد فوزى، حاتم الكاتب، فاطمة قتيبة، إيمان عبد الحميد، عصـــام جيهان عبد العزيز، فاطمة محمود زكى، سعد الملا، أمينة أحمد، محمد الخولى، هانى عبد الفتاح، وليد العشماوى، سامى إسماعيل، وكذلك ظهــر أحمــد زغلول وربيع السايح، إلهامى عبد الرحمن درويش، منال الشـــربينى، أحمــد الفلو، محمد الزهار، هشام غنيم، عصام عبد الوهاب، عــبد اللطــيف محمد عبد اللطيف، محمد مخيمر، عادل عوض، محمود إســماعيل، إبراهــيم منصور. هذا بالإضافة إلى اتجاه قصيدة النثر الذي يحتاج إلى الرصد .

ولا يتسع المجال لذكر الجميع ، لكنّ هذا الكمّ من الأسماء إلى أن الإســكندرية لم تزل تنجب شعراء ، يمكن لعدد منهم ــ يشق طريقه في عالم الإبداع *.

والواقع الآن

إن الظرف مناسب لأن يتخذ شعراء الثغر موقعهم الذي يليق بهم، فهاهي ذي الإسكندرية تستعيد بعضاً من مكانتها الحضارية بافتتاح المكتبة

---

* أنظر : إبداعات سكندرية – مطبوعات مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم – ٢٠٠٢ .

، وبوجـود مركز الإبداع ، وبوجود قصور الثقافة بها التي تحشد طاقاتها الآن للانـتقال إلـى نشاط ثقافي مثمر ، وبالمظهر الحضاري الذي تحقق للمدينة بما فيها من لمسات الجمال .

إن فـي الإسـكندرية أعـداداً وفيرة من الشعراء والشاعرات ، ينـتجون شـعراً متنوع الاتجاهات والمدارس ، ومنهم من تخطى حدود الإقليمـية ، ومع ذلك ليس لشعر الإسكندرية ثقله على المستوى القومي ، ربما لأن الشعراء يتحركون فرادى ، لا تضمهم منظومة تحقق لهم كياناً جماعياً يرصده التاريخ الثقافي للحركات الأدبية ، والجماعات التي تكونت مؤخـراً كانت جماعات عاجزة لا تمتلك الرؤية الصائبة لهذا لم يكن لها تأثير يذكر .

لا بد لشعراء الإسكندرية أن يطهروا نفوسهم قليلاً ، وأن يتجمعوا فـي منظومة كي تتشكل منهم حركة لها ثقلها ، فإن استقراء تاريخ الشعر يؤكـد أن شـعراء الثغر حققوا وجودهم حين انتظموا في حركة جمعتهم سـواء في العصر القديم أو في العصر الحديث ، فإن الإبداع نشاط فردي أما الحركة الأدبية فتقوم على نشاط جماعي ، أرجو أن تشهده الإسكندرية في وقت قريب .

المستقبل

إن الـنظرة الـتى ألقيـناها على الشعر الإسكندرى تحدد لنا ملامح الماضى وصفات الحاضر. فماذا عن المستقبل؟

هـناك مواصفات للحياة الشعرية لابد من توافرها إذا شئنا أن يكون للشـعر الإسـكندرى وجود فى مستقبل الزمن، ويمكن الإشارة إلى هذه المواصفات فى النقاط الآتية:

١- الإبداع .. فلابد من إنتاج شعر جديد يحمل ملامح التطور، فلا حاجة إلى قصيدة تجتر ماورد فى قصائد سابقة، والعمل على التطوير، والسعى إلى التجديد الذى يعتمد على أصول حتى لا تطيح به الرياح.

٢- الجدية فى تحصيل الثقافة الحقيقية بالاطلاع على التراث وعلى أحدث ماوصلت إليه الثقافة العالمية.

٣- التجمع لتكوين اتجاه فنى مؤثر فى حركة الشعر.

٤- النشر.. والاهتمام بخروج الدواوين إلى النور حتى يمكن رصد تجارب الشعراء.

٥- أن نتحلى بقدر من التسامح، يجعلنا نتعرف إلى الاتجاهات التى نختلف معها، من منطلق أنها تكون جزءاً من صورة الإبداع الأدبى فى هذا العصر، فإن الاختلاف الفنى لا يعنى التصارع وإنما يعنى التكامل.

وهذا الكتاب

شعراء من الإسكندرية

يقدم تعريفاً ببعض الشعراء البارزين فى التاريخ الأدبى لمدينة الإسكندرية منذ إنشائها حتى اليوم منهم من عاش فيها حياته كلها، ومنهم من وفد إليها واستقر فيها بقية عمره، ومنهم من أقام فيها فترة من حياته فتأثر بها وأبدع فى رحابها وأثر فى تاريخها الأدبى، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول يشتمل على عدد من نجوم الشعر الذين تألقوا فى سماء الإسكندرية فى العصر القديم مثل كليماخوس، وثيوكريتوس، وأبوللونيوس، وأراتوس، وليكوفرون.

الفصل الثانى ضم من تألقوا فى العصر الوسيط مثل ظافر الحداد،

وابن قلاقس، والرشيد بن الزبير، والإمام البوصيرى .

الفصل الثالث تناول محمد مفيد الشوباشى ، وعتمان حلمى ، وأحمد السمره ، وعبد العليم القبانى، ومحمود العتريس ، ومحمد زكى العشماوى ومحمد عبد المنعم الأنصارى، ومحجوب موسى، وفؤاد طمان.

وقد حاولت إلقاء الضوء على مكانة الشاعر، والتعريف به من خلال نبذة عن حياته، ثم أشرت إلى بعض عناصر الإبداع فى شعره من خلال نماذج منتقاة تحدد الملامح الفنية لقصائده، مما أهله إلى أن يكون نجماً فى سماء الشعر الإسكندرى .

وقـــد دفعنى عشق الإسكندرية إلى تأليف هذا الكتاب ومحبتى لهؤلاء الشـــعراء الذيـــن يمثلون رموزاً مضيئة فى تاريخ ذلك الفن الجميل، وهم نمـــاذج تقف بجوارهم نماذج أخرى لاتقل عنهم عطاءً وموهبة، ولو كان الجهـــد يسمح لكتبت عن كل الشعراء المجيدين الذين أنجبتهم الإسكندرية وغـــردوا بقصـــائدهم فـــى ســـاحاتها، وشهدت لهم مهرجاناتها الشعرية ومنتدياتها الأدبية، ولكن على قدر الطاقة كان الجهد.

والله ولى التوفيق،

الفصل الأول

نجوم في سماء الشعر

فى الإسكندرية القديمة

كليماخوس *Kallimachos*

أمير شعراء الإسكندرية

أعظـــم شـــعراء الإســـكندرية فـــى العهد القديم، أطلق عليه الأديب الـــرومانى كونتليان (٤٠-١١٨م) لقب أمير الشعراء بعد وفاته بأكثر من ثلاثمائـــة عام. وكليمخاوس هو شيخ شعراء الإسكندرية وأكبر أدبائها فى العصـــر الهيلينستى، وهو العصر الذى شهد انتشار الحضارة الهيلينية فى حوض البحر المتوسط، وامتزاجها بحضارات الشرق القديم، فتحولت إلى ماعـــرف باسم الحضارة الهيلينستية، وعرف عصرها بالعصر الهيلينستى وهو يمتد من موت الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ق.م حتى موقعة أكتيوم عام ٣١ ق.م.

ولـــد كلـــيماخوس ســـنة ٣٠٥ ق.م تقريباً[١]، وكان مولده فى مدينة قوريـــنه علـــى ســـاحل مـــنطقة برقة فى ليبيا. درس فى صباه على يد الفيلســـوف براكســـيفانيس، ثـــم ارتحـــل لـــيدرس فى أثينا، ثم جاء إلى الإسكندرية منذ فجر شبابه ليقضى بها بقية عمره.

عمـــل كلـــيماخوس بالتدريس فترة من الزمن، وكان يسكن ضاحية اليوســـيس (الحضرة) عام ٢٨٠ ق.م، وألف قصيدة بعنوان (إلى زيوس) لفتـــت أنظـــار بطليموس الثانى (فيلادلف) فقربه، وأظله برعايته، وأطلق علـــيه شاعر المَلِك ، وكان عمر كليماخوس حينها ثلاثين عاماً، واشتهر بصفته شاعراً وأديباً، وأتيحت له الفرصة كى يقوم بدور مؤثر فى الأدب العالمى.

---

[١] د. لطفـــى عبد الوهاب (بالاشتراك) ــ كتاب أبحاث مؤتمر كليماخوس ــ بحث بعـــنوان: عصـــر كليماخوس ــ مركز الإسكندرية للإبداع ــ ٢٠٠٣ ــ ص١٤. (وذُكر مولده فى مصادر أخرى عام ٣١٠ ق.م.)

❖ إنجازاته الحضارية

أتـــيح للشاعر كليماخوس أن يحقق إنجازاً حضارياً كبيراً حين كلفه بطلـــيموس الثانى بالمعاونة فى نشاط الأكاديمية (الموزيوم)، وكان عمله مقصـــوراً على البحث والنقد ولم يكن له موقع إدارى بمكتبة الإسكندرية، وقام كليمخاوس مع بعض تلاميذه بعمل فهرس عام لمكتبة الإسكندرية يقع فـــى ١٢٠ مجلـــداً، شـــمل أســـماء المؤلفين فى جميع فروع الثقافة حتى عصـــره، مع الإشارة لقيمة الكتاب والمؤلفات الأخرى للكاتب نفسه، مع تصنيف الفهرس حسب نوع الكتاب، ويعد هذا الفهرس أول ثبت منظم فى تاريخ المكتبات.

وكانت الكتب عبارة عن لفائف من أوراق البردى، بعضها يضم أكثر مـــن كـــتاب لأكـــثر من مؤلف وبلغ عددها ٤٠٠ ألف لفافة ، بينما كان بعضـــها الآخر يشتمل على مصنف واحد وكان عددها ٩٠ ألف لفافة من أوراق البردى، بالإضافة إلى إحتواء مكتبة السيرابيوم على أكثر من ٤٢ ألف لفافة.

وكـــان يضـــاف إلـــى هذا الفهرس كل كتاب جديد يصل إلى مكتبة الإســـكندرية، وقـــد كـــان لهذا الفهرس دور فعال فى إتاحة الفرصة أمام الباحثين للاطلاع على ماحوته المكتبة من معارف وعلوم وآداب على مر عصـــور طويلـــة، وكـــان عـــنوان هذا الفهرس: (قوائم بمؤلفات الكتاب اللامعين فى كل فرع من فروع المعرفة).[٢] وكان من ضمن ماضاع من كتـــب المكتـــبة بكل أسف. لكننا نستطيع بفضل ذلك العمل أن نطلق على

---

[٢] د. محمـــد حمـــدى إبراهـــيم ــ الأدب السكندرى ــ دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٨٥ – ص١٣٥. وعند د. جورج سارتون جاءت هكذا (قوائم جميع المؤلفات المهمة فى الثقافة اليونانية وأسماء مؤلفيها) تاريخ العلم ــ ترجمة لفيف من العلماء – دار المعارف – ط ٢ – جـــ٤ ــ ص ٢٧٢.

كلـــيماخوس لقـــب المفهرس الأول، مع العلم بأن عمله كان أكثر صعوبة وأكثر أصالة بالقياس إلى عمل المفهرسين فى العصر الحاضر[٣].

❖ نشاطه الأدبى (جماعة الحمام)

تفاعل كليماخوس مع الوسط الثقافى فى الأسكندرية، وقامت صلات الصداقة بينه وبين أدباء عصره وعلمائه وفنانيه ، وصار لـــه تلاميذ فى مجـــال الأدب، ثم كون رابطة للشعراء وأطلق عليها اسم جماعة بليـــآد، أى جماعة الحمام، أو نجوم برج الثريا، وقد أسس هذه الجماعة سبعة من الشـــعراء البارزين هم: كليماخوس، ثيوكريتوس، أبو لونيوس، أراتوس، فيليتاس، ليكوفرون، وانضم لهم، آخرون بعد ذلك.

❖ ميثاق جماعة الحمام

بالـــرغم مـــن الثقافة العريضة التى حصلها كليمخاوس إلا أنه كان يقـــول: (إن كـــتاباً مطولاً مضايقة كبيرة) فهو يميل إلى أن يكون العمل الأدبـــى ــ والشـــعرى بصفة خاصة ــ عملاً مركزاً قصيراً، حتى يحقق الفـــائدة والمتعة للقارىء فى وقت واحد. لهذا وضع ميثاقاً لجماعة الحمام الـــتى أسســـها، وكانت أهم بنوده – كما ذكرها نقولا يوسف ص ٧٤ – كالآتي :

١- أن يكون الشعر جديداً.

٢- متنوع الموضوعات.

٣- مبتكر الأغراض والمعانى.

٤- يبتعد عن التكلف وتقليد الشعر الكلاسيكى القديم.

---

[٣] د.جورج سارتون ــ جــ٤ ــص ٢٧٣.

٥- لا مانع من استخدام الأساطير القديمة فى قصائد قصصية، بشرط أن تكون القصيدة ذات موضوعات جديدة وأوزان جديدة.

٦- تستوعب القصيدة: الحكاية والحوار والوصف والنقد والهجاء والفكاهة.

٧- الاهتمام بأناقة العبارة وموسيقا الشعر.

٨- لابد أن تكون القصيدة قصيرة موجزة، فى شكل مقطوعات وأناشيد وأراجيز.

❖ القصيدة القصيرة جداً

لا يمكننا إلا الوقوف مذهولين أمام الإنجاز الشعرى الرائد الذى حققه كليماخوس، أول من أطلق عليه لقب أمير الشعراء فى مسيرة الشعر العالمى، فإن أحدث ما وصل إليه الشعر الآن فى العالم يتمثل فى القصيدة القصيرة جداً التى لاقت انتشاراً في إنجلترا من ناحية، وفى الصين من ناحية أخرى، ثم امتدت إلى آداب الأمم المختلفة، وكان كليماخوس أول من كتب القصيدة القصيرة جداً ودعا إلى كتابتها ، وهى قصيدة موجزة ومبتكرة ومركزة، ذات مغزى وتتضمن مثلاً أو حكمة أو حكاية مختصرة. وكان يهتم بالتجربة الذاتية والانفعال العاطفى، كما استحدث أوزاناً جديدة فى نظم الشعر.

لقد أصاب كليماخوس كبد الحقيقة عندما قال أن القصيدة القصيرة والسريعة هى مايتواءم مع روح العصر من شعر، ذلك أنها تهدف إلى إحداث تأثيرات أقل طموحاً من ملاحم القدامى العتيقة، كما أنها تنسجم تماماً مع ذوق علماء وفقهاء العصر الهيلينستى مرهفى الحس إلى

أقصى حد[٤].

وليس بمستغرب انتشار القصيدة التلغرافية الآن أو الومضة الشعرية بيـــن شعراء الإسكندرية المعاصرين، فإن احتفاءهم بهذا اللون من الشعر يعـــود إلى رصيد شعرى سابق بدأ مسيرتَه جدُّهم كليماخوس الذى توفى سنة ٢٤٠ ق.م. وامتد زمنا طويلاً عبر تلاميذه.

❖ إبداع كليماخوس

فى مجال النثر

كـــان الشاعر كليماخوس واحداً من أصحاب المعاجم فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ البحث العلمى، فقد وضع معاجم عن الطيور، والرياح، والأنهـــار، والمسابقات، والأسماك، والمدن والجزائر، كما ألف فى النقد واللغـــة، ووضـــع تاريخاً لأكاديمية الإسكندرية، وألف فى معظم معارف عصره كتباً ورسائل فى موضوعات متنوعة.

فى مجال الشعر

اشـــتهر كلـــيماخوس بشعره، وبمدرسته الشعرية الإسكندرية، وكان إنـــتاجه الشـــعرى غزيـــراً جداً، وسوف نتوقف عند أهم أعماله وأكثرها شهرة.

١- **الأســـباب (أو الأصول)**: أكثر قصائده طولاً تتكون من ٧٠٠٠ (سبعة آلاف) بيت، تقع فى أربعة كتب، تخيل نفسه ــ فيها ــ كأنه فى حلم ينقله مـــن مسقط رأسه ليبيا حتى جبل هيلكون موطن ربات الفن (الموسيات) اللائـــى قمن بتثقيفه وتعليمه شتى الأساطير، وقد خصص الكتابين الأول

---

[٤] د. أحمـــد عتمان ــ كتاب أبحاث مؤتمر كليماخوس ــ بحث بعنوان:" كليماخوس شاعراً حداثيا " ــ ص٤٥ .

والثانى لمحاورة بينه وبين الموسيات، ويروى فى الكتابين الثالث والرابع قصصـــاً متنوعة، عبارة عن سلسلة طويلة من الأساطير التى تفسر سبب تسمية أمور كثيرة فى التراث الإغريقى مثل: العادات والأماكن والطقوس وغيرها.

٢- **هيكالى وثيسيوس:** وهى ملحمة صغيرة ــ مليحمة ــ تقع فى ١٠٠٠ (ألــف) بيــت، يحكـــى فيها عن سيدة عجوز اسمها هيكالى قضى البطل الإغــريقى المشـــهور ثيسيوس Theseus ليلة فى كوخها قبل أن يذهب لمنازلة ثور ماراثون، ولما عاد إليها منتصراً ليقدم لها شكره كان الموت قد اختطفها قبل وصوله.

وقد نظم كليمخاوس هذه المليحمة للرد على منافسيه الذين زعموا أنه غــير قـــادر على نظم الملاحم، وليثبت مهارته بها فى البراعة فى نسج الروايات.

٣- **الأناشيد:** من أهم أشعار كليمخاوس، وهى ستة أناشيد منفصلة : نشيد إلى زيوس، إلى أبوللون، إلى أرتميس، إلى ديلوس، حمّام الربة أثينا.

٤- **القصـــائد الإيامبـــية Iamboi** : يـــبلغ عددها ١٣ قصيدة، وتقع فى حوالـــى ألـــف بيت، وسميت كذلك لأن معظمها مكتوب على وزن يسمى الـــبحر الإيامـــبى الثلاثى، ويتقمص فيها كليمخاوس شخصية هيبوناكس شاعر الهجاء القديم، ويتناول فيها انتقاد الأخلاق السائدة والعادات الأدبية، والهجـــوم علـــى نقاد الأدب الذين يتصدون للنقد بالرغم من قلة معرفتهم وغير ذلك من الموضوعات.

٥- **رد علـــى الحداديـــن:** قصـــيدة يرد فيها على خصومه الذين تحمسوا للملاحـــم الشعرية وهاجموا قصائده القصيرة، وهو يقصد هؤلاء الخصوم بلفظ الحدادين.

٦- **طائـــر أبو منجل (أبو قردان):** قصيدة فى نقد معارضيه، وقد ضمنها هجوماً عنيفاً عليهم، وفى مقدمتهم أبوللونيوس.

٧- **خصـــلة شـــعر برنـــيقى Berenikes Plokamos:** وهى قصيدة قصصية ساخرة.[٥]

٨- **الإبجـــرامات Epigrammata:** من أهم أعمال كليمخاوس، عددها ٦٤ إبجرامة، وقد بلغ فى نظمها درجة عالية من الإتقان والتفوق، وكانت الدليل التطبيقى المشرق لرؤيته للشعر، فقد كان يرى أن المستقبل للقصيدة القصيرة التى تمتاز بالابتكار والصقل والجودة.

❖ مختارات من أشعار كليماخوس[٦]

نلـــتقى بمقتطفات من شعر كليمخاوس، نراها إشارة إلى ما تحلى به من إبداع شعرى رفيع، يتضح فيه التأمل الفلسفي والصور الفنية المعبرة، يقول فى مقطع من قصيدة الأسباب:

إن كل العطور الرقيقة
والمزيوت التى تبرق كالذهب
والتى ضمخت بها رأسى آنذاك
مع الأكاليل التى يتضوع شذاها
قد فقدت جميعها عبيرها بالضرورة
وإن كل ما مر بين أسنانى

---

[٥] تدور حول خصلة من الشعر قطعتها برنيقى (برنيس) من شعرها، ونذرتها للمعبد إذا عاد زوجها بطليموس الثالث سالماً من غزوه لسوريا، لكن الخصلة أختفت من المعبد فى ظروف غامضة، فزعم الفلكيون أنها صعدت إلى السماء، وتحولت إلى مجموعة من النجوم.

[٦] د. محمد حمدى إبراهيم ــ الأدب السكندرى ــ ص١٢٦ ومابعدها.

واستقر فى بطنى الناكر للجميل
لم يبق منه شىء فى صباح اليوم التالى
ولكن ما سمعته بأذنى
واستقر فى سمعى
هو الشىء الوحيد
الذى مازلت أحتفظ به .

ويقــول كليماخوس فى جزء من نشيد "حمّام الربة أثينا" يصور فيه كـــيف أصـــيب العراف تيريزياس بالعمى، حينما أبصر ـــ رغماً عنه ـــ الربة أثينا وهى تستحم:

كان سكون الظهيرة يكتنف الجبل
وكانت الربة - مع رفيقتها - تستحم فى ساعة القيلولة
على حين كان الهدوء الغامر يلف ذلك الجبل
وفى تلك الأثناء كان تيريزياس وحيداً
- إلا من كلاب الصيد -
يجوب المكان المقدس
ولم تكن لحيته قد نبتت بعد
وعندما شعر بظمأ يجل عن الوصف
اتجه صوب ينبوع جارٍ
وهناك رأى التعس - رغماً عنه - ما هو محرم عليه أن يراه.

وتــتألق إبجرامات كليماخوس بمعانيها الشجية، وصدقها، فيعلن فى إحداهـــا أن عندليب الشعر لايموت، لأن هاديس ـــ إله الموت ـــ لايمكنه أن يأسر الأشعار. فيقول فى الرثاء:

أى هيراكليتوس
لقد نقل إلىّ شخص نبأ وفاتك
ففاضت عيناى بدمع غزير

إذ تذكرت كم من مرة جعلنا بأحاديثنا ـ سوياً ـ
الشمس تجنح للمغيب
والآن ها أنت أيها الوافد
ترقد حفنة من تراب
فى مكان ما
لكن أصوات عنادلك الشجية
ستظل دوماً حية
لأن هاديس
ـ مختطف كل شيء ـ
لن يتمكن من أسرها فى قبضته .

ويـبوح كلـيماخوس بموقفـه الفـنى والحياتى أيضاً فى إحدى قصائده القصيرة.. فيقول:

أمقت القصيدة الموسوعية
ولا أجد متعة
فى الدرب الذى يقود الكثيرين هنا .. وهنالك
وأكره العاشق الجوال
وأعاف النبع..
الذى رشفت منه الشفاه
وأبغض كل ما هو سوقى مبتذل

هكـذا كان كليماخوس ينادى بارتياد دروب جديدة فى الفن ويرفض تقلـيد الآخريـن، ولا تعجـبه القصـيدة ذات المعانى المألوفة والصور المستعارة من شعراء سابقين أو معاصرين.

❖ الصورة الفنية فى شعر كليماخوس

يقـوم الشعر على أعمدة ثلاث هى اللغة والموسيقا والخيال، ويتمثل الخـيال ـــ أوضح ما يتمثل – فى الصورة الفنية التى تعد المؤشر الدقيق

علـــى قدرة الشاعر الإبداعية حيث يقوم بإبتكار واقع جديد بإيجاد علاقات وثـــيقة بين موجودات لا تربطها علاقات فى الواقع الحقيقى. **والفرق بين اللغـــة و الموسيقا من ناحية والخيال من ناحية أخرى أن الأوليين يمكن تعلمهما بينما الصورة فى الخيال الشعرى لا تُتَعلم**[1] والصورة التى تؤثر فـــى المـــتلقى هى الصورة النابعة من العاطفة، حيث تتجمع الصور كى تصـــب فى نهر القصيدة مكونة جواً نفسياً ينتظم الأبيات من بداية العمل الشعرى إلى نهايته، ومن هنا يكون الخيال باعثاً على الوحدة العضوية فى القصـــيدة ، **وقـــد ذهب كولريدج إلى أن الخيال هو القدرة التى تستطيع صـــورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس فـــى القصـــيدة فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر**[2] وتظل الصـــورة الفنية من المميزات الفارقة فى الخطاب الشعرى على اختلاف اللغـــات والـــزمان و المكان، فإنه من **أهم ما يميز الشعر فى كل اللغات مادتـــه التصـــويرية**[3] ، ويـــرى س. داى لويس **أن الصورة هى الشىء الثابـــت فـــى الشـــعر كلـــه**[4]، و ذلك لأنها أكثر عناصر الشعر بقاء بعد ترجمته، وهى أكثر عناصره بقاء ــ أيضاً ــ فى حالة نثره تحليلاً ونقداً. والصـــورة الفنـــية ركيزة أساسية للتأثير الجمالى للقصيدة إذ **أن الرسالة الجمالية فى الخطاب الشعرى ذات وظيفة تصويرية**[5]، ولا يمكن للشعر

---

[1] د. محمد زكى العشماوى ــ دراسات فى النقد الأدبى المعاصر ــ الدار الاندلسية ــ الإسكندرية ــ ١٩٨٨ ــ ص٢٦٣.

[2] د. محمد مصطفى بدوى ــ كولردج ــ دار المعارف ــ ١٩٥٨ ــ ص١٥٨.

[3] د شـــوقى ضـــيف ــ دراسات فى الشعر العربى المعاصر ــ دار المعارف ــ د.ت.ص ٢٢٩.

[4] مجموعـــة من الباحثين ــ اللغة الفنية ــ ترجمة وتقديم د. محمد حسن عبد الله ــ دار المعارف ١٩٨٥ ــ ص٤٦.

[5] د. محمد فتوح أحمد ــ مجلة عالم الفكر ــ جدليات النص ــ الكويت يونيو ١٩٩٤ ص٦٢.

أن يـتخلى عن الاعتماد على الصورة الفنية، **فالشعر بلا خيال أو تصوير يصير درباً من التقرير الممل والسرد الجامد البارد**(٦) ونستطيع القول إن مـن العلامـات الفارقة بين شاعر وآخر قدرته على اقتحام عالم الخيال المجهول لرسم صورة فنية غير مسبوقة تتلاحم مع غيرها من الصور فى نسيج القصيدة، والبحث فى الصور الفنية يدلنا على ما يتمتع به كاتبها من طاقة شعرية، وقد اهتم كليماخوس بعناصر الشعر فى قصائده وسعى إلى تطويـرها ولـيس هـذا بمستغرب من شاعر مثل **كليماخوس** الذى **بدت ملامـح نـبوغه فى شبابه**(٧)، والذى كان لـه موقفه النقدى، وحين كلفه بطلـيموس الـثانى فـيلادلف بعمـل فهارس للمؤلفات الموجودة بمكتبة الإسكندرية فإن فهارسه لم تكن مجرد بيان إحصائى بكتب المكتبة ولكنها كانـت عرضاً شاملاً على أساس نقدى للمؤلفين المتميزين فقط ـــ فى كل مجالات المعرفة ـــ **وكان كليماخوس هو الذى يقرر أولئك المتميزين من المؤلفين**(٨)، فقد كان صاحب رؤية ورأى فى الإنتاج الثقافى بوجه عام ـــ علمياً كان أو أدبياً ـــ أما رؤيته للشعر فقد كانت جديدة بالنسبة لعصره فقد **رفـض أن يكـون الشـعر ملـتزماً بشكل الملحمة وحجمها، ودعا إلى القصـيدة القصـيرة جداً، على أن تكون موجزة ومبتكرة ومركزة، مع الاهتمام بأناقة العبارة وجمال الموسيقا والاهتمام بالتجربة الذاتية**(٩)، وقد حظـى كليماخوس بمكانة كبرى فقد كان أشهر شعراء عصره... **ويعتبر**

---

(٦) د. فـوزى سـعد عيسـى ـــ ابن زهر الحفيد وشاح الاندلس ـــ منشأة المعارف الإسكندرية ـــ ١٩٨٣ ص٨٩.

(٧) د. مصـطفى العبادى ـــ الإسكندرية القديمة سيرتها ومصيرها ـــ مركز مطبوعات اليونسكو ـــ القاهرة ـــ ط٢ ـــ ٢٠٠٠م ص٩٥.

(٨) المرجع السابق ـــ ص١٠٨.

(٩) إعـداد عـبد المـنعم سالم ـــ إبداعات سكندرية ـــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـــ مطبوعات مؤتمر أدباء مصر فى الاقاليم ـــ ٢٠٠٢م ـــ ص١٠.

زعــيم المجددين بابتكار أنماط لم تكن معروفة من قبل أو بإحياء أنماط قديمـــة كانـــت قد اندثرت[١٠]، وكان شعره مصدر قوته وتفوقه، وكانت الصورة الفنية من عناصر الشعر التى أولاها اهتماماً، تبدّى فيما كتبه من صـــور ابتكارية منها ما استدعاه من الأساطير القديمة ووظفه فى مكانه المناســب مـــن القصيدة ، ومنها ما أبدعته قريحته، فكانت صوره تتحلى بكثـــير من مظاهر الإبداع . كتب كليماخوس **الصورة الجزئية** التي تكوّن مع الصور التي تعقبها لقطة تصويرية رائعة فنراه – على سبيل المثال – يقول فى نشيده (إلى أبوللون) :

أنظر كيف ترتجف شجرة الغار (المقدسة) لدى أبوللون[١١]،
وكيف يهتز معبده بأسره؟
فليمض بعيداً عن هنا كل خاطىء مذنب
فالإله فويبوس يدق الآن دون شك الباب بقدمه البديعة
ألا ترى ذلك؟
إن نخلة ديلوس أحنت هامتها فجأة بطريقة خلابة
وشدت البجعة بأغنية عذبة فى الفضاء
أىْ مزاليجَ البواباتِ... تراجعى من تلقاء نفسك
ويا أقفال انفتحى طواعية واختياراً
فالإله قد صار على مقربة
أما أنتم أيها الشباب فخذوا أهبتكم للغناء والرقص

---

[١٠] سناء الجبالى ــ الإسكندرية الشعر والشعراء ــ مكتبة بستان المعرفة ــ ٢٠٠٣م ص٩.

[١١] أبو للون وأبوللو هو إله الموسيقا والشعر والطب.

إن أبوللون لا يتبدى بهيئته لكل إنسان

بل للأخيار فقط [١٢]

تـــأتى اللفظة فى سياق التعبير فتحول الجملة إلى صورة فنية تنبض بالحياة والمشاعر المتدفقة مثل الفعل (ترتجف) الذى جاء فى البيت الأول حيث أضفى على شجرة الغار صفة من صفات الإنسان. لكننا لن نتوقف بالتحلـــيل عـــند مثل هذه الصورة التى تعتمد على لفظة واحدة تخضع ـــ عـــادة ـــ لاختـــيارات الترجمة، إذ توجد مرادفات للفعل (ترتجف) مثل: تـــرتعد، ترتعش، تختلج، تهتز. ويمكن أن يمضى تحليل الصورة بنا إلى مسار يختلف عما قصده الشاعر، لذلك لن نعتمد فى حديثنا عن التصوير الفـــنى عند كليماخوس على الصور التى بنيت على لفظة تحتمل أكثر من اختـــيار. بالـــرغم من ثقتنا فى قدرة المترجم وعدم التشكيك فيها[١٣] لكن

---

(١٢) د. محمـــد حمـــدى إبراهيم ـــ الأدب السكندرى ـــ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٥ ـــ ص١٢٦ ـــ١٢٧.

(١٣) تقول الأسطورة أن كيوبيد إله الحب ضرب أبوللو بسهم جعله يهيم عشقاً بالجميلة دافنا بنت بنيوس اله النهر، بينما ضرب كيوبيد دافنا بسهم يجعلها تنفر من الحب، وشكا أبوللو عشقه إلى دافنا فلم تستمع إليه. وطاردها على أجنحة الحب وهربت مـــنه علـــى أجنحة الرعب. فلما أوشكت على الوقوع فى قبضته دعت والدها أن يغيـــثها فيفـــتح لها الارض كى تحيطها بسياجها أو يغير هيئتها فتحولت دافنا إلى شجرة الغار... وتقول الاسطورة : (فوقف أبوللو مبهوراً، فلمس الجذع، وأحس اللحـــم يخـــتلج تحـــت القشـــرة الغضـــة وعانق الأغصان، وراح يمطر الخشب بالقـــبلات... ويقـــول : مـــادام مـــن المتعذر أن تصبحى زوجة لى فستصبحين شـــجرتى) ونرى أن لفظة (ترتجف) التى اختارها د. محمد حمدى إبراهيم أكثر توفـــيقاً من لفظة (تختلج) لأن الأولى تشى بمعنى الرعب الذى كان أثره لم يزل ممتداً.

انظـــر: توماس بلفينش ـــ عصر الأساطير ـــ ترجمة رشدى السيسى ـــ مراجعة د. محمـــد صـــقر خفاجة ـــ سلسلة الألف كتاب ـــ دار النهضة العربية بمعاونة المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـــ مصر ١٩٦٦ ـــ ص٤٦.

تعاملنا سيكون مع تلك الصور التى تعتمد فى بنائها على تشكيل لا يخضع لاختيارات الترجمة مثل قول كليماخوس:

إن نخلة ديلوس أحنت هامتها فجأة بطريقة خلابة
وشدت البجعة بأغنية عذبة فى الفضاء(١٤)

نجـد الشاعر هنا قد رسم صورة فنية ذات أبعاد متعددة، فإن النخلة التى تعلـو فـى الفضاء نجدها تنحنى تقديراً ومحبة وطاعة لأن أبوللو ــ إله الموسـيقا والشـعر ــ يقترب، بينما تشدو البجعة لتملأ الفضاء بأغنيتها الـبديعة خاصة أن النخلة قد أخلت لها الفضاء حينما انحنت. ونلاحظ أن الشاعر إختار رمزين يشير من خلالهما لبهجة الطبيعة رمزاً من النبات له معـناه العميق، ورمزاً من الطيور يتمثل فى البجع الذى يتردد وجوده فى عـدد مـن الأساطير القديمة وكأنما أراد كليماخوس أن يقول إن الطبيعة تحتفى باقتراب أبوللو.

ونلاحظ أيضاً أن النخلة لم يحن لها هامتها عامل خارجى مثل الرياح أو غـيرها، وإنما هى التى أحنت رأسها دون إجبار، وكذلك البجعة هى التى غنت، ولم يضطرها أحد للغناء، والتأكيد على هذه التلقائية مهم لأنه الجسـر الذى ينقلنا إلى الصورة التالية التى تمثل قمة تصويرية تدعو إلى الإعجاب إذ يقول كليماخوس:

أىْ مزاليجَ البواباتِ... تراجعى من تلقاء نفسك
ويا أقفال انفتحى طواعية واختيارا
فالإله قد صار على مقربة(١٥)

لـنا أن نتخـيل هـذه الصورة العجيبة إذ تتراجع المزاليج دون أن

---

(١٤) الأدب السكندرى ــ د. محمد حمدى إبراهيم ــ ص١٢٦.
(١٥) السابق ــ ص٢٠

يحـــركها أحد، وتنفتح الأقفال دون أن تفتحها الأيدى، والمزاليج والأقفال تخـــتار ذلك طائعة كى تنفتح البوابات الكبيرة والأبواب الصغيرة، فيزول كــل عـــائق، ليس لأن أبوللو جاء ولكن لأنه صار قريباً من هذا المكان، وبذلـــك يستمر مسار البهجة لاقتراب أبوللو فيلحق بالجماد كما لحق قبلا بمظاهر الطبيعة من نبات وطيور.

وكـــان لابد أن يكتمل مسار البهجة فيدرك الإنسان أيضاً، لذلك قال كليماخوس بعدها:

أما أنتم أيها الشباب...

فخذوا أهبتكم للغناء والرقص[١٦]

بذلـــك اكتملت الصورة الفنية التى أراد الشاعر رسمها، ونلاحظ أن حـــركة الـــنخلة مـــع البجع المشهور بالرقص تتوافق مع استعداد الشباب للـــرقص، وصـــوت سعف النخيل مع شدو البجعة يتوافق ـــ أيضاً ـــ مع غـــناء الشباب، والرقص والغناء يتوافقان مع طبيعة الإله أبوللو الذى هو إلـــه الموســـيقا والشعر، حيث يكون الرقص بمصاحبة الموسيقا، ويكون الغـــناء بكلمـــات الشعر تصاحبه الموسيقا أيضاً. ويتضح من ذلك صفاء قريحة كليماخوس التى هدته إلى تكوين صورة فنية من جزيئات تكون فى مجموعهـــا لقطـــة تصـــويرية رائعـــة محملـــة بقدر كبير من المشاعر والأحاســـيس. ونجد كليماخوس يعتمد على صورة تقوم عليها القصيدة ، ويتضح ذلك في قصائده القصيرة جداً ، فيصير ما يكتبه **القصيدة الصورة** ، مثال ذلك قوله معبراً عن خشيته من الوقوع فى الحب:

قسماً بالإله (بان) إن هناك شيئاً مختبئاً

أجل وحق ديونيسوس

---

(١٦) السابق ـــ ص٢٧ .

ان ناراً ملتهبة تتاجج تحت الرماد
آه... إن شجاعتي تتبدد فلا تعانقني
فكثيراً مايجرف نهر هادىء التيار..
جداراً صلباً خفية
وأنني لأخشى الآن يامليكينوس
أن يتسلل إلى قلبي هذا الأفاق المتزلف
ويسلمني إلى العشق [17]

بالـــرغم مـــن أن الشـــاعر يعلن أنه يخشى أن يقع فى الحب إلا أن الصـــورة الـــتى رسمها تؤكد وقوعه فى الحب فعلاً، فهو يقسم أن النار تشـــتعل تحت الرماد، ويقول أن شجاعته قد ذهبت عنه، ولم تعد تعانقه، وصـــورة عـــناق الشجاعة صورة موفقة إذ يتمازج المتعانقان فيصيران كأنهمـــا شخص واحد، فكأنه تَلَبَّسَ الشجاعة، لكنها راحت عنه، ثم يصور كلـــيماخوس قوة النهر بالرغم من هدوء تيار مياهه، مؤكداً أن تيار النهر الهـــادىء الذى لايكاد يحس أقوى من الموج المتلاطم لأنه يقوّض الجدار القوى، وقد كان الشاعر موفقاً فى رسم صورة تبين تسرب الحب إلى قلب الإنسان على مهل، فلا يشعر إلا وهو أسير العشق.

ويصور كليماخوس حال العاشق فى قصيدة قصيرة أخرى... فيقول:

أيمكن لجفونك أن تغمض هكذا ياكنوبيون
فى حين تحملينني على الرقاد..
على الأعتاب الباردة أمام منزلك؟
أهكذا يا أشد الناس ظلماً..
تستسلمين للسبات ....
بينما تدعين عاشقك..
يستلقى على هذا النحو؟...
ألا تعرفين الرحمة حتى فى أحلامك؟

---

[17] السابق - ص٢٨.

لقد انفطرت قلوب الجيران شفقة عليَ..
وأنت فى أحلامك لاتشفقين
لكن المشيب الذى سيكلل وشيكاً .. خصلات شعرك
سيذكرك بكل هذا[18]

هكذا نجد القصيدة عبارة عن لوحة فنية تصور الحبيبة(كنوبيون) وقد راحــت فـــى نعاس هادىء مطمئن، بينما الشاعر العاشق يرقد على عتبة دارهـــا فى الصقيع أملاً أن تشفق عليه، لكنها لا تشعر به وهى تتنقل بين أحلامهـــا فى الوقت الذى يشفق عليه الجيران، ويختم القصيدة بنظرة إلى المســتقبل القريـــب عـــندما يغزوها الشيب وتفقد جمالها، وحينذاك تتذكر عاشقها الذى تركته يتعذب ولم تلتفت إليه.

رأينا كيف رسم كليماخوس فى شعره الصورة الجزئية، وكيف كتب القصـــيدة الصورة، وبقى أن نسوق مثالاً **للصورة الشاملة** عنده، وتوجد لهـــذه الصورة عدة نماذج فى قصائده المختلفة، ولعل أكثرها وضوحاً فى هـــذا المجـــال صـــورة شـــاملة وردت فى قصيدة طويلة(ملحمية) نظمها كلـــيماخوس للـــرد علـــى منافسيه الذين زعموا أنه غير قادر على نظم الملاحـــم[19] وهـــى بعنوان (هيكالى وثيسيوس Theseus) وتقع فى ألف بيت لكنها مقسمة إلى مقطوعات قصيرة، وتحكى عن سيدة عجوز قضى الـــبطل ثيسيوس ليلة فى كوخها قبل أن يذهب لمنازلة ثور مراثون، ولما عـــاد إليها ظافراً ليقدم لها شكره كان الموت قد اختطفها قبل وصوله[20] والصورة التى نعنيها جاءت فى مقطع يصور فيه الشاعر تبرمه بالمدينة

---

(18) مجلـــة الكلمـــة المعاصرة ــ نجم فى سماء الشعر ــ كاليماخوس أمير الشعراء، الإسكندرية ــ إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافى ــ العدد السابع ــ مايو ١٩٩٩ .

(19) السابق ــ ص٧٩

(20) نقـــولا يوســـف ــ أعلام من الإسكندرية ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ سلسلة ذاكرة الكتابة ٢٠٠١م ــ ج١ ــ ص٧٦ .

لمـــا فيها من صخب وضجيج يحول بينه وبين الحياة الهادئة التى يتمناها وقد استطاع الشاعر أن يعبر عن ذلك من خلال صورة شاملة قدم لنا فيها حال المدينة حين تستيقظ فى الصباح الباكر ... فقال:

.. وبينما كانت تتفوه بهذه الكلمات
استولى النعاس عليها وعلى سامعها
فاستغرقا فى سبات عميق
لم يستمر وقتاً طويلاً
إذ سرعان ماحل الفجر المبكر بصقيعه
وكف اللصوص أيديهم عن الأسلاب
لأن مصابيح الفجر بدأت تبعث بضيائها
وطفق كل سقاء..
يرفع عقيرته بأغنية عن الينبوع
وأخذت العجلات تصدر صريراً تحت العربات
فتوقظ من كان سكنه بجوار الطريق العام
بينما كان الحدادون من العبيد
الذين فقدوا حاسة السمع
يعذبون الآذان
بطرقاتهم المتكررة على السندان[٢١]

يلفتـــنا فى هذا المقطع بناء تركيبى يتسم بالإبداع الحقيقى، وجزئيات تصـــويرية للحـــياة تشكل فى مجموعها صورة واحدة شاملة للحياة وقت الفجر، ونلاحظ فى بداية المقطع توقف حالتين لسببين، **الحالة الأولى** عدم اســتمرار النوم بسبب مجىء الفجر المبكر ببرودته الشديدة فقطع النعاس وأيقـظ النائميـــن، و**الحالـــة الثانية** عدم استمرار اللصوص فى السرقة وتوقفهـــم عـــنها بسبب انتشار نور الفجر فى الأرجاء، ويعقب ذلك رصد ثلاث حالات تجعل المدينة تمتلىء بالصخب والضجيج، **الحالة الأولى** هى

---

[٢١] د. محمد حمدى إبراهيم ــ الأدب السكندرى ــ ص١٣٧.

أصوات السقائين المرتفعة جداً حيث يغنى كل منهم أغنية عن صفاء ماء الينـــبوع الـــذى مـــلأ منه قربة مائه، وقوله يرفع عقيرته إشارة إلى قبح الصوت، فالسقاءون يغنون حقاً لكنها أغان رديئة بأصوات مزعجة.

والحالـــة الثانية هى أصوات العجلات التى تحمل العربات وتصدر أصواتاً مفزعة توقظ النائمين الذين تقع بيوتهم بجوار الطريق العام الذى تمـــر بـــه العـــربات، أما **الحالة الثالثة** فكانت أصواتاً فظيعة تصدر عن الحداديـــن حيث يهوى كل حداد بمطرقته على السندان، ووصف الشاعر هؤلاء الحدادين بأنهم عبيد، وهو وصف مهم يدل على استمرار أصوات المطارق لأن السيد يجعل العبد يعمل طوال الوقت دون توقف، ثم وصفهم بصـــفة أخرى مهمة أيضاً فذكر أنهم فقدوا حاسة السمع، فهم لا يسمعون تلك الأصوات المفزعة التى يتسببون فيها، وأعلن أنهم بذلك يعذبون آذان الـــناس. أنها ثلاث حالات من الأصوات المزعجة التى تحدث ضوضاء تـــنفى الـــراحة عن سكان المدن الكبرى ومنها الإسكندرية مدينة الشاعر آنذاك. وبذلك رسم الشاعر صورة شاملة لسكان المدينة حيث ينال العذاب مـــن اراد الـــراحة، فيصيبه بالعذاب ليلاً أولئك اللصوص الذين يسلبون الـــناس، ويصـــيبه العذاب نهاراً من يتسببون فى تلك الأصوات المزعجة التى تملأ المدينة بالضجيج الذى لا يتوقف.

ولا يفوتـــنا هنا إلى أن كليماخوس كان يرمز لخصومه بالحدادين[٢٢]

---

[٢٢] الرمزية: مذهب فى الأدب والفن ظهر فى الشعر أولا، يقول بالتعبير عن المعنى بالـــرموز والايحاء، ليدع للمتذوق نصيباً فى تكميل الصورة أو لتقوية العاطفة بما يضيف إليه من توليد خياله .

(المعجم الوجيز ــ مجمع اللغة العربية ــ القاهرة ــ ط١ــ ١٩٨٠م ــ ص ٢٧٧)

حيــث يصـــدرون ضوضـــاء شـــديدة بقصائدهم الرنانة غير المصقولة، ويشعلون نيراناً لا تضيء وإنما تعكر الجو بالدخان، وليس لقصائدهم من أثر غير الأذى.

هكـــذا كـــان كليماخوس يرسم صوراً فنية مميزة منحت شعره بعداً جمالـــياً فـــريداً، وجعلـــته شعراً حيا ينبض بالحركة والعواطف والفكر. فعاشت قصائده على مر العصور يجرى فيها ماء الشعر.

وكثـــيرة هـــى نمـــاذج شعر كليماخوس أمير الشعراء[١] كما وصفه الأديـــب الرومانى كونتليان ـــ وكثيرة هى نواحى الابداع فى شعره، لقد حظى بشهرة عريضة، وكان شاعر البلاط، تمتع بفكر أدبى طليعي وإبداع مـــتدفق، وكان ذا أثر عميق فى معاصريه من الشعراء، وفيمن جاءوا من بعـــده فـــى العصـــور التالية، **وتجلى ذلك فى روما فى القرن الأول قبل المـــيلاد حيـــن قامـــت ثورة فنية وأدبية على يد مجموعة من الشعراء الشبان أطلق عليهم" الشعراء الجدد"[٢] وكان بارثينيوس هو أهم من نقل التراث الكاليماخى إلى روما[٣] فتأثر بكليماخوس كثير من الشعراء أمثال كاتولوس، وكينا، وكالفوس، وفاليريوس كاتو، وجالوس، وفرجيليوس، وهاروتيوس، وأوفيديوس، وبروبرتيوس.. وغيرهم[٤] .**

ويقول جورج سارتون: **كان كليماخوس فى أوْجِه شاعراً مجيداً كل الإجـــادة، ولكـــنه لم يستطع أن يستجمع شوارد إلهامه إلى الحد الكافى،**

---

[١] جـــاء فى ترجمة أخرى أن كونتليان كان يصفه: بأمير القصيدة التأملية، (نقلاً عن د. لطفى عبد الوهاب شفاهياً) .

[٢] د. أحمد عتمان ـــ الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى ـــ دار المعارف ـــ ١٩٩٥ ـــ ص١٤٣.

[٣] د. مـــاجدة الـــنويعمى ـــ كـــتاب أبحـــاث مؤتمـــر كاليماخوس ـــ بحث بعنوان : " كاليماخوس والشعراء الرومان "ـــ ص٩٩.

[٤] السابق ـــ ص١٠١ وما بعدها.

لأن أعــباء جســيمة كانــت تثقل كاهله[٥] ولا ندرى ماهية تلك الأعباء الجسيمة، هل هى أعباء نفسية؟ أم أعباء العمل الضخم الذى كان يقوم به؟ أم أعباء الصراعات ؟

علـــى أيـــة حال .. كان كليماخوس رائداً بمعنى الكلمة، وظل نجماً مـــتألقاً فـــى سماء الشعر الإسكندري، فما وصل إلينا من إنتاجه يعد دليلاً كافياً لوضعه فى الصدارة فى تاريخ الإسكندرية الأدبى.

---

[٥] جورج سارتون ــ تاريخ العلم ــ جــ٤ ــص٣٢٨.

ثيوكريتوس

عاشق الطبيعة القديم

ثيوكريتوس اسم مضىء فى تاريخ الشعر الإسكندرى، وكان من ألمع الأســماء فــى القــرن الثالــث قبل الميلاد ، تألق فى ساحات الأدب فى الإســكندرية، ويعد الشاعر الرائد الذى أخلص للطبيعة فى شعره، فجعلها النبع والزاد، أحبها فمنحته أسرارها ومفاتيح مفرداتها المعبرة عن الجمال والحب والأحزان.

ولــد ثيوكريــتوس حوالــى عــام ٣١٠ق.م. [١]فى مدينة سرقوسة بجزيــرة صــقلية، وهى أكبر مدينة بالجزيرة، وكانت العاصمة . ارتحل منها إلى جزيرة قوس ببحر إيجه، حيث درس الطب على يد استراتوس، وصــار مــن المقربين إلى الشاعر فيليتاس، وعُرف فى عالم الأدب فى جزيــرة قــوس، وحيــنذاك عاد إلى سرقوسة، حيث كتب قصيدة بعنوان (ريات البهاء) يمدح بها هييرون حاكم سرقوسة، لكن هذه القصيدة لم تنل إعجاب الحاكم بالرغم من جودتها.

حيــنذاك قــرر ثيوكريتوس أن يرتحل إلى حيث يجد شعره التقدير، ويجــد مــن يدركون أبعاد الجمال والقوة فيما ينشده من قصائد، قرر أن يرتحل إلى عاصمة الدنيا، عاصمة الأدب والفن والعلم، إلى الإسكندرية.

وصــل ثيوكريتوس إلى الإسكندرية عام ٢٧٢ق.م.[٢] تقريباً، فألف قصيدة بعنوان (أنشودة ثناء إلى بطليموس) نالت إعجاب الملك بطليموس

---

(١) د. محمد حمدى إبراهيم ــ الأدب السكندرى ــ ص١٤٤

(٢) يذكــر د.محمد حمدى إبراهيم إن ثيوكريتوس توجه إلى الإسكندريةعام ٢٧٢ق.م. (الســابق ــ ص١٤٥). بيــنما يذكر نقولا يوسف أنه هاجر إلى الإسكندرية٢٧٤ ق.م. (أعلام من الإسكندريةــ ص٧٧).

فـيلادلفوس، فقـرب إلـيه ثيوكريتوس، الذى ظل فى البلاط الإسكندرى مكـرماً طـوال فترة إقامته بالإسكندرية، ومما قاله ثيوكريتوس فى تلك القصيدة:

الملك بطليموس:
أفضل دافع أجر
يتمناه عامل حر[٣]

استقبل شعراء الإسكندرية ثيوكريتوس بالتقدير والاحترام لما يبدعه مـن شعر، وكان إبداعه المتفوق دافعاً لأن يفرحوا به، فقد كانوا شعراء كـباراً، لا تأكل الأحقاد قلوبهم لنجاح أحدهم، بل كانوا يرون فى نجاحه إضافة لحركتهم الشعرية.

ويحدثـنا تاريخ الشعر الإسكندريّ عن فترات تألق فيها هذا الشعر فـإذا بحثـنا فـى علاقات الشعراء وجدناها متينة فى تلك الفترات، بينم البحـث عن حال الشعراء فى فترات الركود يسوقنا إلى اكتشاف التناحر والأحقاد والصراعات التى تتسم بالخيبة والتنافس على توافه الأمور، وإن محـبةً تجمـع عدداً كبيراً من شعراء الإسكندرية الآن، نأمل أن تمتد إلى بقية الشعراء لكى تتألق الحركة الشعرية، كما كانت فى عهد ثيوكريتوس حيـث كانـت أمواج الشعر تضم شعراء عظماء يختلفون فنياً، لكنهم لا يجعلون للأحقاد مكاناً فى قلوبهم أمثال كليماخوس وأبولونيوس اللذين كانا مختلفين فنياً جداً، ومثل أراتوس وأرسطوفانيس وليكوفرون وغيرهم.

لقـد جمعـت علاقـة طيبة بين كليماخوس أمير شعراء الإسكندرية وثيوكريـتوس، كمـا كانـت علاقـته طيبة ببقية الشعراء، فقد حرص ثيوكريتوس على أن يظل بعيداً عن الخلافات القائمة بين الشعراء، خاصة

---

[٣] د. مصطفى العبادى ــ مكتبة الإسكندرية القديمة سيرتها ومصيرها -ص٤٣.

أن شـــعره كـــان نســـيجاً مختلفاً من حيث موضوعاته، كما كان مسايراً لمدرســـة الإســـكندرية الجديدة التى كانت تدعو آنذاك إلى الاتجاه لكتابة القصائد القصار، وعدم تقديس الملاحم الطوال.

لقـــد كانت موهبته متفردة وإبداعه نابعاً من نفسه، وهو يعلن أنه لم يقلد أحداً من الشعراء، ولم ينبع شعره من مصدر آخر غير ملكته الشعرية فيقول:

أما أنا
الذى دونت هذه الأشعار
فاسمى ثيوكريتوس
أحد مواطنى سرقوسة العديدين
إبن براكسا جوراس
وأمى فيلينا ذائعة الصيت
ولم أدع لنفسى
ربة شعر أجنبية.

إنه يقول إنه واحد من أهل سرقوسة وهم كثيرون، ويذكر أباه، وأمه المعروفة، فهو من أسرة ليست خاملة الذكر، ولكن أهم ما يبغى قوله هو مـــا يختتم به قصيدته، وهو أن ما يقوله من شعر نابع من نفسه، فهو لا يغير على إبداع الآخرين.

كانـــت الإســـكندرية آنذاك مدينة حافلة بالحركة والزحام والصخب، وكان ثيوكريتوس محباً للهدوء وللحياة البسيطة فى أحضان الطبيعة. لذلك أرتحـــل إلى جزيرة قوس، ثم إلى ميليتوس، موطن نيكياس رفيق صباه، حيث توفى سنة ٢٦٠ ق.م.

وتمـــتاز أشعار ثيوكريتوس بأنها تستمد ينابيعها من الطبيعة، وكثير مـــن قصائده يتناول فيه حياة الرعاة، لذلك هو يعد الشاعر الرعوى الأول

فـــى تـــاريخ الشعر العالمى. فقد ركز على موضوعات الحب الرقيق فى حـــياة الـــرعاة بيـــن مـــناظر الطبيعة الخلابة في الريف بحقوله الممتدة ومـــزارعه الخضــــراء، ومـــزج بيـــن الطبـــيعة وأبطال قصائده، وكان ثيوكريـــتوس صادقاً فى قصائده، نستشعر فيها حرارة التجربة، وليس هذا بمســـتغرب فهـــو عاش بين الرعاة فى صقلية وفى قوس وعايش حياتهم وتجاربهم عن قرب. وهو يعبر عنهم، ويعبر عن حلمه بالحياة فى الريف، ويـــرى السعادة فى بساطة الحياة التى يحياها الرعاة، حيث النور بأعلى الجـــبال، والقطعان ترعى، والراعى يتغنى بجمال الفتاة التى يحبها، وفى مواقف الحزن يصف أحزان الطبيعة على أبطال قصائده، فهو يمزج بين الطبـــيعة والـــناس فـــى إحساس متدفق، فكأنه بدأ الاتجاه الرومانسى فى العصر القديم.

ولم تكن الحياة فى الريف حلم ثيوكريتوس وحده ، بل كانت –أيضاً– حلم شعراء الإسكندرية الذين كانوا يعانون من ازدحام مدينتهم وضجيجها وتعقد الحياة فيها، وتمنوا أن يقدر لهم العيش فى الريف بهدوئه وبساطته مثل الرعاة الذين يتحدث عنهم ثيوكريتوس فى شعره، لذلك لاقت قصائده رواجاً واستحساناً، وأحبها الشعراء الإسكندريون ولكنهم لم يقلدوها، لأنهم كـــانوا شعراء كباراً ــ كما قلنا – يبدع كل منهم فى اتجاه مختلف، ولكن يصب إنتاجهم جميعاً فى بحر الإبداع الحقيقى.

❖ **نماذج من شعره** [٢]

يقول ثيوكيريتوس في إحدى قصائده :

أى (بومبيكا) الرشيقة

---

[٢] أنظر د. محمد حمدى إبراهيم ــ الأدب السكندرى ــ ص١٤٦ ومابعدها.

الكل يسمونك السورية النحيفة
التى لوحتها أشعة الشمس
وأنا وحدى
الذى أراك ذهبية كالعسل
إن زهرة البنفسج داكنة
ومثلها زهرة الياسنت الملونة
ومع ذلك فهما دون جدال
أول زهور ننتقيها
للباقة أو الإكليل
إن العنز تتبع البرسيم المزهر
والذئب يتبع العنز
والغرنوق يتبع المحراث
أما أنا فقد جننت بك
وهمت حباً .

ونلاحــظ جمال التعبير والمقارنة بين الموجودات، فحبيبته (بومبيكا) نحــيفة ســمراء، وهو يقول إن الجمال ليس فى البنات البيضاوات فقط، وإنمـــا فى السمراوات أيضاً، بل إن الأزهار ــ غير البيضاء ــ نختارها أولاً لباقات الزهور والأكاليل ، ويربط بين مايراه فى الطبيعة وبين حالته، فالماعــز تتــبع البرســيم، والذئــب يتبع الماعز، وطائر الغرنوق يتبع المحــراث، كــل شـــىء فى الحياة يبغى شيئاً يتبعه، أما هو فإنه لا يتبع فحسب حبيبته بومبيكا وإنما هو جن بها وهام بها حباً.

ونجــد ثيوكريــتوس فـــى المقطوعـــة التالية يجعل الطبيعة تحزن وتــبكى علـــى الـــراعى دافــنس، وهـــو بطل أسطورة قديمة استوحاها

بعـض الشعراء، ودافنس راعٍ من صقلية، أنجبه أبوه هرميس من إحدى حوريـات الغـاب، وتعلم العزف على الناى، وقد أحبته حورية الينابيع، ولكـنها عرفـت أنه غير وفىّ لحبها فعاقبته بالعمى، وعطف عليه أبوه هرميس فصعد به إلى السماء.

يقول ثيوكريتوس فى جزء من تلك القصيدة:

بجوارى سوف ينشد تيتروس
كيف أحب الراعى دافنس
ذات مرة أكسينيا
وكيف تألمت من أجله الجبال
وبكت أشجار البلوط
التى تنمو على ضفاف نهر هيميرا
وهو يذوى ويذوب
مثل الثلج الذى ينصهر
تحت جبل هايموس الشاهق.

ويقول ثيوكريتوس فى قصيدة بديعة بعنوان المغزل:

ياصديق الغزالين
وياهدية الربة أثينا
ذات العينين الزرقاوين
إلى النساء اللائى يجتهدن
فى تدبير شئون المنزل
هيا تشجع
وتعال معى
إلى مدينة نيليوس الغنية

فإلى هناك سنبحر

ونضرع إلى زيوس

كى نحظى بريح رخاء

فى رحلتنا البحرية

فأمتع نفسى برؤية صديقى نيكياس

ذلك النسل المقدس

المنحدر من سلاله الفاتنات

ربات الحسن، ذوات الصوت الرخيم

وأنال منه الترحيب

وكرم الضيافة

وأودعك ياهديتى

المصنوعه من العاج

بعناية.. وبراعة فائقة

بين يدى زوجته.

ويمضى فى القصيدة إلى أن يختمها قائلاً:

حقاً إنها لأمنية عظيمة

تسير فى ركاب هدية بسيطة

ولكن كل مايأتى من الأصدقاء

لايقدر بثمن

هكـذا أضفى ثيوكريتوس بعداً جديداً للشعر الإسكندرى فى عصره، وأضـاف إلـيه مزيداً من الحيوية والابتكار بما كتبه من قصائد وصفية ودرامـية ومدحية ومليحمات (تصغير ملحمة) وأبجرامات، إلا أن ابتكاره تجلى فى قصائده الرعوية التى منحته الشهرة قديماً وحديثاً.

ومـــن الأمور اللافتة أن ثيوكريتوس ألف قصيدة بعنوان (المزمار) كتــبها علـــى شـــكل مزمار، وهى تنتمى إلى فن القصائد المعروفة بأسم Technopaignia أى الأشعار المصورة، وقد ظهرت مثل هذه القصائد فى الوطن العربى فى أواخر السبعينيات وأدعى مؤلفوها أنها تجديد، وهى ليست أكثر من بدعة ظهرت منذ أكثر من ألفى عام ثم أندثرت.

وتظل أشعار ثيوكريتوس علامة فى طريق الشعر العالمى فهو رائد الشـــعر الـــرعوى، وهـــو الرومانســـى القديم الذى جعل الطبيعة تبتهج لابـــتهاجه، وتحزن لحزنه، وتبكى لبكائه.. فكان رائداً فى أكثر من اتجاه، وظل نجماً فى سماء الشعر.

أبوللونيوس

شاعر الحب ورائد الرومانسية

هــذا شــاعر أحدث انقلاباً فى المفاهيم الشعرية فى عصره، وكان الأول والــرائد فى أكثر من مجال، كان الموضوع الرئيسى للملاحم منذ عصر هوميروس يتحدد فى البطولة، فجعل موضوع الملاحم هو الحب. كــان بطــل الملحمة لابد أن يتمتع بصفات خارقة من حيث القوة والقدرة علــى الاحــتمال، فجعــل بطل الملحمة إنساناً عادياً يحتاج إلى مساعدة الآخريــن، كانــت قصــائد الحب المنتشرة فى عصره تميل إلى التكلف والعواطــف المبتذلة الخالية من الصدق، أما هو فكتب عن الحب بصدق وتلقائــية وتدفــق، وأفاض فى تحليل نفسية العاشقة، وربط بين المشاعر والأعراض الفسيولوجية التى تصيب العاشق حين يسيطر الحب على قلبه، وصور حالات العشق تصويراً رائعاً غير مسبوق، فكتب أول عمل أدبى فى تاريخ الأدب بوجه عام يشتمل على أسس الرومانسية ومقوماتها. كان الاتجــاه العام فى الجماعة التى التحق بعضويتها يتحدد فى كتابة القصائد القصــار، لكــنه كتب ملحمة تقع فى ٥٨٣٥ بيتاً من الشعر، ذلك هو ابن الإسكندرية الشاعر المبدع أبوللونيوس.

ولــد أبوللونيوس عام ٢٩٥ ق.م. فى مدينة الإسكندرية، وكان معظم شــعرائها العظــام قــد وفدوا إليها من مدن أخرى بينما كان أبوللونيوس إسكندرى المولد والنشأة والوفاة حيث توفى بها عام ٢٢٢ ق.م.

وبالرغم من ذلك لقب بالرودسى نسبة إلى جزيره رودس التى قضى فــيها فترة من حياته **ومن المحتمل أن هذه الجزيرة منحته حق المواطنة**

الفخـــرية إعتزازاً به وبشهرته[1] وكان يعلم الأدب والبلاغة، لأبناء تلك الجزيرة.

نشـــأ أبوللونـــيوس بالإسكندرية وتعلم فيها، وتثقف على أيدى كبار أدبائهـــا فـــى ذلك العصر وفى مقدمتهم كليماخوس أمير الشعراء. تفوق أبوللونيوس وأشتهر وعمل بالتعليم فترة من حياته، كما عمل رئيساً لمكتبة الإســـكندرية مـــن ٢٧٠-٢٥٤ق.م. [2]، وكـــان واحداً ممن قاموا بتعليم بطلـــيموس الثالـــث يورجيتس، فهو ليس شاعراً فحسب، وإنما هو أيضاً واحـــد من نجوم الأدباء المشاهير أصحاب المكانة فى تاريخ الإسكندرية العلمى والسياسى.

❖ كتابة الملحمة

انضـــم أبوللونـــيوس إلـــى جماعة بليآد (الحمام) التى كونها الشاعر الكبـــير كلـــيماخوس[3] تلـــك الجماعة التى أعتنقت رؤية جديدة للشعر، تـــتلخص فـــى كتابة القصائد القصار التى تتوافر لها عناصر إبداع جديد مـــتفوق، والبعد عن كتابة الملاحم، وقد انتشرت آنذاك مقولة كليماخوس الشـــهيرة:(إن الكتاب الطويل شر وبيل) وقد تحمس أعضاء الجماعة لهذا الاتجـــاه الجديد فى الشعر، وكان من الطبيعى ألا يكتب أحد أعضائها ما يخـــالف فلســـفة الجماعـــة ورؤيتها للشعر، لكن أبوللونيوس ـــ وهو من الأعضـــاء البارزين – خرج على خط جماعة بليآد، وكتب ملحمة طويلة

---

[1] د. محمـــد حمـــدى إبراهيم ـــ الأدب السكندرى ـــ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٥ ـــ ص٧٦.

[2] د. مصطفى العبادي – مكتبة الإسكندرية القدمة سيرتها ومصيرها – منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) – باريس – ١٩٩٢ – ص ٨٧ .

[3] مكتبة الإسكندرية بين الماضى والحاضر ـــ باب أكاديمياً ـــ مجلة الثقافة الجديدة ـــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـــ أكتوبر ٢٠٠٢ ـــ العدد ١٥٠ ـــ ص١٢٠.

بلغــت ٥٨٣٥ بيـــتاً أسماها ملحمة (الأرجو نوتيكا)[٤] أستلهم فيها أحداث أســطورة إغريقية قديمة عن البطل ياسون ورفاقه الباحثين عن الجِــزَّةِ الذهبــية علــى ظهر السفينة (أرجو) وبالرغم من أنها تتبع بناء الملاحم التقلــيدية إلا أنهــا اســتقت روح مدرسة الإسكندرية الشعرية وأسلوبها التصويرى، وبذلك قدم أبوللونيوس عملاً جديداً متفرداً.

لم يمر الأمر بسلام، فإن كليماخوس عارض أبوللونيوس وقال له أن زمــن الملاحــم قــد مضى، وعهد القصائد الطوال قد مر وانتهى، وإن مدرسة الإسكندرية الشعرية تمتاز بالتجديد وليس بالتقليد، وقال إن التجديد والدقــة والإتقــان مــن عناصر الشعر الرئيسية فى مدرسة الإسكندرية، وضرب مثلاً لطيفاً فى هذا المجال، إذ قال إن القصيدة القصيرة المقرونة بالصــقل والدقة فى التفاصيل تكون مثل الزخرفة على الأحجار الكريمة، أما شعر الملاحم فهو يشبه الزخارف على الإفريز الطويل العريض.

وجدير بالذكر هاهنا أن هذا الاتجاه لم يكن فى الشعر وحده بل امتد إلــى النحــت، فظهــرت التماثيل الصغيرة ذات الدقة المتناهية،وظهرت الــزخارف الدقيقة على الحلى والمجوهرات، فهو كان اتجاهاً عاماً للثقافة والإبداع في ذلك العصر .

❖ المعركـة بين كليماخوس وأبوللونيوس

كــان كليماخوس يعارض ما كتبه أبوللونيوس من منطلق الأستاذية، لكن الموقف كان مختلفاً بالنسبة لأبوللونيوس، لقد رأى أن بإستطاعته أن يجــدد مــن خلال شكل الملحمة القديم، ونظن أنه كانت للموقف خلفيات

---

(٤) Argonautika ــ أى الســفينة أرجو، Argo معناها: السريعة، وقصة السفينة أرجو قد أنتجتها هوليوود فيلماً سينمائياً فى الستينيات. والجزة : صوف الشاة في سنة (المعجم الوجيز ص ١٠٤) .

أخـــرى. فالشاعرين باحثان ، وكليماخوس قام بعمل أول فهرست لمكتبة الإسكندرية، وكان أبوللونيوس أميناً للمكتبة، فهل كان الأمر مجرد مخالفة فى الاتجاه الفنى أم أن صراعاً خفياً كان بين الشاعرين على رئاسة مكتبة الإسكندرية ؟؟.. أم كان هناك تنافس على رئاسة مدرسة الشعر تدخل فيها عنصر التعصب الإسكندرى إذ كان أبوللونيوس من أبناء الإسكندرية بينما كان كليماخوس وافداً إليها من برقة (ليبيا).

لقـد تفـاقم الأمر، فبعد اعتراض كليماخوس وقف أبوللونيوس ينشد أجـزاء مـن ملحمـته فى قاعة الأكاديمية، وكأنه يتحداه، وأعلن أن من لايكتـبون الملاحـم إنمـا يعجزون عن كتابة المطولات، وحينذاك ألف كليماخوس قصيدة طويلة بعنوان (الأسباب) يثبت كذب مزاعم أبوللونيوس ومؤيديه من ناحية، وليهاجمهم من ناحية أخرى خلال أبيات القصيدة.

بأسـلوب أدبـى رمزى يلمح ولا يصرح. لكن أبوللونيوس رد عليه بقصيدة قصيرة صرح فيها باسمه.. قال فيها:

كليماخوس.. ذلك النفاية
ذلك الألعوبة
ذو العقل المتحجر
سبب البلاء: كليماخوس مؤلف "الأسباب".

غضـب كليماخوس غضباً شديداً حين صرح باسمه، ونزل شعراء آخرون إلى ساحة الصراع، بعضهم مع بعض مع كليماخوس وبعضهم مع أبوللونيوس.

كانـت هذه المعركة من أهم الأحداث فى حياة أبوللونيوس وكان من الممكن أن تتمخض عن اتجاهات متعددة فى الشعر الإسكندرى، فهذا شأن المعـارك الأدبية فى كل العصور، لكن هذه المعركة ــ للأسف ــ نزلت

إلى مستوى السباب والإسفاف فالمعركة يمكن أن تمتد أما الإسفاف فلا بد أن يتوقف بإنسحاب طرف من طرفي السباب.

حيــن صــــرح أبوللونيوس باسم كليماخوس جن جنونه ، ورد عليه بقصيدة عنوانها (أبوقردان) سخر فيها كليماخوس من أبوللونيوس بساقيه الرفيعتيــن وعدّد نواقصه وهجاه هجاء فظيعاً ، ونزل فيها إلى درجة من الإســـفاف لـــم تــترك ما يقال بعدها من جانب أبوللونيوس الذى غضب غضباً شديداً، وارتحل من الإسكندرية إلى جزيرة رودس.

إنــنا نتصور ذلك الشاعر المبدع والباحث المتفوق، وقد ارتحل عن الإســكندرية مســقط رأســه، بعــد أن خرج مهزوماً من معركة حامية الوطيس، لاشك أن الأحزان كانت طاغية . والألم كان عتياً والجرح كان عمــيقاً. لكنه لم ينكسر، فقد كان يتحلى بعزم الرجال، ذهب أبو للونيوس إلـــى جزيـــرة رودس، فأقـــام بها زمناً يدرس الأدب والبلاغة فتفوق فى تدريســـهما، وأكمـــل ــ أثناء ذلك ــ ملحمة (أرجو نوتيكا) وصقلها، ثم أذاعهـــا بين أهل الجزيرة، فنال إعجاب الروديسيين، وأرادوا أن يكرموه فخلعـــوا علـــيه أســـم جزيرتهم، فعرف منذ ذلك الوقت باسم أبوللونيوس الرودسي.ولم يعد إلى الإسكندرية إلا بعد وفاة كليماخوس.

كان عمر أبوللونيوس حين عاد إلى الإسكندرية ٥٥ عاماً، وقد عاش بقية حياته فى هدوء ، ولقى التكريم الذى يستحقه من مختلف الوجوه، من الأدبـــاء ومـــن العلمـــاء ومـــن الحكام، وتمتع باحترام أهل الإسكندرية وتقديرهم، إلى أن توفى عام ٢٢٢ق.م. عن عمر يناهز الثالثة والسبعين، ومن عجائب القدر أنه دفن بجوار كليماخوس خصمه اللدود.

❖ مؤلفات أبوللونيوس

١ـ **الأبحـاث**: عُرف أبوللونيوس بصفته شاعراً وباحثاً، ولا يوجد باحث

بلا أبحاث، لذلك نظن أنه كتب أبحاثاً وإلا لما كان باحثاً، وإن لم يرد ذكر لهذه الأبحاث في المصادر التي وصلت إلينا.

٢ـ القصائد: لـــــه قصـــيدة بعنوان كانوبوس Kanobos ، وذكرت المصـــادر القديمة أن لـــه عدة قصائد في تأسيس المدن مثل الإسكندرية ونوكراتيس وغيرهما، وهو اتجاه في تأليف القصائد شاع في ذلك العصر، وقد فقدت قصائد أبوللونيوس ولم يصل إلينا شيء منها.

٣ـ الأبجرامات: كـــان أبوللونيوس في بداية عهده واحداً من الأعضاء البارزيـــن في جماعة بلياد التي تقصر الشعر على الأبجرامات (القصائد القصـــار) وكانت تدعو إلى عدم زيادة أبيات القصيدة على العشرين بيتاً، لذلـــك نظـــن أنــــه كتب عدداً لابأس به من الأبجرامات ، لكنها ضاعت جمـــيعها ولم يتبق منها غير تلك الأبجرامة التي رد بها على كليماخوس وهاجمه فيها مصرحاً باسمه.

٤ـ ملحمة أرجو نوتـيكا Argonautika [٥] كتـــبها أبوللونـــيوس في صـــورتها الأولى عام ٢٧٠ق.م. ومنذ ذلك الحين أشتغل بها عما سواها، ويقـــص فـــيها رحلة ملاحي السفينة أرجو Argo (أي السريعة) إلى بلدة كولخـــيس على البحر الأسود، بحثاً عن الجزة الذهبية لإعادتها إلى بلاد الـــيونان، بعـــد أن كان في فريكسوس قد تركها في تلك البلاد الأجنبية ، **وقصـــة ملاحـــي الســـفينة أرجو التي اختلط بها عدد لا نهاية لـــه من الأســـاطير الأخرى، كانت جزءاً جوهرياً من الأساطير الشعبية اليونانية، وأصبحت آخر الأمر جزءاً لا يتجزأ من الأساطير الأوروبية**[٦] .

تقع الملحمة في ٥٨٣٥ بيتاً، وقسمها أبوللونيوس إلى أربعة كتب، كل

---

(٥) د.محمد حمدي إبراهيم ــ الأدب السكندري ــ ص١٨٢ ومابعدها.

(٦) د. جورج سارتون ــ تاريخ العلم ــ جـ٤ ــ ص٣٣١.

مـــنها يـــدور حول مغامرة قائمة بذاتها، ولكن تجمعها كلها وحدة واحدة، ويضمها إطار مشترك. وسوف نعرض محتويات كل كتاب بإختصار.

الكتاب الأول: يتضـــمن وصفاً لرحلة الذهاب إلى (كولخيس) ويبدأ بتضـــرع إلـــى فويبوس رب الشمس والضياء من أجل نجاح الرحلة، ثم يســـرد قائمـــة بأســـماء ملاحى السفينة أرجو، ثم يصف الشاعر عبارات الـــوداع بين البطل ووالدته، وبعد وليمة جماعية أبحرت السفينة تصحبها أنغام أورفيوس الشجية، وتصل السفينة إلى جزيرة ليمنوس حيث أمضى أبطالهـــا الوقـــت فـــى التدريب على السلاح وفى اللهو مع نساء السفينة الفاتـــنات، حيث ذكّرهم هيراكليس بالغاية من رحلتهم، فأبحروا إلى ميسيا وهـــناك اختطفت حوريات الينابيع هيلاس الوسيم رفيق هيراكليس، فظل يبحث عنه دون جدوى واستسلم لحزنه وتخلف عن الرحلة، ومكث حيث فقد رفيقه هيلاس.

ونقـــتطف مـــن هذا الكتاب الأول أبياتاً ترسم صورة بديعة لإبحار السفينة أرجو، وهذه الأبيات تدل على ماوصل إليه أبوللونيوس من مقدرة شعرية فائقة ومن إبداع ثرى. يقول:

وكما يرقص الشبان من أجل تكريم الإله فويبوس
فى دلفى، أو فى ديلوس
أو على مقربة من مياه نهر اسمينوس
وكما يحركون الخطى سوياً
فى إيقاع مشترك على الأرض
حول المذبح
على أنغام القيثارة
كذلك كان بحارة (أرجو)
يضربون صفحة البحر بمجاذيفهم

على أنغام قيثارة أورفيوس
والأمواج المتلاطمة تحملهم على متنها.

إنهـــا صورة بديعة ربط فيها بين حركة أقدام الشبان وهم يرقصون حيث تشترك أقدامهم فى حركة واحدة ، وبين حركة المجاديف المشتركة علـــى جانبى السفينة أرجو، ونلاحظ أنه أستحضر صورة رقص الشبان ولـــيس رقص البنات، لأن رقص الشبان هنا فيه من القوة ما يتناسب مع حـــركة المجاذيف القوية، كما أنه لم يستحضر حركة مشتركة غير حركة الرقص، لما فى الرقص من بهجة تشبه بهجة هؤلاء البحارة الأبطال وهم يبحرون لاستعادة الجـــزة الذهبية.

الكـتاب الـثانى: يـــبدأ بالـــنزال بين بطلين، ثم يبحر الأبطال حيث يـــتوقفون فـــى موطن العراف فينيوس، فيتفق معهم على أن يتنبأ لهم بما ســـيلاقونه فـــى رحلتهم من أهوال، مقابل تخليصه من الخاطفات، وهى طـــيور سُـــلِّطَتْ عليه عند كل وجبة لتفسد طعامه، وينجح كل من زيليس وكلايس ذوى الأجنحة فى طرد الطيور إلى الفضاء وأخذ وعد من الربة أريس بكف أذاها عن التعس فينيوس. بعد ذلك تابع الأبطال رحلتهم حيث فقدوا ماسك الدفة أثناء العواصف الشديدة، ويصلون إلى جزيرة أريتياس، وهناك يقابلون أبناء البطل الإغريقى فريكسوس الذى ذبح الكبش ذا الفروة الذهبـــية عند وصوله إلى مدينة كولخيس، تلك الفروة(أو الجزة الذهبية) سبب الرحلة كلها. وكان أبناء فريكسوس قد استقروا بتلك الجزيرة بعد أن تحطمـــت ســـفينتهم وهم عائدون إلى بلاد اليونان. وفى ختام هذا الكتاب تصـــل الســـفينة أرجـــو بأبطالها إلى أرض كولخيس بسلام بعد متاعب ومخاطر رهيبة.

الكـتاب الثالـث: يـــتركز فـــيه الجمال والمتعة، وتتجلى فيه مقدرة أبوللونـــيوس الشعرية، ويحقق للشاعر ريادته فى الشعر الرومانسى. يبدأ

هذا الكتاب بذهاب كل من الربة هيرا والربة أثينا إلى ربة الحب أفروديت ــ التى تفرض سلطانها على البشر وعلى الآلهة أيضاً ــ ذلك لكى تجعلاها تبعث بولدها أروس رب الحب الصغير إلى الفتاة (ميديا) ليشعل فى قلبها الحب تجاه البطل (ياسون)، وكانت أفروديت تتزين فى ذلك الوقت فتركت زينتها وذهبت معهما للبحث عن ولدها فوجدته يلعب النرد مع غلام ساقى الآلهة، فقدمت له كرة ذهبية ثمناً لقيامه بهذه المهمة.

ولابد من التوقف هاهنا لتسليط الضوء على الرؤية الفكرية الجديدة التى دارت حولها ملحمة أرجو نوتيكا والتى جعلت أبوللونيوس يضيف جديداً إلى موضوعات الملاحم، إن فلسفته فى هذه الملحمة تخالف ما قامت عليه الملاحم السابقة من قوة الآلهة وقداستها وعن القوة الخارقة للبطل الأسطورى، فهو صور الآلهة وكأنها مثل الناس، إن أفروديت تبدو كامرأة من البشر لا سلطان لها على ولدها الصغير، أما الربتان هيرا وأثينا فإنهما تبدوان مثل سيدتين مترفعتين (برجوازيتين) اضطرتهما الظروف إلى التعامل مع امرأة خليعة لا تتمسك بالقيم والمبادىء، أما أروس الصغير فقد صوره الشاعر على أنه طفل عابث يحب اللعب مع أقرانه، ويغش فى اللعب عندما تسنح له الفرصة، ويتدلل على والدته التى لا تملك سوى التقرب إليه من أجل أن يطيعها فيما تريد. أما البطل (ياسون) فهو لا يملك قوى خارقة، إنما هو مثل أى رجل من البشر يحتاج ــ أحياناً ــ إلى مساعدة الأخرين، ولم تفعل الإلاهات الثلاث ــ هيرا وأثينا وأفروديت ــ ما فعلتْ إلا لكى تجعل (ميديا) تحب (ياسون) وبالتالى تساعده فى الوقت العصيب الذى سوف يجابهه وسيحتاج فيه إلى مساعدة الآخرين. إن هذه الرؤية كانت جديدة تماماً فى عصر أبوللونيوس، بالنسبة للملاحم، فإن بطله ليس مثل أبطال العصور القديمة، فالبطولة الحقيقية لا تكمن فى قوة الجسد، بل ولا فى سمو الفكر، إنما تكمن فى النمط العادى

للسلوك الإنسانى، لقد أراد أن يقول إن (ياسون) بطل لأنه مثلنا، تصرفاته هـــى بطولـــته، ولـــيس لأنه يملك قوة خارقة يصرع بها الوحوش ويقهر الأخطار. كانت هذه هى الرؤية السائدة فى عصر أبوللونيوس للبطل، لكن لم يتصور أحد أن يتم التعبير عن هذه الرؤية الفكرية من خلال ملحمة، إذ كـــان لأبطـــال الملاحـــم مواصـــفات ثابـــتة، لكن أبوللونيوس غير تلك المواصفات فى ملحمته، فكان له فضل الريادة فى هذا المجال أيضاً.

نعـــود إلـــى أحداث الكتاب الثالث من ملحمة أرجو نوتيكا أو رحلة الســـفينة أرجو، فنجد إله الحب الصغير قد أطلق سهمه فأصاب قلب ميديا بنـــت الملك أئييتيس Aeetes ملك كولخيس فجعلها تقع فى حب ياسون.. بل تهيم به حباً.

ويصـــف أبوللونيوس قصر ملك كولخيس، ويذكر كيف طلب ياسون مـــنه الجزة الذهبية، وكيف رضخ لشروط الملك، وكانت شروطاً رهيبة، على ياسون أن يشد إلى النير ثيراناً تنفث نيراناً لافحة، فإذا نجح فى ذلك علـــيه أن يحرث حقلاً، ويبذر فيه أسنان تنين هذه الأسنان ستنبت بمجرد بذرهـــا رجالاً مسلحين، عليه أن يقضى عليهم جميعاً ، فإذا نجح فى ذلك أيضـــاً كـــان علـــيه أن يصرع التنين المخيف الذى يتولى حراسة الجزة الذهبية، فإذا أفلح فى ذلك كانت الجزة الذهبية من نصيبه.

كان لابد أن يتلقى البطل مساعدة من الأخرين، لذلك خططت الربتان هيرا وأثينا كى تقع ميديا فى حبه لتساعده فى اجتياز هذه العقبات والنجاه من تلك المخاطر القاتلة.

تعطـــى ميديا تعويذة سحرية لياسون تساعده على النجاح فى مهمته، فيشـــد الثـــيران إلى النير، ويبذر أسنان النين فى الأرض، ويدفع العمالقة المســـلحين الذين نبتوا منها إلى مقاتلة بعضهم بعضاً حتى يهلكوا جميعاً،

ويـــنجو ياســـون ويصرع التنين، ويحصل على الجزة الذهبية، ويسارع بالهرب مع ميديا، لتبدأ السفينة أرجو رحلة العودة إلى بلاد الأغريق.

ونقــتطف لقطـــات ســـريعة من هذا الكتاب الثالث مع التركيز على مواقــف الحـــب التى جعلت من أبوللونيوس رائداً للرومانسية فى العالم ...يقول:

النعاس العذب لم يتطرق إلى ميديا
أو يزر أجفانها
بسبب شوقها العارم إلى ياسون
خفق قلبها بعنف داخل صدرها
وغدت نهباً للاضطراب
مثل بقعة من أشعة الشمس
يتراقص ضوؤها على حائط
بعد أن عكسته من على صفحتها
مياه متدفقة صبت فى إناء كبير
على حين يقفز الضوء المتراقص
هنا وهناك
بفعل اهتزاز المياه ودورانها
فى حركة سريعة
كذلك كان قلب الفتاة
يدور داخل صدرها
مثل الدوامة.

ويصور أبوللونيوس لقاء الحبيبين بعد طول انتظار .. فيقول:

توقف قلبها عن الخفقان
وخيمت على بصرها
سحابة من الضباب القاتم

وغمرت وجنتيها
حمرة قانية لافحة
من فرط السخونة
ولم تعد قادرة على أن تتقدم
أو تتقهقر
كما لو كانت قدماها قد سمرتا إلى الأرض
وهنا بادرت وصيفاتها إلى الاختفاء
أما العاشقان
فقد وقفا وجهاً لوجه فى صمت
ودون أن ينبس أحدهما ببنت شفة
مثل شجرتى بلوط أو صنوبر
ترتفع هامتاهما شامختين
جنباً إلى جنب فوق قمة جبل
والريح ساكنة
ولكن حينما تهب الرياح وتحركهما
لاتكفان عن الحفيف
كذلك كان العاشقان
بعد أن سرت فى كيانهما تسمية الحب
يتهيآن كى يندفعا
فى حديث متدفق.

ويقول أبوللونيوس فى موضع آخر مصوراً ارتباك العاشقين:

لقد لفح هيب الحب قلبها
فأنصهر انصهاراً
وغدا مثل قطرات الندى
التى تذوب حول أكمام الأزهار
حينما تشرق عليها الشمس بأشعتها

في البكور
ولبرهة من الزمن
ظل العاشقان ينكسان رأسيهما
وهما ينظران للأرض
في حيرة وارتباك
ثم شرع كل منهما
يوجه من جديد إلى رفيقه
نظرات خاطفة
مصحوبة بابتسامة
تتسع بضياء الحب
على طلعتهما التي تتلألأ نوراً.

لــم يكتب شاعر قبل أبوللونيوس مواقف الحب بمثل هذه التفاصيل ، أو يتغلغل فى مشاعر العشاق، ويصور ماينعكس على التصرفات والوجوه من أحاسيس الحب الفياضة.

الكتاب الرابع: يصف الطرق التى سلكتها السفينة بالتفصيل حسب الــروايات الأســطورية، ويصف محاولة أهل كولخيس مطاردة السفينة بـــزعامة أبســيريتس ــ أخـــى ميديا ــ لكنه يُقتل ، ويصف أبوللونيوس الأهوال التى واجهتها السفينة أثناء عودتها، ومنها الصخور المتحركة لكن الســفينة تنجو منها بمساعدة الآلهة، وتصل السفينة إلى إيطاليا، ويتزوج ياســون من ميديا اعترافاً بفضلها عليه ومساعدتها لـــه، ثم تضل السفينة طـــريقها، فـــيقودها إله البحر بنفسه حتى تصل إلى ميناء باجاساى الذى أبحرت منه فى بداية رحلتها المثيرة.

وقـــد كتـــب أبوللونـــيوس مشهد الصخور المتحركة ببراعة منقطعة النظـــير فإن من يقرأه: كأنه يراه، ويصور فى أواخره هلع الآلهة وخوفها

علـــى الســفينة، وخوف الإلهة أثينا والإلهة هيرا ــ زوجة زيوس كبير الآلهة ــ على البحارة الأبطال وهم يعبرون هذا العائق الرهيب.

لقد كان أبوللونيوس متفرداً بالفعل بين شعراء الإسكندرية فى التعبير عــن الحــب واشــتملت ملحمته على لمحات مستمدة من واقع الحياة فى عصـــره، وامتازت بأنها تمثل روح مدرسة الإسكندرية الشعرية فى بناء أبــياتها وفى أسلوبها التصويرى. وقد عاشت هذه الملحمة حتى وقتنا هذا فوصلت إلينا كاملة.

عرفــت ملحمـــة (أرجــو نوتــيكا) وذاعــت بين الناس بعد أن أتم أبوللونيوس تأليفها، وأطلع عليها الشاعر الرومانى فرجيل (٧٠-١٩)ق.م. وحاكاها فى ملحمته (الأنيادة)، كما ترجمها واى إلى الإنجليزية شعراً فى العصر الحديث، وكتب مثلها الشاعر الإنجليزى وليم موريس ملحمته التى أسماها (حياة ياسون وموته) فى القرن التاسع عشر [٧] .

كانــت هــناك ثغــرات فى ملحمة أرجو نوتيكا حين كتبها الشاعر أبوللونــيوس للمــرة الأولــى عــام ٢٧٠ ق.م. وانهزم فى معركته أمام كلــيماخوس، وهجر الإسكندرية إلى رودس، لكنه قام من عثرته، فأكمل ملحمــته وصــقلها، فذاعــت بيــن الناس وعاشت إلى يومنا هذا، ونال أبوللونــيوس مكانته التى يستحقها، وحظى بالتكريم الشعبى والرسمى بها وعــاش اســمه كشاعر على مر العصور، وكان الفيصل فى كل ذلك أنه صقل ملحمته وأكملها، لقد عمل على تجويد إنتاجه الشعرى، الفيصل كان شــعره المتفوق الذى امتاز بالإبداع الحقيقى، إن قيمة الشاعر فيما يكتبه، لهذا وجب على كل من يكتب أن يحاول تجويد عمله، فهو السبيل الوحيد للبقاء فى عالم الأدب .

---

[٧] نقولا يوسف ــ أعلام من الإسكندرية ــ ص٨٥.

أراتوس

شاعر الظواهر الفلكية

كـــان أديباً شاعراً، عالماً متنوع الإنتاج، كتب شعراً مثل معاصريه، وكتـــب شـــعراً مختلفاً عن معاصريه، لكنه نال استحسانهم، فكتب شعراً علمـــياً، أفاد كثيراً من الناس بما أشتمل عليه من معلومات يحتاجون إليها فى أعمالهم، ذلك هو الشاعر المبدع أراتوس.

❖ **حياتـــه:**

ولـــد أراتـــوس السولى فى مدينة سول بإقليم قيليقيا فى جنوب تركيا شمالى سوريا، وكان مولده عام ٣١٥ ق.م.، وعاش حتى عام ٢٤٠ق.م. تقريـــباً، ودرس فترة فى أثينا على يد الفيلسوف الرواقى الشهير زينون، وكان زميله فى هذه الدراسة الشاعر كليماخوس.[1]

جاء إلى الإسكندرية ونال شهرة عظيمة فى عصر بطليموس الثانى فـــيلادلف عام ٢٧٠ ق.م.، حيث عمل فى مكتبة الإسكندرية، وأفاد كثيراً مـــن مخطوطاتهـــا، وأشـــتغل خـــلال تلك الفترة بتحقيق ملحمتى الإلياذة والأوديسا لهوميروس وهى من الأعمال الجليلة التى قام بها، فحقق الإلياذة كاملـــة، وحقق معظم الأوديسا ثم أكمل تحقيقها بعد ذلك حين ارتحل إلى سوريا.

انضـــم اراتـــوس إلى جماعة الحمام (بليآد) التى أنشأها كليماخوس، وكان أراتوس عضواً بارزاً فى تلك الجماعة.

أســـتدعاه انتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا، وكان زينون الفيلسوف

---

[1] نقولا يوسف ــ أعلام من الإسكندرية ــ ص٨٥.

قدمه إليه، وفى بلاط الملك فى مدينة بيلا ألف أراتوس قصيدته (نشيد إلى الإلـــه بان) يمجد فيها انتصار الملك على بعض أعدائه، كما كتب قصيدة أخـــرى يهـــنيء فـــيها الملـــك بزواجه من فيلا phila أخت ملك سوريا سوليوكوس الأول نيكاتور وكان ذلك عام ٢٧٧ ق.م.

ارتحـــل اراتـــوس بعـــد عـــدة سنوات إلى سوريا حيث أكمل تحقيق الأوديسا فى بلاط الملك سوليوكوس.

وعـــاد أراتـــوس إلـــى بيلا حيث عاش مرة أخرى فى رعاية الملك انتيجونوس حتى وفاته.

نـــال أراتوس منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، وعومل بما يستحقه من الـــتقدير والحفاوة، وتم تكريمه فى حياته كما لم يُكَرَّمْ شاعر آخر، فحصل علـــى عطايـــا الملوك وهداياهم، ووُهب الأموال والأراضى، وصار من أصـــحاب المكانة العليا فى الدولة تقديراً لأدبه وعلمه، وكذلك تم تكريمه بعد وفاته.

❖ **مؤلفاته**:

ألـــف اراتوس عدداً كبيراً من الكتب فى علم الفلك وفى علم الطب، أما مؤلفاته الشعرية فكانت كالتالى:

١- القصـــائد الجـــنائزية: وجدير بالذكر أن شعر المراثى كانت له مكانة كبيرة فى ذلك الزمان.

٢- أناشيد.

٣- قصائد عابثة.

٤- قصيدة نشيد إلى الإله بان: يصور فيها انتصار أنتيجوس ملك مقدونيا على أعدائه الكلتيين، ويصور فيها كيف عهد الإله بان إلى انتيجونوس كى

ينتصر عليهم، وكيف قذف الإله الرعب فى قلوب الأعداء.

٥- قصـــيدة التهنئة بالعرس: بمناسبة زواج أنتيجونوس بابنة ملك سوريا سوليوكوس.

٦- عدد من القصائد القصيرة (الأبجرامات) .

٧- مجموعـــة مـــن القصـــائد القصـــيرة جداً جعل لها عنوان: القصائد المصغًرة.

٨- قصيدة الظواهر الفلكية (فينومينا Ta Phainomena): وهى أعظم مؤلفاته إلى الإطلاق، وتعد العمل الوحيد الذى وصل كاملاً إلينا، إذ ضاع معظم ماكتبه من أعمال أخرى.

٩- تحقـــيق الإلياذة والأوديسا وهو عمل لايدخل ضمن مؤلفاته الشعرية، لكنه عمل جليل يذكر له إذ حافظ على تراث شعرى ضخم على المستوى الإنسانى.

❖ قصيدة الظواهر الفلكية:

هـــذه القصـــيدة هى التى منحت أراتوس شهرته العريضة فى العالم القديـــم، وقـــد نالـــت استحســـان معاصريه، كتب عنها الشاعر ليونيداس أبجرامة يقول فيها:

هذا كتاب أراتوس الخبير
الذى تحدث فيه بعناية فائقة
عن النجوم المعمرة
وعن كل الأجرام الثابتة
والكواكب السيارة
التى منحتها السماء اللامعة الدوارة
مساراتها وأفلاكها

فليحفظ هذا العمل

الذى نال الجهد الوفير

بثناء عظيم

والمجد من بعده لزيوس

(كبير الآلهة)

الذى جعل النجوم أكثر بريقاً

أما كليماخوس فيقول فى إحدى أبجراماته عن تلك القصيدة:

مرحاً أيتها الكلمات

المنظومة بعناية

يا من تشهدين

على سهر أراتوس الليالى

ولـــم تنل قصيدة الظواهر استحسان الأدباء فحسب، بل كانت لها مكانة لدى الناس، فقد نالت شهرة كبيرة فى العالم القديم لعدة أسباب:

أولاً: كانـــت عبارة عن كتاب يمكن حمله، وبذلك يسهل على من يـــريد معلومات فى علم الفلك بوجه عام الرجوع إليه، وكان الناس – فى ذلك الزمان – إذا أرادوا الحصول على معلومة فلكية عليهم بالبحث عن عالم فلكى كى يأخذوها عنه، فيسرت القصيدة ذلك.

ثانـــياً: وجـــد فـــيها البحارة المعلومات التى تنفعهم عن الإبحار ومواعيده، ومعرفة المسارات والاتجاهات فى البحار عن طريق النجوم.

ثالـــثاً: وجـــد فيها المزارعون كل ما يحتاجون إليه من إرشادات تفيدهم بخصوص مواقيت الفصول، ومواعيد الزراعة، ومواسم الأمطار، ودرجات الحرارة المناسبة للحصاد.

وهكـــذا نالـــت القصـــيدة شهرة واسعة إذا استخدمتها أكثر من فئة وانتفعـــت بهـــا، وكـــان حب المنفعة مسيطراً على تفكير الرومان، لذلك

أعجـــبوا بما فى هذه القصيدة من فوائد علمية وعملية، فأنتشرت القصيدة فـــى كثـــير من البلدان. **وكانت معرفة أراتوس بعلم الفلك وثيقة الصلة بالفنون والخبرات الشعبية (الفولكلور) مما أكسبه شهرة واسعة**[٢].

ويلاحظ أن قصيدة الظواهر الفلكية خالية من التحذلق والتفقه فى اللغة وهى ميزة لها، إذ كانت معظم المؤلفات فى العصر الإسكندرى تميل إلى الغمـــوض والحذلقـــة العلمية التى تدل على ثقافة الشاعر، كما يلاحظ أن أراتوس استفاد من دراسته للفلسفة الرواقية التى درسها فى أثينا، إذ شحن قصيدته بأفكار فلسفية سامية أكسبتها وقاراً، وهذا لايمنع من وجود بعض الأجـــزاء الـــتى خفـــتَ فيها صوت الشعر خلال القصيدة فجاءت الأبيات علمـــية جافـــة تفـــتقد دفء الشعر، كما وجد فى القصيدة بعض الأخطاء العلمـــية التى أوردها الشاعر عن علم الفلك، وهى فى رأيى ليست أخطاء بالمعـــنى المفهوم، إذ أشار إليها هيبارخوس الذى جاء بعد أراتوس بقرن ونصـــف القـــرن من الزمان، والمعلومات العلمية تتطور، ومن هنا كتب أراتـــوس معلومـــات ثابـــتة علمياً فى عصره، وبهذا هو لم يخطىء فى إيـــرادها، فإذا كان علم الفلك قد تطور بعد وفاته، فلايجب محاسبته على ماكتبه قبل ذلك التطوير.

تقـــع قصـــيدة الظواهر الفلكية فى ١١٥٤ بيتاً، وتنقسم ــ من حيث محتوياتها ــ إلى عدة أقسام كالأتى:

١- مقدمـــــة عبـــارة عن تحية وتمجيد لزيوس كبير الآلهة تقع فى الأبيات (١-١٨).

٢- وصـــف مختصر للقطب الشمالى والقطب الجنوبى، والنجوم الشـــمالية والنجوم الجنوبية، الثابتة التى ليس لها مدار، وتقع فى الأبيات

---

(٢) جورج سارتون ــ تاريخ العلم ــ جــ٤ ــ ص١٢٣.

.(١٩-٤٥٣)

٣- الـــنجوم والكواكب المتحركة التى لها مدار، وتقع فى الأبيات (٤٥٤-٥٥٨).

٤- ظهور المذنبات واختفاؤها فى الأبيات (٥٥٩-٧٣٢).

٥- بقـــية القصيدة وضع لها أراتوس عنواناً هو: (التنبؤات عن طريق العلامات) ويتحدث فيها عن الطقس وأحواله، والتنبؤات المحتملة، والتغيرات المتوقعة التى يمكن حدوثها، وتقع فى الأبيات (٧٣٣-١١٥٤).

وكـــان أراتـــوس ينتقل إلى عالم الأساطير خلال حديثه عن الأجرام السماوية بهدف تفسير تسميات الكواكب وأصولها.

نالت قصيدة الظواهر الفلكية أهتماماً كبيراً إذ قام شيشرون بترجمتها إلـــى اللغة اللاتينية، وكذلك فارو، وترجم كل من جرمانيكوس وأفينيوس الجزء الأخير منها، كما ترجم الشاعر أوفيد كثيراً من أبيات أراتوس، فى حيـــن تأثر بهذه القصيدة لوكريتوس فى قصيدته طبيعة الموجودات، كما تأثـــر بها فرجيليوس فى قصائده الزراعية لدرجة أنه نقل نصوصاً منها حرفياً.

يقول أراتوس فى القسم الأول من قصيدة الظواهر الفلكية:

فلنبدأ بزيوس
الذى لم نتركه نحن البشر أبدا
دون أن نسميه
فكل طرقات البشر وكل أسواقهم
تزخر بروح زيوس
وكذا البحر والموانئ
ونحن جميعاً بحاجة إليه على الدوام

فنحن ذريته (٣)
وهو الشفوق الذى منح البشر
علامات مباركة
وحثهم على العمل مذكراً أياهم
بوسائل الحياة
إنه يعلمنا متى تكون التربة أكثر صلاحية
للحرث بالفأس وبالثيران
ومتى تكون المواقيت مناسبة
لغرس الأشجار أو بذر كافة الحبوب
وهو الذى وضع بيده المباركة
علامات الأفلاك فى السماء وحدد الأبراج
وقدر على مدار العام: النجوم
التى توضح للبشر علامات أكيدة
للفصول
حتى تنمو المحاصيل كلها ولاتخيب
لذا فهو جدير بأن يُعبد دوماً
لأنه البداية والنهاية
سلاماً أيها المعجزة الكبرى
ياأكبر عون ونصير للبشر
سلاماً لك وللذرية الأولى
وتحية لكن أيتها الموسيات
يا من تتصفن جميعكن بالرشاقة والبهاء

---

(٣) توجد إشارة خفية محددة من القديس بولس إلى أراتوس وردت فى "أعمال الرسل" (إصحاح ١٧ آية ٨) قال بولس: لأننا به نحيا وبه نتحرك ونوجد كما قال بعض شعرائكم، لأننا من ذريته أيضا.
أنظر: جورج سارتون ـ تاريخ العلم ـ ترجمة لفيف من العلماء ـ دار المعارف ـ ط٢ ـ ١٩٧٩ جـ٤ – ص ١٢٥ .

فكل ما تتوق إليه نفسي :
هو أن تباركن برعايتكن
نشيدى كله
حتى يصبح من حقى
أن أخاطب النجوم فى أفلاكها(٤)

ذلـــك هـــو أراتوس السولى، أحد شعراء الإسكندرية العظام فى أوج مجدهـــا الأدبى، حظى بمكانة رفيعة بين أبناء عصره والعصور التالية، كان معاصراً لكبار الشعراء، ولم يخرج عن نسيج الجماعة، لكنه أضاف شـــيئاً جديداً إلى الشعر ـــ كما فعل زملاؤه ـــ لقد كتب عملا ضخماً خلد أســـمه فـــى تـــاريخ الشعر، وإن التنوع فى أغراض الشعر المعاصر فى الإســـكندرية يدعو إلى التفاؤل، وإن اتجاه شاعر مثل أحمد فضل شبلول إلى تعميق الاتجاه العلمى فى شعره أمر يجعلنا نستدعى اتجاهات القدماء العظماء فى الشعر، فإن ترسيخ اتجاه شعرى مع إضافات العصر الحديث يعد إنجازاً طيباً على كل المستويات.

لقـــد رسخ أراتوس الاتجاه العلمى فى شعره، فعاش منه ذلك الاتجاه علـــى مـــر العصور، وظل فى تاريخ الإسكندرية الأدبى نجماً مضيئاً فى سماء الشعر.

---

(٤) د. محمد حمدى إبراهيم ـــ الأدب السكندرى ـــ ص١٢٢.

ليكوفرون

السيريالى القديم

هـــذا شـــاعر ســـبق عصره بأكثر من ألف وثمانمائة عام، استخدم الصـــور الســـيريالية فى شعره، فلم يجد معاصروه ومن جاءوا من بعده توصيفاً لشعره غير الغموض، ولكن ظهر من توافرت له مفاتيح الإدراك، فشـــرح ذلك الشعر ليتكشف للناس ما فيه من عبقرية وإبداع، إنه الشاعر الباحث ليكوفرون.

ولـــد ليكوفرون حوالى عام ٣٢٠ ق.م. فى خالكيس عاصمة جزيرة يوبويـــا لـــذا سمى ليكوفرون الخالكيدى، تتلمذ على يد الفيلسوف المعمر مينديموس، وكان من جزيرة يوبويا أيضاً. ارتفع شأن ليكوفرون واشتهر، لذلـــك وصل إلى مكانة رفيعة فى مقدونيا ببلاد اليونان، حتى صار مقيما فـــى بـــلاط الملك المقدونى أنتيجونوس جوناتاس، ثم استدعاه بطليموس الثانى فيلادلف فجاء إلى الإسكندرية حوالى عام ٢٨٣ق.م.

بمجـــرد وصول ليكوفرون الخالكيدى إلى الإسكندرية كلفه بطليموس الـــثانى فـــيلادلف بتصـــنيف المؤلفـــات الكومـــيدية الموجودة فى مكتبة الإسكندرية وتحقيقها وتبويبها، ولم يكن هذا بالعمل الهين، لكن ليكوفرون أنكـــب علـــى تلك المؤلفات، فقسمها حسب نوعياتها وتواريخ تأليفها، **فقد اقتســـم مـــع إسكندر البلورونى عملاً عظيماً وهو جمع مؤلفات الشعراء اليونانيـــين ومراجعـــتها تحت إشراف زينودوتوس الأفيسى أمين مكتبة الإســـكندرية[1] فقـــام إســـكندر الـــبلورونى بتصنيف الدراما التراجيدية**

---

(1) جورج سارتون ــ تاريخ العلم ــ جـ٤ ــ ص٢٧١.

والهجائـــية .. أما ليكوفرون فإنه رتب مؤلفات الشعراء الكوميديين[2] ، وحيـــنما فـــرغ مـــن هـــذه المهمة الصعبة قام بتأليف دراسة مطولة عن الكومـــيديا وقعت فى تسعة مجلدات ثم ألحق بها تفسيراً للمفردات الصعبة والنادرة، ولاشك أن ما قام به ليكوفرون كان عملاً موسوعياً ضخماً، زاد من ارتفاع مكانته فى الإسكندرية التى كانت عاصمة العلم والثقافة والأدب فى ذلك الزمان.

كـــان لـــيكوفرون الخالكيدى أديباً عملاقاً بالإضافة إلى كونه باحثاً، وكان واحداً من النجوم المشهورين في المجتمع الإسكندرى .

❖ مؤلفاته:[3]

ألف ليكوفرون ٢٠ مسرحية حملت العناوين الآتية:

١- أبولوس	٢- أندرو ميدا
٣- الجوال	٤- أبناء أبولوس
٥- اليفينور	٦- هيراكليس
٧- الضارعات	٨- هيبوليتوس
٩- لايوس	١٠- أبطال ماراثون
١١- ناوبليوس	١٢- أوديبوس
١٣- اليتيم	١٤- بنثيوس
١٥- آل بيلوبس	١٦- الحلفاء
١٧- تيلجونوس	١٨- خريسيبوس

---

(٢) السابق ــ ص٢٧٢.

(٣) د. محمد حمدى إبراهيم ــ الأدب السكندرى ــ ص١٠٦ ومابعدها.

١٩- أهل ألكساندرا

٢٠- مينديموس وهى مسرحية عن أستاذه الفيلسوف مينديموس

كذلـــك ألـــف لـــيكوفرون عدداً من القصائد، وكل ما ذكرناه من مؤلفاته لم يبق منه غير أبيات قليلة، وهذه خسارة عظمى.

قصيدة ألكساندرا *Alexandra* :

هـــذه القصـــيدة هى الأثر الوحيد الذى تبقى من أعمال ليكوفرون الخالكـــيدى، وهى التى حققت لـــه الشهرة العريضة فى العالم القديم، فقد صب فيها خلاصة خبرته فى مجال التأليف.

تقـــع القصيدة فى ١٤٧٤ بيتاً، وهى قصيدة تراتجيدية لم يكتبها كى تعـــرض على المسرح فهى عبارة عن مونولوج طويل جداً، ولكن يتوافر فيه معنى دراما القصيدة بالمفهوم الحديث الآن للتصاعد الدرامى.

القصيدة على لسان واحد من عبيد الملك الطروادى برياموس، وكان هـــذا العبد مكلفاً بحراسة الأميرة ألكساندرا ابنه الملك، وكانت ألكساندرا عـــرافة لديهـــا الكثـــير من العلم الذى وفر لها القدرة على التنبؤ بأحداث الـــزمان، ويذكـــر العـــبد فى تلك القصيدة جميع التنبؤات التى فاهت بها الأمـــيرة ألكســـانرا لتحذير والدها بريامو س مما سيجرى فى مملكته من أحداث فى مستقبل الزمن.

ويمكن تقسيم القصيدة من حيث الموضوعات التى تشتمل عليها إلى الآتى:

١- مقدمة: من البيت الأول حتى البيت ٣٠.

٢- دمار طروادة وجريمة إيلس: من البيت رقم ٣١ حتى البيت رقم٣٦٤.

٣- عـــودة الإغريق إلى وطنهم بعد حرب طروادة: من البيت رقم ٣٦٥

إلى البيت رقم ١٢٨٢.

٤- قصـــة الصراع بين أوروبا وآسيا: من البيت رقم ١٢٨٣ إلى البيت رقم ١٤٥٠.

٥- خاتمتان: من البيت رقم ١٤٥١ إلى البيت رقم ١٤٧٤ الذى هو نهاية القصيدة.

ويذكر الشاعر فى أواخر القصيدة ان هناك رجلاً من نسل ألكساندرا ســوف يحــارب ذئــب مقدونــيا، ثم يتصالح معه بعد ذلك ويتقاسم معه الأســلاب والغنائم، والقصيدة تدور حول فكرة محورية تتحدد فى المعاناة التى لاقاها الإغريق والكوارث التى لحقت بهم نتيجة لما صنعوه بطروادة من تخريب وتدمير وقتل.

******

رأى الــبعض أنــه لاتوجــد فى الشعر اليونانى كله قصيدة تضارع قصــيدة ألكساندرا فى غموضها من ناحية مفرداتها أو أسلوبها أو المعانى المقصــودة منها، فقد نحت ليكوفرون عدداً كبيراً من الكلمات لم يستخدمه أحــد من قبله، كما استخدم كلمات عامية كثيرة خلال القصيدة، وقليلاً ما يذكر أسماء الآلهة المعروفة، وإنما يذكر تلك الآلهة بأسماء بعض عباداتها الغامضة، ويذكر الأبطال بأسماء حيوانات أو بصفات وعبارات تحتاج إلى اطّــلاع غــير عادى على الأساطير القديمة المهملة، ويطلق على البلاد أسماء أنهارها أو جبالها أو مدينة أو موضع بها، وكانت كل هذه الألوان مــن الإحــالات والاستخدامات غريبة على ذوق المتلقى فى عصره وفى العصور التالية.

ولا بــأس مــن الاسترشاد بجزء من بداية قصيدة ألكساندرا.. يقول ليكوفرون الخالكيدى:

واحسرتاه!
أى حاضنتى التعسة
يامن أضرمت فيك النيران
بأشجار الصنوبر المقاتلة
على يد أسد الليالى الثلاث
الذى التهمه كلب تريتون
ذو الأنياب الحادة بفكيه
لكّن ممزّق أكباد الضوارى
ظل حياً
يغلى فى بخار غلاية
وضعت على موقد بلا لهب
وجعل شعر رأس خصمه
يسقط على الأرض
إنه قاتل أطفاله
ومدمر وطنى وأرض آبائى
ومن أصاب أمه الثانية
فى صدرها الذى لايُجْرَحُ بسهم وبيل
إنه أيضاً..
من حمل بذراعيه فى وسط الحلبة
جسم أبيه
الذى كان ينازله
بالقرب من جرف كرونوس شديد الانحدار
حيث قبر أيسخينيس

ابن ربة الأرض
الذى يصيب الخيول بالفزع
وإنه أيضاً..
الذى صرع أنثى الكلب الضارية
التى كانت تحرس
مضايق البحر الأوسونى الداخلية
والتى كانت تمارس الصيد من كهفها
تلك اللبؤة..
التى كانت تصرع الثيران
والتى ردها والدها للحياة من جديد
بأن أحرق جسدها بالمشاعل
وهى التى
لم تخش ليبتينيس ربة العالم السفلى
ولكن حانت الساعة
التى قضى عليه فيها
جثمانٌ ميتٌ
عن طريق خدعة
- لابنصل السيف -
قضى على ذلك
الذى قهر فيما مضى
هاديس ذاته

لقد ذكرتنى هذه القصيدة بشعر إيليوت، فهى تشبه قصيدة الأرض الخراب لإيليوت من حيث مستويات القراءة، حين تقرأها دون النظر إلى مافـيها مـن إحالات يصل إليك المعنى الذى يقصده الشاعر، فإذا قرأتها

وأنت تضع فى الاعتبار ما اشتملت عليه من إحالات تجد المعنى قد تعمق كثــيراً، فإن فى كل سطر فى القصيدة إحالة، هذه إلى أسطورة فرعونية، وتلــك إلى حادثة وقعت فى بلاد الهند، وتلك إلى مسرحية من مسرحيات شكسبير.. وهكذا.

كذلك قصيدة ليكوفرون، ولنضرب مثلاً ببيت واحد حيث يقول:

إنه قاتل أطفاله

ومدمر وطني وأرض آبائي

إن صــــورة ذلــك الشخص تدل على أنه قاس جبار، يفعل ما لا يســـتطيع أحد أن يفعله مهما كان، فهو قاتل أطفاله وهو عمل فظيع، وهو قادر على أن يدمر البلاد والأراضى.

إذا نظــرنا إلـــى الإحالة الموجودة فى هذا البيت سوف نعلم أن ذلك الشخص هو هيراكليس (هرقل) ذلك البطل الأسطورى الجبار، حين نعلم ذلك سوف يزداد المعنى أتساعاً ويعطى ظلالاً جديدة لما يقصده الشاعر.

وفـــى الحقــيقة كان لأسطورة هرقل صدى عميق فى نفوس الناس، وشغلت الشعراء كثيراً فى تلك العهود القديمة، وكانت مصدر إلهام للعديد مـــن أعمالهم، فالشاعر موسخوس ــ على سبيل المثال ــ الذى عاش فى القرن التالى (ولد ١٥٠ق.م. فى صقلية) يكتب قصيدته الحوارية الشهيرة مـــيجارا ، وهـــى عبارة عن حوار بين الكمينى والدة هيراكليس وميجارا زوجـــته الـــتى تحكى فى بداية القصيدة بأسلوب مؤثر كيف أقدم زوجها هيراكلـــيس علـــى قتل أطفاله منها فى نوبة جنون انتابته، وكيف أنه دائم الـــترحال لايفـــرغ مـــن عمـــل إلا ويتوجه لإنجاز عمل آخر من أعماله الأســـطورية الـــتى قدرتها عليه الآلهة.[٤] إن معرفة الإحالة قد أضاعت

---

[٤] السابق ــ ص٢٣٦.

المعنى، فأعلمتنا أن ما فعله ذلك الشخص ــ المذكور فى القصيدة ــ نتج عن حالة جنون، ولا يرجع ما فعله لحكمة، وأنه حين (دمر وطنى وأرض آبــائى) لــم يكــن ذلك لتقصير منى، ولكنه نتيجة لأن الآلهة كلفت ذلك الشخص بالقيام بهذا العمل الأسطورى الرهيب الذى لم يكن من المستطاع منعه فى حينه.

وتسير قصيدة ليكوفرون على هذا المنوال، تحمل قدراً من الثقافة لا حــدود لــه ، ففى كل بيت إحالة، إذا لم يعرفها المتلقى فسوف يصل إليه المعــنى المقصــود، وإذا عرفها فقد حصل على لذة المعرفة الحقة التى تحملها القصيدة.

ولــيس هــذا ما جعل النقاد القدامى يحكمون عليها بالغموض، إنما صورها السيريالية كانت هى السبب الكامن وراء هذا الحكم، ولننظر إلى هذه الصورة حيث يقول ليكوفرون:

لكنّ ممزِّق أكباد الضوارى

ظل حيا

يغلى فى بخار غلاية

وضعت على موقد بلا لهب

إنــه ظل حيا، بالرغم من أنه يغلى، ليس فى ماء الغلاية، وإنما فى بخارها، وتلك الغلاية موضوعة على موقد ، لكن الموقد بلا لهب.

نحــن الآن نستطيع إستيعاب هذه الصورة وإدراك أبعادها.. إنه حى يعــانى لدرجــة الغليان من آثار مايلقاه وهو موضوع على موقد لاتشعله النــيران وإنمــا تشعله نار الغضب والآلام والحرمان التى تجعل الإنسان يغلى من داخله ويظل حياً.

نعـــم.. نستطيع استيعاب تلك الصورة السيريالية وتفسيرها، ولكن كـــيف كان سيمكنهم استيعابها قبل الميلاد بثلاثة قرون؟ إن هذه القصيدة حملـــت كثيراً من الصور السيريالية الرائعة التى تجعلنا ندهش، من قدرة ليكوفرون على رسم مثل هذه الصورة الفنية فى ذلك الزمان.. إن ما كتبه فـــى قصـــيدة ألكساندرا بالذات يضعه فى مقدمة الشعراء المبدعين، وهو رائـــد الصـــور الشـــعرية الســـيريالية بلا منازع.. لقد تفوق ليكوفرون الخالكـــيدى فـــى الشعر وتألق فيه، لذلك ظل نجماً متألقاً فى سماء الشعر الإسكندرى.

الفصل الثاني

نجوم في سماء الشعر

فى الإسكندرية الإسلاميــة



ظافر الحداد .. العملاق

أنجبــت الإســكندرية عدداً وافراً من النجوم الزاهرة التى تألقت فى سماء الشعر، ويأتى فى الصدارة منها الشاعر العملاق ظافر الحداد.

هو أبو منصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله الحداد، ولد فى الإسكندرية فى أوائل النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى على الأرجح، وهو ينتمى إلى بنى جذام، وتنتمى أمه إلى قبيلة "فهم" من بنى لخم(١) .

نشــأ ظافــر فــى أسرة كادحة، وكان والده حداداً، وعلّم ابنه ظافراً الحــدادة، فعمــل فــترة مع أبيه، لكنه أحب الأدب، فطالع الكتب الأدبية، وتــردد على مجالس الأدباء فى الإسكندرية، وعشق الشعر، وبدأ يكتبه. **ويُحكــى أن ابــن ظَفرٍ أمير الإسكندرية أحضره مرة ليبرد له خاتماً قد ضاق على خنصره، فقال ظافر:**

قَصَّرَ عن أوصافك العالَمُ	فاعترف الناثر والناظمُ
من يكن البحر له راحــةً	يضيق عن خِنْصَرِهِ الخاتمُ(٢)

ونــتوقع أن يكــون هــذا الموقف بداية تحوله عن الحداده ، فإن الأمــير قــد كافأه على ما قال بإعطائه الخاتم الذي بَرَدَهُ ودار ذكره فى مجالس الأعيان مما يسر لــه الاتصال بكبار رجال الإسكندرية من ولاة وقضاة ومدحهم ونال جوائزهم.

---

(١) د. حســين نصــار ــ ظافر الحداد شاعر مصرى من العصر الفاطمى ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ١٩٧٥ ــص١٢.

(٢) جمــال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ــ النجوم الزاهرة فى ملــوك مصر والقاهرة ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ــ د.ت ــ ج٥ ص٣٧٧.

ولكـــن الأمـــر لـــم يكن بهذا اليسر، فقد رحب به بعض الأدباء فى المجـــالس، بيـــنما رفض البعض الآخر أن يشاركه" حداد" فى المجلس، وكـــان هـــناك صـــراع بيـــن همّته التى تسير به إلى الرفعة وبين حالته المتدنية، وقد عبّر عن ذلك قائلاً:

ولى هِمَّـــةٌ تـبغي الـنجوم، وحالـةٌ	تُصَحِّفُ مـا تبغيه ، فَهْىَ لها ضدُّ
إذا رفعتـنى تلـك، تُخْفِـضُ هـذه	فكـلٌّ تـناهى فـى إرادتـه الجِـدُّ
فما حال شخص بين هاوٍ وصاعدٍ	ولـيس لـه عـن واحـد منهما بُـدُّ
توالتـــنىَ الأرزاءُ حـــتى كأنمـــا	فـؤادىَ لكفـىْ كـلّ لاطمـةٍ خـدُّ[3]

شعور قاسٍ، مر به كثيرون، حين يدرك الإنسان أن كفاءته وقدراته ومواهـــبه قـــادرة على أن ترفعه إلى المكانة التى يستحقها، بينما تجذبه أحوالـــه الماديـــة والاجتماعية إلى السفح، لا يوجد نجم فقير، ولا تتماشى الوجاهـــة الاجتماعية مع الاحتياج، ولا ينال التقدير من يقاسى فى سبيل لقمة العيش. ولم يكن طموح ظافر الحداد مجرد أحلام، وإنما كان طموحه أمل يحمله عزم وتصميم على تحقيق النجاح.. يقول ظافر:

سـأتبع عـزمى حيـث أمَّ ، وأنـتحى	وجـوه المـنايا فـى ظهـور المخـاوفِ
عسى عزَّةٌ تُنجى من الذلِّ ، أو غِنًى	مـن الفقر، أو ألقى الردى غير آسفِ[4]

واقـــتحم ظافـــر الحـــداد منتديات الإسكندرية الأدبية،وتوثقت عرى الصـــداقة بيـــنه وبيـــن أبى الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت

---

[3] ظافـــر الحداد ــ ديوان ظافر الحداد ابن الإسكندرية ــ تحقيق د. حسين نصار ــ مكتبة مصر ــ ١٩٦٩ ــ ص١٨٥.

[4] ظافر الحداد ــ الديوان ــ ص٢٢٢.

الأندلسـى[٥] واعترفـت تلـك المجالس بظافر لما امتاز به من تفوق فى الشعر، فقد فتحت لــه موهبته أبواب الإبداع، فقال فى قصائده ما لم يقله غـيزه، وذاع شعره، ودخل القصور، واتصل بالكبراء والأعيان ثم شعر ظافـر الحـداد أن طاقـته الشـعرية أكبر من أن تظل دائرة فى نطاق الإسـكندرية، فشد الرحال إلى القاهرة، وهناك تعرف إلى بعض كبرائها ومدحهـم، لكـنه سارع بالعودة إلى الإسكندرية، ومكث فتره يتردد بين القاهرة والإسكندرية إلى أن عرف لدى الخلفاء والوزراء والقواد ، فأستقر بالقاهرة.

ظل ينازعه الحنين إلى الإسكندرية، وشعر بالغربة بالرغم مما حققه من مكانة وعز وثروة فى القاهرة، وفى ذلك يقول:

إن كانـت الإسـكندرية قـد	شـطت فأولتـنى نـوى قذفـاً
وسـكنت بالفسـطاط مغتربـاً	فلقـد كسـبت بغربـتى شـرفا
ورقيـت مـن مـدح الملـوك بهـا	رتـبا أنافـت فـى العـلا كـنفا
وكسـبت مـالاً لـو يوفـره	جـداوى لم أعـرف لـه طـرفا
لكـن ينازعـنى إلى وطـنى	شـوق إذا اسـتمهلته: عسـفاً
وأعـاف مصـر، وعيشـها رغـد	ويشـوقنى وطـنى ولـو عجفـا[٦]

وكـثرت قصـائد الحنين إلى الإسكندرية لدى ظافر الحداد، وأيضاً كثرت قصائد المدح، فقد كتب عدداً وافراً منها فى مديح الأفضل شاهنشاه بـن بدر الحمالى قائد جيوش الدولة الفاطمية الذى تولى الوزارة من عام

---

[٥] عـاش أبـو الصلت من ٤٦٠هـ . إلى ٥٢٩ هـ ولد بالأندلس وارتحل فى أول شـبابه إلى مصر. ومكث بها فترة تقترب من الربع قرن معظمها بالإسكندرية ثم أرتحل إلى المهدية عام ٥٠٦هـ.
انظر: د. فوزى أمين ــ الحركة الفكرية والأدبية فى الإسكندرية ــ ص٣٨١ إلى ٣٨٥.

[٦] ظافر الحداد ــ الديوان ــ ص ٢١٤.

٤٨٧هـ. إلى عام ٥١٥هـ. وبعد مقتله مدح الوزير المأمون محمد بن فاتك البطائمى، ثم مدح أحمد بن الأفضل حين صار وزير الدولة، كما مدح الخليفة الآمر[٧] ومدح أيضاً ابن عمه الخليفة الظاهر بن محمد بن المستنصر.

وتوفى ظافر الحداد فى القاهرة فى شهر المحرم عام ٥٢٩هـ.[٨] بعد أن خلف ديواناً حافلاً بالإبداع الشعرى المتميز، الذى يشير إلى قدرة صاحبه على الصياغة الجزلة والتصوير الفنى الناطق بالموهبة المتفردة والمشاعر الجياشة.

لقد عانى ظافر الحداد من الفقر وضيق الرزق فى الإسكندرية، وعاش فى القاهرة ميسور الحال، ولكنه كان دائم الحنين إلى الإسكندرية بالرغم من ذلك، وتنطق قصائده بشعور جارف من الحنين المضنى، يقول فى إحدى قصائده:

أقصاه جور البين عن أحبابهِ
وزمانـه وبلاده وشبابـهِ
ياهل إلى الإسكندرية أوبـة
فيسر قبـل مماتـه بإيابه؟
حيث النسيم الساحلى يـزوره
وندى رياض الرمل عطر ثيابه
ياليتنى أحظى بشم نسيمـه
وبديع منظـره، ولثم شراب[٩]

---

[٧] هو الآمر بن المستعلى بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله الفاطمى، حكم من ٤٩٥هـ.إلى ٥٢٤هـ.

[٨] أبـو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ــ تحقيق د. إحسان عباس ــ دار صادر ــ بيروت ــ د.ت. ــ جـ٢ــ ص٥٤٢.

[٩] ظافر الحداد ــ الديوان ــ ص٢١، ١٢.

ومـــن عيون قصائده فى الحنين إلى الإسكندرية قصيدته الرائية التى يقول فيها:

عسى يجرى الزمان على إختيارى	فيدنـــيني إلى وطـــنى ودارى
فـأدفع عاديـات الشـوق عـنى	وآخـذ مـن صـروف الـبين ثـاري
وأمــرح فـى مـيادين التصــابى	وأخلـع فـى ملاعـبها عـذارى
سمـت أشـجارها فالـنُّوْرُ فـيها	لفرط الضيق كالشهب الدرارى
سمـــاوات مـــن الأوراق فـــيها	شمــوس مـــن بــدور فــى ثمــار
وكـم ثغـر بـذاك الـثغر عـذب	كطعـم الشـهد فـى أرج العُقـار
سـقى الإسـكندرية كـل غيـث	يحـاكى بعـض أدمعـى الغـزار
فـوا أسـفاه إن فُقـدت حـياتى	ولم يـدن الـزمان بهـا مـزارى[١٠]

ولـــيس بمستغرب أن يكون فراق الأحباب من الموضوعات المهمة التى تشغل حيزاً كبيراً من قصائد ظافر الحداد.. يقول فى إحدى قصائده:

هــذا الفــراق.. وهــذه الأظعـــانُ	هـل غـير وقـتك للدمـوع أوانُ؟
قـد كنـت تدخـر الدمـوع لبيـنهم	فـالآن قـد وقـع الفـراق وبـانوا
عـــذر المتـــيم أن يكـــون بقلـــبه	نــار.. وبــين جفونــه الطوفــان
أفصح بما ضمنت دموعك من أسى	فعلـيك مـن أمـر الهـوى بـرهان
هـذا السـقام علـى ضـميرك شـاهد	عَـدْلٌ، فمـاذا يـنفع الكـتمان؟ [١١]

وقـــد امـــتاز ظافر الحداد بالقدرة على رسم الصورة مع استخدام الأضـــداد ، فهو يشبه الشباب بليل الوصال مع الحبيب حيث يمر سريعاً، بينما يشبه الشيب بنهار الفراق الذى يطول دائماً، مشيراً بذلك إلى الصلة بيـــن الليل وسواد الشعر فى زمن الشباب، وبين النهار وبياض الشعر فى

---

[١٠] السابق ــ ص١٣٢:١٣٣.

[١١] الديوان ــ ص٣١٦، ٣١٧.

زمن الشيب.. فيقول:

شباب تولى ما إليه سبيلُ ... وشَيْبٌ تبدّى ليس منه مقيلُ

فهذا كليل الوصل لوناً ومدةً ... وذا كنهار الهجر فهو طويل[١٢]

ولا يختتم الكلام عن ظافر دون الإشارة إلى قصيدته الذالية التى قدم لها ابن تغرى بردى قائلاً: **ظافر بن القاسم الأديب أبو منصور الجذامى الإسكندرية المعروف بالحداد، الشاعر المشهور، كان فصيحاً فاضلاً بليغاً، وشعره فى غاية الحسن، وهو صاحب القصيدة الذالية**[١٣] وقال ابن خلكان **إنها من مشهور شعره**، وقال: **هذه القصيدة من غرر القصائد** [١٤] وعدد أبياتها سبعة عشر بيتاً، **وحازت هذه القصيدة إعجاب أكثر الذين اتصلوا بظافر واطلعوا على ديوانه، فأوردوها فى كتبهم** [١٥] يقول ظافر الحداد فى قصيدته الذالية الشهيرة:

لو كان بالصبرِ الجميلِ ملاذُهُ ... ما سحَّ وابلُ دمعه ورذاذُهُ

مازال جيش الحب يغزو قلبه ... حتى وَهَى فتقطعت أفلاذه

لم يَبْقَ فيه مع الغرام بقيةٌ ... إلا رسيسٌ تحتويه جُذاذُهُ

من كان يرغب فى السلامة فليكن ... أبداً من الحَدَقِ المِرَاضِ عياذه

لا تُغْرُرَنَّكَ بالفتورِ فإنه ... مرضٌ يضر بقلبك استلذاذه

يا أيها الرَّشأ الذى من لحظه ... سهمٌ إلى حب القلوب نفاذه

دُرٌّ يلوح بفيك: من نَظَّامُهُ؟ ... خمْرٌ يجول عليه: من نَبَّاذُهُ؟

---

[١٢] الديوان ــ ص٢٤٧.

[١٣] ابن تغرى بردى ــ النجوم الزاهرة ــ جـ٥ ــ ص٣٧٦.

[١٤] ابن خلكان ــ وفيات الأعيان ــ جـ٢ ــ ص٥٤١.س

[١٥] د. حسين نصار ــ هامش ديوان ظافر الحداد ــ ص١٢٧.

وقناةُ ذاك القَدِّ كيف تُقوَّمَتْ؟   وسِنَأن ذاك اللحظِ ما فولاذه؟
رفقاً بجسمك لايذوب فإننى   أخشى بأن يجفو عليهِ لاذه
هاروتُ يَعْجِزُ عن مواقع سحرِه   وهو الإمام فمن تُرَى أستاذه؟
تالله ، ماعلقتْ محاسنُك امرأ   إلا وعَزَّ على الورى استنقاذه
أغْزِيتَ حُبَّكَ فى القلوب فأذعنتْ   طوْعاً وقد أوْدَى بها استحواذه

مالى أتيتُ الحظَّ من أبوابهِ   جهدى، فدام نفورُه ولواذه؟
إياك من طمَعِ المُنَى، فعزيزُه   كذليلهِ ، وغنُّيه شَحَّاذُه
ذاليَّة ابنِ دُرَيْدٍ استهوى بها   قوماً غداةَ نَبَتْ به بغْداذه
دانوا لزخرف قوله فتفرقوا   طمعاً فهم صرعاه أو جُذَّاذُه
من قَدَّرَ الرزقَ الذى لك أينما   قد كانَ ليس يضرُّه إنفاذه[١٦]

ذلك هو ظافر الحداد الشاعر الإسكندري الكبير الذى استطاع أن يصل إلى قمة شعرية عالية، مسطراً صفحة من نور فى تاريخ الإسكندرية الأدبى .

---

[١٦] ظافر الحداد ـــ الديوان ـــ ص١٢٧ ـــ ١٢٩.

ابن قلاقس الإسكندري

يعـد ابـن قلاقـس واحداً من ألمع النجوم المتألقة في سماء الشعر الإسـكندري، كانت حياته القصيرة. مليئة بالأحداث والتدفق وانعكس هذا على قصائده، فأنطلقت مفعمة بالصور الشعرية التي تتسم بالحركة فتبعث الحياة في جزئياتها، مع صفاء لغوي وجمال في التعبير.

وابن قلاقس الإسكندري هو **القاضي الأعز أبو الفتوح نصر بن عبد الله بـن مخلـوق بن علي بن عبد القوي اللحمي الأزهري الإسكندري، واشـتهر باسم ابن قلاقس الإسكندري، وقلاقس جمع قلقاس.[1] وينتهي نسبه إلى "لخم" وهي قبيلة يمنية حلت الثغر[2] .**

ولـد بالإسـكندرية ٤ ربـيع الثاني سنة ٥٣٢ للهجرة[3] في أسرة فقيرة، وقد اعتمد في بداية حياته على راتب ضئيل كان يمنحه إياه أستاذه الحـافظ السـلفي الـذي كان يدرس علوم الحديث ومسائل الخلاف وفقه الشافعي. وبدأ ابن قلاقس يتحسس طريقه في الحياة حين تفجرت موهبته الشـعرية، فمـدح أسـتاذه السـلفي، ثم اتصل ببعض أغنياء الإسكندرية ورؤسـاء الدواوين، فحقق بعض الشهرة وبعض المال، لكنه ظل مواظباً علـى حضـور مجالس أستاذه الحافظ السلفي، واتصل ابن قلاقس بأبي الحسـن علـي بن خليف، وكان من أثرياء الثغر النبلاء، المحببين للشعر والشعراء، فمدحه بعدد من القصائد ومدح أبناءه وأقاربه، ثم حدثت جفوة بيـن الرجلين تحولت إلى قطيعة، كانت من أسباب الخير لابن قلاقس إذ

---

[1] د. محمـد زكريا عناني ود. سعيده محمد رمضان ــ دراسات ونصوص في أدب مصر الإسلامية ــ الإسكندرية ــ ١٩٨٨ ــ ص٧٥.

[2] د. فوزي محمد أمين ــ الحركة الفكرية والأدبية في الإسكندرية في القرن السادس الهجري ــ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ــ الإسكندرية ــ٢٠٠٢ ــ ص٣٥٢.

[3] السابق ص ٣٥٣ .

جعلـــته لا يقـــنع بما حققه من شهرة قليلة ومال يسير بالإسكندرية، فشد الـــرحال إلـــى القاهرة، حيث التحق بالأزهر الشريف ليتلقى العلم، ولذلك لقـــب بالفقـــيه والشـــيخ، ثم لقب بالقاضى الأعز لعمله فى بعض دواوين الدولة، ولكن كانت هناك خلافات بينه وبين ناظر الديوان، مما جعله يكتب عـــنه عـــدداً مـــن القصائد ، التى دلت على ما كان يتحلى به ابن قلاقس الإسكندرى من خفة الظل وروح الدعابة، فنراه يقول:

ومـــن البلـــيّة أنـــنى فـــى بلـــدة ... ذَلَّ الـــتقىُّ بهـــا وعـــزّ الفاجـــرُ

أبصـرتُ فى الديوان أعمى جالساً ... فسـألتُ: من هذا؟ فقيلَ: الناظرُ[٤]

ويـــترك ابـــن قلاقس العمل بالديوان ليتكسب بشعره، فيتصل برجال عصره أمثال شاور وضرغام والصالح رُزّيك، ويرتحل للأمراء فى أنحاء مصـــر، ويتنقل بين القاهرة والفسطاط والإسكندرية، وتقع أحداث سياسية نتيجة للصراع الذى قام بين شاور وضرغام، وتضطرب الأحوال، وتكون الإســـكندرية فى بؤرة الصراع حيناً من الزمان، ويكون الشاعر القاضى الرشـــيد بـــن الزبـــير ناظر الدواوين بالثغر أحد زعماء الثورة، وتدور الأحداث فيضطر للاختباء، ويراسله ابن قلاقس، ولكن يهتدى رجال شاور إلى القاضى الرشيد، ويُساق إلى السجن، ثم يُقتل بعدها. فيؤثر ذلك تأثيراً عميقاً فى نفس ابن قلاقس الإسكندرى، ويقرر الرحيل عن الإسكندرية، بل عن مصر كلها التى انتشرت فيها القلاقل.

جلـــس ابـــن قلاقس على شاطىء البحر، ورأى السفن تروح وتغدو فـــتأجج فـــى صدره حب المغامرة، وقرر ركوب البحر، والارتجال إلى صـــقلية. كان زعيما المسلمين بها هما الشيخين السديد وابن الحجر. كان

---

(٤) د. محمد زكريا عنانى، ود. سعيده محمد رمضان ــ ص٨٣.

ذلك فى سنة ٥٦٢هـ. حيث عمر ابن قلاقس ٣٠ عاماً.

ابتعدت السفينة به عن شواطىء الإسكندرية موغلة فى البحر، فنظر إلى تلك المدينة الحبيبة إلى قلبه، إن فيها أستاذه الحافظ السلفي العالم الفقيه الجليل، وفيها تلميذه وجيه الدين بن الذروى صاحب البيت المشهور:

أقام يُعْمِلُ أياماً قريحتَـهُ

وفسّر الماءَ بعد الجهدِ بالماءِ[٥]

وفيها غيرهم من الأحباب والأصحاب، لكن ابن قلاقس لم يكن من هؤلاء الرجال الذين يبكون على مافات، لذلك التفت عن الإسكندرية، موجهاً ناظريه إلى البحر، آملاً أن يحقق فى صقلية مالم يتمكن من تحقيقة فى مصر. خاصة أن أهل صقلية الذين قابلهم من حجيج وتجار وعلماء وغيرهم ـ ممن مروا بالإسكندرية ـ قد زينوا له زيارة بلادهم.

وقد كانت صقلية فى أيدى المسلمين ثم أستولى عليها النورمانديون سنة ٤٤٤هـ. ولكن ظل المسلمون يمثلون الغالبية العظمى من السكان، كما تولوا كثيراً من المناصب القيادية. ووصل ابن قلاقس إليها سنة ٥٦٣ هـ. فى عهد الملك وليم الثانى أو غليالم. كما يسميه فى قصائده، وقصيدته فى مدح الملك النورماندى من الأعمال القليلة التى مدح بها شاعر مسلم ملكاً مسيحياً، يقول ابن قلاقس فى جزء منها:

مدحتك إيقاناً بأنك ملبسى

من الفخر ما أنجو به من يد الذمِّ

وأصبح صرف الدهر فى طوع خادمى

وقد كان يبدى لى مخالفة الخصم[٦]

---

[٥] السابق ـ ص١١٢.

[٦] السابق ـ ص١١٩.

والتقى ابن قلاقس فى البلاط الملكى بعدد من رجال الدولة الكبار، إلا أن صـــلاته الوطـــيدة قد تجلت فى علاقته بمسلمى صقلية، وفى مقدمتهم الشيخ السديد بن الحصرى، والشيخ أبو القاسم بن الحجر، والفقيه ابن فاتح قاضـــى صقلية، والشاعر ابن خلف الأموى الذى كانت له معه مراسلات شعرية. وكتب ابن قلاقس عدداً كبيراً من القصائد وهو فى صقلية، إلا أن أهمهـــا قصيدته النونية التى وصف بها مدن صقلية، وجعل عنوانها "حال الترحال" ، منها قوله:

أبليت بعـــــــــدك فى الأنام ظنونى

فظفرت عندهمو بكـــــــــل ضنينِ

شَدُّوا إلى (اهَلَكَ) دون أَهْلِكَ راجعاً

لولا يقينى فـــــــــــى علاك يقينى

وخرجت أطوى من (بَلَرْمَ) صحيفةً

ما نُشـِّرَتْ إلا لكـــــــــى تطوينى

ومنها قوله:

أجفلتُ من (جَفْلُودَ) إجفالَ امـــــرئٍ

بالدَّيْنِ يُطْلَبُ.. ثـــــــــمَّ أو بالدِّين

وتركتُها والنَّوْءُ ينـــــــزل راحتـــــى

عن مـــــــال قارونٍ إلى (قارونِ)

وجعلت (بَقْطَسَ) عن (لَبيرِى) جانباً

وركبتُ (جَوناً) كالليالى الجُــــونِ

كيف الخلاص إلى (مَلاَصَ).. وسورها

من حيث درتُ بـــــه يدور قرينى؟

وجعلت أنشد حين أنشد صاحبـــــى

من ذا يُمَسِّيني علـــى (مَسِّيني) ؟ [٧]

ويمضـــى ابن قلاقس فى قصيدته ذاكراً المدن الصقلية بشعر يتحلى بالانفعـــال والحـــركة بالرغم من جفاف موضوعها. وقد دون ما ألفه فى رحلته الصقلية من شعر ونثر فى كتاب بعنوان(الزهر الباسم فى أوصاف أبى القاسم) لكنه ضاع ولم يتبق منه غير نصوص فى بعض الكتب.

لـــم تطـــل إقامة ابن قلاقس الإسكندرى فى صقلية، فقد وجدها مليئة بالريـــبة والدسائس، فعاوده الحنين إلى مصر، حتى فى تلك القصائد التى مدح بها مسلمى صقلية، ومن ذلك قوله:

رحلوا... وهم بين الضلوع حلولُ

فأنـــــــحلّ عقدُ سلوةٌ محلولُ

غيرى يقـــــال له ازدهاه منزل

وزها له المشـــــروب والمأكول

ثم يقول:

وتركت بالفسطاط مُلْكاً وجهُــه

متلألئٌ ، والقول فيـــــه جميلُ

لكنْ سمعتُ عن السديد وفعلهِ

فأتيته لأريه كيف أقـــــولُ [٨]

وحيـــن قـــرر الرحـــيل وهبه الملك النورماندى مركباً مملوءاً جبناً. وأبحـــر أبـــن قلاقـــس مـــن صقلية ليعود إلى مصر سنة ٥٦٥هـــ. كان الفاطمـــيون فـــى أيـــامهم الأخـــيرة، وكان صلاح الدين الأيوبى قد ولى

---

(٧) السابق ــ ص١٢٥.

(٨) المرجع السابق ــ ص١٢٢.

الوزارة، ونزل ابن قلاقس إلى الإسكندرية فوطد صلته بواليها الأمير نجم الدين بن مصال ومدحه بعدد من القصائد، كما مدح الناصر صلاح الدين الأيوبى مهنئاً ..إياه بالانتصار على الفرنجة فى دمياط فقال:

تُهَزُّ بكِ الخطوبُ من الخطابِ

وتنهـزم الكتائـب بالكتابِ

وتُخْشَى نارُ حربك وهى تخبـو

فكيف إذا ارتمى شَرَرُ الحرابِ ؟

ركزتَ حشا اللعين بمنكساتٍ

على الأعقاب من جهة العقابِ[١]

ودارت أحـداث آنـذاك ، كـان الخليفة العاضد العباسى يحاول الـتخلص مـن صلاح الدين، وكان صلاح الدين يتحين الفرصة لإعادة مصـر تحـت راية الخلافة العباسية بعد أن سيطر عليها الفاطميون زمناً طويلاً منذ دخلها المعز لدين الله سنة ٣٦٢هـ. وشعر ابن قلاقس باقتراب اشـتعال نـار الفتن مرة أخرى. فاستشار صديقه الشاعر عمارة اليمنى، الذى شجعه على السفر إلى بلاد اليمن، خاصة أن أحمد العيدى هو رئيس ديوان الإنشاء بها وهو على صلة قديمة بابن قلاقس .

وهكـذا ارتحل إلى اليمن، فوصل إلى عدن وكان الحاكم الفعلى لها ياسر بن بلال بن جرير بن المحمدى، بينما كان الحُكْم من الناحية الاسمية للأميرين الصغيرين محمد وأبى السعود ابنى داعى عدن عمران بن محمد بـن سبأ. وكانت معظم مدائح ابن قلاقس الإسكندرى فى ياسر بن بلال، ومنها قوله:

مَلِكُ.. إذا حَفِيَتْ سنابكُ خيلِهِ

---

[١] السابق ــ ص١٤٦.

جعل الرءوسَ من الملوك نِعَالَهَا

لو كان يُخلق للمكـــارم والعلا

بـاعٌ ، لكان يمينُها وشمالَهَـا[10]

وقال فى مدح الأميرين الصغيرين:

أمِنَّا فى فنائكــــــــم الليالى

فلا طـــرق الفَنَاءُ لكم فِنَاءَ

وأحرزنـــا الغِنَى بندَى أكُفٍّ

كَفتْ مـــن رأم سقياه العَنَاءَ [11]

ونلاحـــظ أن مدائح ابن قلاقس الإسكندرى – بصفة عامة ــ مفعمة بالصـــور الشعرية، كتصويره لنعال الخيل، كما نلمح فى قصائده لمحات ذكية طريفة مثل ذكره أن ياسراً يمين وشمال المكارم والعلا لو كان لهما باع، وهو المسافة بين الكفين إذا فرد الإنسان ذراعيه بامتداد كتفيه، ونجد المحســنات البديعية كالطباق بين الرءوس والنعال ، كما نجد الجناس فى استخدامه الفناء (بفتح الفاء) وفناء (بكسرها) ، وغير ذلك، مما يعطى أشـــعاره جمـــالاً فنياً يحقق إعجاب المتلقى وإمتاعه بما تشتمل عليه من تدفق.

وصـــار ابن قلاقس ذا مكانة رفيعة عند ياسر بن بلال، ولكن عاوده الحنيـــن إلى الإسكندرية، وما من شاعر خرج من هذه المدينة مرتحلاً إلا امـــتلأت قصائده حنيناً إليها، وها هو ذا يصفها فيقول إنها أحب بلاد الله إلى قلبه، وأسعد لحظاته حين يرى هضابها على البعد وهو يقترب إليها، فهـــى الأرض التى شهدت مولده، وهى التى كان فيها طفلاً رضيعاً تعلق

---

(10) السابق ــ ١٥٦.

(11) السابق ــ ص١٥٧

أمه التمائم على صدره حتى لايحسده الناس.. فيقول ابن قلاقس:

أحب بلاد الله ما بين منعـج
إليّ وسلمـى أن تلـــوح هضابها
بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمـي
وأول أرضٍ مسّ جلدى ترابُها[١٢]

ولـــم تقتصر مظاهر حنينه على ما كتبه شعراً فحسب، بل تبدت فيما كتبه نثراً أيضاً، فقد كتب رسالة إلى أحد أصحابه بالإسكندرية يقول فيها:

(ومازالت - والإسكندرية قرار رسائلي ومدار مسائلي - أمسح بيد الأمل أعطاف الشوق الجامحة، وأسكن بأنامل المنى أجفان الشوق الطامحة... والأيام تدب بما لا أحب، وتأتى بما لايؤاتى، حتى اتفقت سفرة ركبتُ سنامها، وسلبتُ منامها، وأرخيتُ زمامها، وتوخيت إمامها، وشممت بقوص فى ذلك التراب رائحة الأقتراب... وكان من مسيرى إلى اليمن وعودى ما قوّم أودى، وأثبت طودى، وأبقل جودى، وضاعف ذودى، ولم يبق الآن إلا دارها ومدارها، وجاهها واتجاهها - إن شاء الله - من ثغر عيذاب).[١٣]

وعاد ابن قلاقس الإسكندرى إلى مدينته الحبيبة الإسكندرية، وحينذاك خفت اهتمامه بالشعر، وقرر أن يستثمر ما لديه من مال فى التجارة، لذلك لـــم يمكث إلا قليلاً وانطلق بتجارة كبيرة له ولبعض التجار، فمضى إلى سواحل مصوّع وأسمرة ، فباع ما حمله من أقمشة مختلفة، وأشترى بثمنه توابـــل وعطـــوراً، ومضى يقصد العودة لليمن، ولكن جنحت به السفينة فغرقـــت تجارتـــه وجزء من أشعاره سنة ٥٦٦هـــ. فقصد جزيرة دهلك وســـلطانها مـــالك بـــن أبـــى السداد، وجزيرة دهلك تقع بين بلاد اليمن

---

[١٢] السابق ــ ص١٥٩.

[١٣] السابق ــ ص١٦٠.

والحبشـــة، وهى بلدة ضيقة حرجة حارة، وكان بنو أمية إذا غضبوا على أحـــد نفوه إليها. وقد مدح ابن قلاقس الإسكندرى ملك الجزيرة، واستأذن فى الرحيل فقال:

ما ضر من لبس السواد بجسمه
ووراءه نفـس لـــه بيضـــــاءُ
وأشاء إذنك فى الرحيـــل فإننى
أسرى.. وشكرى فيك كيف تشاء
هذا مقام المستجير، ولـــم يخب
للمستجير لديك - قط - رجاء.(٤)

لكن الملك استبقاه بعض الوقت، فوعده بالإذن له بالرحيل، ثم ماطله، إلـــى أن أذن لـــه بعد ستة شهور، فمضى إلى عدن حيث عاد إلى رحاب وزيـــرها ياسر بن بلال، وقد عاد الشعر يتفجر فى صدره ويصف غرق ســـفينته فـــى قصيده من أروع قصائده تدل على مدى قدرته التصويرية فيقول موجهاً حديثه إلى ياسر بن بلال:

أجرنى من البحر الذى أنتا صارمُ
أجَرَّدُ من مالى به حيث أُغْمَدُ
طوانى بسُحْبِ الموج تحت سمائه
على أننى - يا أيها الشمس - فَرْقَدُ
وحاول إطفائى.. وإنى لجمتـــرةُ
يكـــــاد بنارى ماؤه يتوقد(٥)

---

(٤) السابق ــ ص١٦٣.
(٥) ص١٦٨.

ويعوّضــــه الوزيـــر عن كل ما خسره بسبب غرق سفينته وتجارته، ولكن ضياع شعره لم يكن لـــه عوَضٌ، وقال ابن قلاقس كثيراً من قصائد المدح فى ياسر بن بلال، وشعر أنه يعيش حالة دائمة من الترحال.. فقال:

بالثغر يوماً.. ويوماً فى صقليةٍ

ومصـــرَ يوماً، ويوماً فى رُبَى عَدَنِ

كأنــما أنا سهم والفلا غَرَضٌ

والبين قوسٌ، وراميها يد الزمنِ[١٦]

وللـــترحال فوائد جمة، ومتع كثيرة، ويوجد عشاق للسفر الدائم، لكن ابـــن قلاقـــس الإســـكندرى قـــرر الرحيل عن عدن ليعود إلى معشوقته الإسكندرية، فقد أحس بطول بعده عنها، وأراد أن يعود إلى ملاعب الصبا وإلى الأصدقاء والأهل والأحباب، ومن الطبيعى أن يحاول ياسر بن بلال اســـتبقاءه مختاراً غير مضطر، لكن ابن قلاقس كان قد عزم ـــ بالفعل ـــ على الرحيل، وقال حينذاك قصيدة ربما كانت أحسن قصائده بما اشتملت علـــيه من مشاعر متدفقة، وصور فنية فريدة، ولقطات ذكية، فقال مودعاً ابن بلال:

سَافِرْ إذا حاولت قَدْراً

سار الهلال فصار بدراً

ثم يعرض لما لاقاه فى الحياة غير عابىء بما قاله الوزير قاصداً تخويفه من البحر، فقال:

إمّـــــا ترينى شاحـــبَ الـ

وجنـــاتِ، قد أُلبِستُ طمراً

---

[١٦] ص١٥٩.

فوقائع الأيـــــام تُخرجُ

أهلهـــــا شعثاً وغبـــراً

مـــدّت إليّ الأربعـــــون

يداً، وقـــد قهقرتُ عشراً

واستحدثـــت فـــــي لمتي

نقطاً.. فهـــلا كُنَّ حبراً ؟

مرّت عليّ النائبـــــــات

تذوقنـــي.. فَوُجِدْتُ مُـراً

ومروّعي بالبحر.. يحسـب

أنني أرتـــــاع بـــحراً

أو مَا دَرَى أني بتسهيـــل

المصاعـب منه أدرى؟[١٧]

وكتـــب ابـــن قلاقـــس قصيدة طويلة أثناء إبحاره من بلاد اليمن إلى عـــيذاب فـــى مصـــر علـــى شاطيء البحر الأحمر، وصف فيها سفينته وربانهـــا، وذكر الأماكن التى مرت عليها سفينته موضعاً موضعاً، ويبدو أنـــه مرض أثناء الرحلة، فقد وافته منيته فى عيذاب فى شهر شوال سنة ٥٦٧هـــ. وهـــو لم يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره، وطويت صفحة حـــياته، لكـــنه ظل نجماً متألقاً فى سماء الشعر بما خطته يده من أشعار خالدة.

---

[١٧] السابق ــ ص١٦٩، ١٧٠.

الرشيد بن الزبير

الموسوعى العملاق

شاعر عملاق، عاش فى زمن الصراعات الكبرى، وألقى بنفسه فى غمارها، فرفعته أمواجها إلى أعلى المراتب، ثم ألقت به، ذلك هو القاضى الرشيد أحمد بن الزبير رئيس دواوين الإسكندرية.

القاضـــى الرشيد أحمد بن القاضى الرشيد على بن القاضى الرشيد إبراهــيم بن محمد بن الحسين بن الزبير القرشى الأسدى الأسوانى، ذو أصــل عــربى عــريق، ولد فى مدينة أسوان لأب عالم شاعر فى أسرة رفــيعة القــدر وافــرة الــثراء، وكان مولده فى أوائل القرن السادس الهجرى.

كانــت أســوان آنــذاك مركزاً تجارياً وعلمياً مهما لقربها من بلاد الحجــاز ومــن بــلاد اليمن، وقد استطاع القاضى الرشيد بن الزبير أن يحصّل قدراً كبيراً من العلم الموسوعى ، ويكفى أن نسترشد بما قاله عنه يــاقوت الحموى فى معجم الأدباء إذ قال: (كان الرشيد كاتباً، شاعراً، فقيهاً، نحوياً، لغوياً، عروضياً، مؤرخاً، مهندساً، منطقياً، عارفاً بالطب والموسيقا والنجوم) ، وهذه الصفات تدل على أنه تمكن من تحصيل ثقافة مذهلة.

❖ بداية الشهرة :

كــان العصر يموج بأحداث عظمى، فالصليبيون احتلوا بيت المقدس، ونــور الديــن محمود زنكى يتأهب لمقاومتهم فى بلاد الشام، بينما كانت الدولة الفاطمية فى النزع الأخير فى مصر.. ووقعت أحداث دامية مؤلمة حين تآمر الوزير عباس وابنه نصر على قتل الخليفة الظافر بالله إسماعيل

بـــن الحـــافظ لديـــن الله، ونجحت المؤامرة عام ٥٤٩هـــ، ليجعل الوزير عـــباس الخلافـــة للفائز بنصر الله عيسى بن الظافر المقتول، وكان عمر الفائز آنذاك خمس سنوات، وبذلك يتحكم الوزير فى مصر بلا منازع.

لكـــن أهل مصر لم يقبلوا ذلك، ويقال إن نساء القصر قطعن بعض خصلات من شعرهن، وبعثن بها إلى الصالح طلائع بن رُزَّيْكَ وكان والياً علـــى الصعيد، لكى يحضر بجيوشه ويقضى على الوزير الغادر عباس، فسار طلائع بجيشه وفـــر عباس.

وفـــى ظـــروف العـــزاء فى الخليفة الظافر الذى قتل غدراً، وصل القاضى الرشيد بن الزبير من أسوان، وحضر المأتم وهو يرتدى ثياباً رثة وطيلسانَ صوفٍ ، وأنشد شعراء الدولة مراثيهم حسب مرتبة كل شاعر، وكان الرشيد آخرهم بالطبع، فقام وبدأ قصيدته قائلاً:

ما للرياض تميل سُكْراً ؟

هل سُقِيَتْ بالمُزْن خِمراً

فشـــد انتباه الحضور، وانطلق فى إنشاد قصيدته بصوت مؤثر حتى وصل إلى قوله:

أفكر بـــلاءٌ بالعراق

وكربلاءُ بمصـــرَ أخرى ؟

وحيـــنذاك ســـالت دموع الحاضرين، وضج القصر بالبكاء والعويل وأشار القاضى الرشيد إلى طلائع بن رزيك فى قصيدته فقال:

قسماً بمن طاف الحجيجُ

ببيتـــــــــه شُعثاً وغُبْراً

لولا (طلائعُ) لم نكـــن

نرجو لِمَيْتِ الدِّينِ نشْراً

ومــا كــاد الرشيد يفرغ من إنشاد قصيدته حتى انثالت عليه العطايا مــن الأمراء ورجال الدولة والخدم وحظايا القصر، وعاد إلى منزله بمال وفير[1] وبعث إليه طلائع بن رزيك ـــ الذى صار وزيراً ـــ بمكافأة مالية كبيرة.

ثــم صــار طلائــع بن رزيك هو الملك الصالح طلائع، وكان أديباً عالماً، قرّب الأدباء والشعراء وفى مقدمتهم الرشيد وأخوه القاضى المهذّب الحســن بن الزبير، وصار المهذبُ أقربَ الشعرّاء إلى الملك الصالح، بل صــار مــن أصــدقائه المقربيــن، وتم تعيين الرشيد مشرفاً على مطابخ الخليفة.

❖ الرحلة إلى اليمن

صار الرشيد واحداً من هؤلاء الرجال الذين نالوا ثقة الدولة، وصار من الممكن تكليفه ببعض المهام، وبالفعل تم إرساله إلى بلاد اليمن حاملاً رسالة إلى داعى عدن.

وقّلــدَ الرشــيد قضاء اليمن وأحكامها ، وسُمّيَ (قاضى قضاة اليمن وداعــى دعاة الزمن) ولُقّبَ بـــ (علم المهتدين) ومدح هناك على بن حاتم الهمدانى بقصيدة قال فيها:

لئن أجدبتْ أرضُ الصعيد وأقحطوا

فلست أنال القَحْطَ فى أرض قحطانِ

ومــذ كفلــت لى مــــأربُ بمأربى

فلست على أســــوان يوما بأسوانِ

---

[1] د. محمــد زكريا عنانى ود. سعيدة محمد رمضان ـــ دراسات ونصوص فى أدب مصر الإسلامية ـــ الإسكندرية ـــ ١٩٨٨ ـــ ص١٧.

وإن جهلت حقى زعانـــفُ خندقٍ

فقد عرفــــت حقى غطارفُ همْذان

ويقــال أن الداعــى فى عدن قد حسده على ذلك، فكتب بالأبيات إلى الخليفة بمصر، وزاد عليها أن الرشيد يدعو لنفسه بالخلافة، فأثار الغضب علــيه، وحبســه الداعى، فأقام محبوساً فترة، ثم أرسله إلى قوص بمصر مقيداً، وتدخل المهذب لدى صديقه الملك الصالح طلائع بن رزيك فصدر الأمر بإطلاق سراح الرشيد وإكرامه والإحسان إليه، وإرساله إلى القاهرة معززاً مكرماً.

وتوفى الملك الصالح طلائع بن رزيك عام ٥٥٦هـ، وولى الوزارة مــن بعده الوزير شاور الذى أمر بتعيين القاضى الرشيد بن الزبير رئيساً لدواويــن الدولــة بالإسكندرية عام ٥٥٩هـ. وهى وظيفة تعادل وظيفة المحافظ الآن.

❖ الرشيد فى الإسكندرية

ألقــت الحياة السياسية بظلالها على حياة القاضى الرشيد فى هذه الفترة، لذلــك لا يمكنــنا الحديث عن حياته فى الإسكندرية دون الإشارة إلى تلك الأحداث.[٢]

توفى الصالح طلائع بن رزيك ٥٥٦هـ، وولى الوزارة ابنه العادل رزيــك، ولكــن انتزعها منه شاور السعدى ٥٥٨هـ، فهب ضرغام بن سوار ــ وهو من أعوان بنى رزيك ــ وسار بجيش كبير، فأضطر شاور إلى الهروب، فذهب إلى الشام حيث استعان بنور الدين محمود زنكى الذى

---

(٢) أنظــر : أحمد حسين ــ موسوعة تاريخ مصر ــ دار الشعب ١٩٧٨ ــ جـ٢ ــ ص٥٩٨وما بعدها.

بعث معه جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه وابن عمه صلاح الدين الأيوبى، فقـتلوا خصمه ضرغاما ٥٥٩هـ، وعاد الجيش إلى الشام، لكن شاور لم يَفِ بما تعهد به لنور الدين زنكى.

وصـار شاور يشك فى كل من كانت له صلة بآل رزيك لذلك بعث بالقاضى الرشيد رئيساً لدواوين الإسكندريةكي يبعده عن القاهرة .

جـاء الرشيد إذن إلى الإسكندرية وهو مضطر وكاره هذا المجىء، وبصفته ناظراً للدواوين السلطانية بالثغر زاد عطاء الناس خاصة الفقهاء، فأحبه أهل الثغر.

لم يكن القاضى الرشيد راضياً عن وزارة شاور، وحدث تحول كبير فـى اتجاهاتـه الفكرية، إذ تحول إلى السنة بعد أن كان من دعاة الشيعة، وصـار يكـثر مـن زيارة الحافظ أبى طاهر السلفى، يأخذ عنه الحديث النـبوى ويقرأ عليه، وانكب القاضى الرشيد على التأليف، فكتب عدداً من الكتـب القيمة، وصارت فترة وجوده فى الإسكندرية تمثّل الزمن الذهبى للتأليف بالنسبة إليه.

وكـان شاور يشك ــ كما قلنا ــ فى أعوان آل رزيك القدامى، وقد حـبس القاضـى المهذب ٥٦١هـ، ثم أفرج عنه، وبعدها توفى المهذب خائفـاً مهموماً، فقد تحول شاور إلى طاغية يقتل كل من يستريب فيه بلا رحمة، وقد زادت كراهية القاضى الرشيد لشاور نتيجة لهذا.

جـاء أسـد الدين شيركوه وصلاح الدين إلى مصر فى حمله عام ٥٦٢هـ ، وحقـق شـيركوه بعض الانتصارات، ودخل صلاح الدين الأيوبـى إلى الإسكندرية بمعاونة أهلها ــ ومنهم القاضى الرشيد ــ لكن شيركوه وصلاح الدين اضطرا للانسحاب حينما استعان شاور بالصليبيين.

وكان لا بد من تصفية الحساب، قام شاور السعدى بتعذيب القاضى

الرشيد بن الزبير ثم قتله عام ٥٦٣هـ،[٣] ومن عجائب مايروى أن حملة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين عادت إلى مصر عام ٥٦٤هـ، وهزمت شاور، وقتلته، فاتفق أن حفر له ليدفن، فوجد الرشيد بن الزبير فى الحفرة مدفوناً ، فَدُفِنَا معاً، ثم نُقِلَ كل واحدٍ منهما إلى قبر بمدافن القاهرة.

أما الأحداث بعد ذلك: فقد صار شيركوه وزيراً، وتوفى بعد شهرين ليصير صلاح الدين الأيوبى هو الوزير، وبعد عام واحد أى سنة ٥٦٥هـ توفى الخليفة الفائز، وولى الخلافة العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ، وفى عام ٥٦٧هـ أسقط صلاح الدين الأيوبى الخلافة الفاطمية، ليقيم الدولة الأيوبية ويسجل صفحات من نور فى تاريخ العرب.

❖ شعر القاضى الرشيد

كان سجن الرشيد فى بلاد اليمن من التجارب المريرة التى مر بها فى حياته، وقد كتب قصيدة تتفجر غضباً وألماً.. يقول فيها:

ونزلت مقهور الفؤاد ببلدةٍ

قلّ الصديقُ بها .. وقلّ الدرهمُ

فى معشرٍ خُلِقوُا شخوصَ بهائم

يصدى بها فكر اللبيب ويبهمُ

إن كُرِّمُوا لم يَكْرُمُوا، أو عُلِّموا

لم يَعْلَمُوا، أو خوطبوا لم يفهموا

---

[٣] جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر د.ت.ــ جـ٥ ــ ص٣٧٩.

لا تُنفَقُ الآدابُ عندهمـــو ، ولا

الإحسان يُعرف فى كثيرٍ منهمو

صُمٌّ عن المعروف .. حتى يسمعوا

هجر الكلام.. فيقدموا ويقدّموا

فالله يُغْنى عنهمو، ويزيد فـــى

زهدى لهم، ويفك أسرى منهمو

وكـــان القاضـــى الرشيد شديد الاعتداد بنفسه وكان عالى الهمة، سامى القدر، عزيز النفس، يترفع على الملوك، وكان ذا علم غزير وفضل كثير، لذلك نجد فى شعره كثيراً من معانى العزة ورفض الذل.. يقول:

إذا ما نَبَتْ بالحُرِّ دارٌ يودهـــــا

ولم يرتحل عنها .. فليس بذى حَـزْمِ

وَهَبْهُ بها صبا .. ألم يَدْرِ أنهـــا

سيزعجه منها الحِمـــام على رغم ؟

ولم تكن الدنيـــا تضيق على فتى

يرى الموت خيراً من مقامٍ على هَضْمِ

وهو عظيم الاعتزاز بنفسه .. يقول:

لا تَغْرُرَنَّ بأطمارى وقيمتها

فإنما هى أصدافٌ على دُرَرِ

ويقول:

غيرى يغيّره عن حُســـْنِ شيمتهِ

صَرْفُ الزمان وما يأتى من الغِيَرِ

لو كانت النار للياقوت مـــحرقةً

لكان يشتبهُ الياقوتُ بالحَجَـــرِ

وتـــتجلى قوته الروحية ومقدار عزة نفسه فى أصعب المواقف ، فها هو ذا يقول وهم يسوقونه إلى القتل :

إن كان عندك يا زمان بقيةٌ

مما تُهِينُ به الكرام فهاتها

وتتأجج العاطفة فى قلب القاضى الرشيد وهو يصور ارتحاله عن مصر .. حيث يقول:

رحلوا.. فلا خلت المنازل منهمــــو

ونَأوْا .. فلا سَلَت الجوانح عنهمـــو

وسَرَوْا .. وقد كتموا الغداةَ مسيرهم

وضياءُ نورِ الشمس : ما لا يُكْتَـــمُ

وتبدلوا أرضَ العقيق عن الحمـــتى

رَوَّتْ جفونى أىَّ أرض يممــــــوا

نزلوا العذيب.. وإنما فى مهجتـــى

نزلوا.. وفى قلب المتيم خيّمــــوا

ما ضرهم لو ودّعوا من أودَعَـــوُا

نارَ الغرام .. وسلّموا من أسلمـــوا

تشـــتمل هـــذه المقطوعة على كثير من الظواهر الفنية التى امتاز بها شعر القاضى الرشيد بن الزبير، فهو يحتفى بالموسيقا فى شعره إلى درجة كبـــيرة حيـــث الموسيقا جزء مؤثر فى تجربته الفنية، ولننظر إلى البيت الأول.. لقـــد قسم التفعيلات تقسيماً ساعد على إيجاد نغمات متساوية فى شطرى البيت، حيث الشطر الأول(١) والشطر الثانى(٢) .

١- رحلوا= فعلن ـــ ـــ ـــ٥

٢- ونأوا = فعلن ـــ ـــ ـــ٥

١- فلا = فعو = ـــ ـــ ٥

٢- فلا = فعو = ـــ ـــ٥

١- خلت الـــ = فعلن = ـــ ـــ ـــ٥

٢- سلت الـــ = فعلن = ـــ ـــ ـــ٥

١- منازل = مفاعل = ـــ ـــ ٥ ـــ ـــ

٢- جوانح = مفاعل = ـــ ـــ ٥ ـــ ـــ

١- منهم = فاعلن = ـــ ٥ ـــ ـــ ٥

٢- عنهمو = فاعلن = ـــ ٥ ـــ ـــ ٥

نلاحـــظ الـــتطابق التام فى تقسيم التفعيلات إلى جزئيات جديدة، هى مكونات التفعيلات الأصلية لبحر الكامل: متفاعلن متفاعلن (فى كل شطر) وهو البحر الذى تلتزمه القصيدة.

ولـــنأت إلى الشطر الأول من البيت الثانى.. لقد بدأه كما بدأ شطرى البيت الأول فقال:

وسروا = فعلن = ـــ ـــ ـــ ٥

وقد = فعو = ـــ ـــ ٥

كتموا ال = فعلن = ـــ ـــ ـــ٥

غداة = فعولن = ـــ ـــ ٥ ـــ ٥

هـــنا اخـــتلف التقســـيم التفعيلى، فهو لم يأت بـــ (مفاعل)، وإنما جاء بـــ (فعولن)، فكأنه يريد أن يقول إن التوازى فى التفعيلات الذى استخدمه فى البيت الأول، والذى استخدم جزءاً منه فى بداية البيت الثانى سوف ينتهى

هاهـــنا كى يدخل فى النسق العادى لتفعيلات الكامل دون التزام بالتوازى الموسيقىّ.

ويكمل الرشيد بيته الثانى، ثم يمضى فى بيته الثالث، ويدخل إلى بيته الـــرابع فيقول الشطرَ الأولَ، وحين يصل إلى الشطر الثانى نجده يذكرّنا بالنسق الموسيقىّ الذى استخدمه فى البداية.. فيقول:

نزلوا = فعلن = ــ ــ ــ٥

وفى = فعو = ــ ــ ٥

فمـــاذا أراد أن يقـــول الرشيد هاهنا؟ إنه ينبهنا إلى الدخول فى نسق موسيقىذ فيه نوع من التوازى النغمى، فيمضى إلى البيت الخامس حيث يقول:

ما ضرهم = متْفاعلن = ــ ٥ ــ ٥ ــ ٥

لو ودّعوا = متفاعلن = ــ ٥ ــ ٥ ــ ٥

من أودعوا = متفاعلن = ــ ٥ ــ ٥ ــ ــ ٥

نار الغرام وسلموا = متْفاعلن متَفاعلن = ــ ٥ ــ ٥ ــ ــ ٥/ــ ــ ــ ٥ ــ ــ ٥

من أسلموا = متفاعلن = ــ ٥ ــ ٥ ــ ٥

كأنـــنا نستمع إلى مقطوعة موسيقية متكاملة، يلعب الإيقاع فيها دوراً يشـــير إلى كثير من المعانى، وتوازر الإيقاع نغمات نشأت عن استخدام الجناس فى قوله:

خلـــت / ســـلت، منهمو / عنهمو، نزلوا/ نزلوا، يمموا/ خيموا، ودعوا/ أودعـــوا، ســـلموا / أسلموا ، ويعين على ارتفاع بعض النغمات وبروز نبرها استخدام التفعيلة كاملة فى قوله:

فى مهجتى/ ما ضرهم/لو ودعوا/ من أودعوا / من أسلموا.

وتتجلى المقدرة البيانية عند القاضى الرشيد فى استخدام الحدف، أو الكف عن تكملة المعنى، ويتضح ذلك فى البيت الخامس حيث يقول:

ما ضرهم لو ودعوا من أودعوا نار الغرام

ثم يقول:

وسلموا من أسلموا

ويكف عن تكملة المعنى، إذ صار مفهوماً أنه يريد أن يقول: وسلموا من أسلموا لنار الغرام.

لقد كان القاضى الرشيد موسوعى المعرفة، ولا شك أن علمه بالعروض هو الذى أتاح له استخدام التفعيلات بهذه الطريقة البارعة بالإضافة إلى علمه الموسيقا .

وكان الرشيد من أسرة شاعرة، فأبوه شاعر وأخوه المهذب بن الزبير شاعر، وولداه على بن الرشيد وإبراهيم بن الرشيد شاعران.

ويبقى السؤال: هل يحسب القاضى الرشيد بن الزبير على الإسكندرية ؟؟.

إن الكتب التى تؤرخ للأدب فى الإسكندرية ذكرت من وفد إليها من الشعراء منذ العصر القديم، حتى أولئك الذين عاشوا فيها سنوات قليلة أمثال ثيوكريتوس، وفى العصر الحديث أمثال إيليا أبي ماضى، ومن المعروف أن **القاضى الرشيد قد كتب كثيراً من مؤلفاته فى الإسكندرية**[4] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أتصور أنه كان ذا نشاط علمى وأدبى مؤثر خلال وجوده بالإسكندرية، فهو كان رئيس دواوينها السلطانية وهذا

---

[4] د. محمد زكريا عنانى، د. سعيدة محمد رمضان ـــ دراسات ونصوص فى أدب مصر الإسلامية ـــ ص٢٣.

يعنى أنه كان محتكاً احتكاكاً مباشراً بكتابها وأدبائها، كما كان يحضر عند الحافظ السلفى، ونحن نعلم أنه كان يحتفى بالعلماء والأدباء، فقد كان يفتح صــــدره لابـــن قلاقـــس وغيره من الشعراء، بل وكان ينفق على بعضهم ويجعل له رواتب، ومن هنا نرجّح أن الرشيد بن الزبير كان له تواجد بين أدبـــاء الإسكندرية وشعرائها، لذلك هو محسوب على الإسكندرية لإقامته بهـــا، والمحـــك هاهنا يرتكز على التأثر والتأثير وليس فى عدد السنوات التى قضاها بها طويلة كانت أم قصيرة .

وعلـــى أية حال لقد كان القاضى الرشيد بن الزبير علماً فى عصره، فقـــد كـــان من رجال الدولة الكبار، وكان عالماً موسوعياً ألف فى أخبار العرب وتاريخ أسوان وفى الفلك وغير ذلك، كما كان شاعراً مجيداً، كتب قصائد رائعة جعلت منه نجماً مضيئاً فى سماء الشعر.

البوصيرى

أشهر المادحين

يـــتجمع المـــريدون بعد صلاة الجمعة فى مسجد الإمام البوصيرى ـــ القريـــب من مسجد أبى العباس المرسى ـــ لكى ينشدوا قصيدة البردة حـــتى يومنا هذا ، وهى أشهر المدائح النبوية فى الشعر العربى وأكثرها تأثـــيراً، تمـــت معارضتها وتشطيرها وتخميسها مرات عدة، ولعل أشهر معارضاتها قصيدة أحمد شوقى نهج البردة.

أما مؤلفها فهو الإمام الصوفى والأديب الشاعر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن أبى سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك الصنهاجى الذى اشتهر باسم البوصيرى، وهو ينحدر من أصل مغربى حيث ينتمى إلى بنى حبنون من فروع قبيلة صنْهَاجة العربية التى استوطنت بلاد المغرب، **ولد البوصيرى فى بلدة دلاص ـــ موطن والدته ـــ فى أول شهر شوال (يوم العيد) سنة ٦٠٨هـــ/ ١٢١٣ م. وشب فى بلدة بوصير، وهى قرية قديمة تقع بين الفيوم وبنى سويف، وكان والده مـــنها**[١]. بدأ حياته الدراسية فى قريته بحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى القاهـــرة لـــيكمل دراسته فى مسجد الشيخ عبد الظاهر حيث درس العلوم الدينـــية، وجانـــباً من علوم اللغة والعروض، كما درس الأدب والتاريخ الإسلامى وبخاصة السيرة النبوية المشرفة.

كان البوصيرى فقيراً جداً، وكان حسن الخط، ولم يجد عملاً متاحاً غـــير كـــتابة شواهد القبور، ثم ساعدته الظروف على الانتقال إلى عمل آخـــر، فالـــتحق بوظـــيفة فى ديوان مدينة بلبيس بالشرقية، وصار كاتباً

---

[١] نقولا يوسف ـــ أعلام من الإسكندرية ـــ ص٢١٣.

للحســابات، ومكث فى تلك الوظيفة عدة سنوات، رأى خلالها من أحوال الموظفيــن ماجعلــه يكره العمل بينهم، وكان قد بدأ يكتب الشعر منذ كان يــدرس فــى جــامع الشيخ عبد الظاهر، فعالج بالشعر مارآه من أحوال الموظفين بكافة طبقاتهم، وهجاهم بقصائد كثيرة، مثال ذلك قوله:

انظر بحقك فى أمـــر الدواوينِ

فالكل قد غيروا وضــع القوانينِ

لم يبق شيء على ماكنــت تعهده

إلا تغيَّر من عـــــالٍ إلى دونِ

الكاتبون .. وليسوا بالكرام، فما

منهم على المال إنســانٌ بمأمونِ

ويقول فى قصيدة أخرى:

ثكِلتُ طوائفَ المستخدمينــا

فلم أرَ فيهمو رجلاً أمينـــا

وقد عاشرتهم ولبثت فيهـــم

مع التجريب من عمرى سنينا

ثم يقول:

وجُلُّ الناسِ خوَّانُ . ولكنْ

أناسٌ منهمو لا يسترونــا

ولولا ذاك ما لبسوا حريراً

ولا شربوا خمور الأندرينا

لــيس بمستغرب إذن أن يترك البوصيرى تلك الوظيفة، قرر الانتقال إلى القاهرة لكى يفتتح كتاباً لتعليم الصبيان حفظ القرآن الكريم، ولكن لم تستقم

الأحوال خاصة أنه كان قد تزوج امرأة أرهقته على كل المستويات، فكان العـــناء يحاصره فى العمل. وفى البيت أيضاً، وكانت امرأة ولودا أرهقته بكثرة العيال، يقول فيها :

وَبليتَى عِرْسٌ .. بُليتُ بمقتها

والبعل ممقوتٌ بغير قيـــام

ثم يقول:

إن زرتُها فى العام يومـــاً أنتجت

وأتت لستةِ أشهـــــرٍ بغلامِ

أصبحتُ من حملى هموهمو على

هرمى، كأنى حاملُ الأهـرام

ولا يخفـــى ماكـــان يـــتحلى به البوصيرى من خفة الظل وروح الدعابة والفكاهـــة، ولاشــك أن فقـــره كـــان السبب فى خلافه الدائم مع زوجته، وضاقت أحواله، حتى بعث إلى أحد الوزراء يشكو له بؤس أولاده ويقول:

صاموا مع الناس.. ولكنهم

كانـــــوا لمن أبصرهم عِبْرَةْ

***

فارحمهمو إن عاينوا كعكةً

فى كف طفلٍ، أو رَأَوْا تَمْرَةْ

تشخص أبصارهمو- نحوها

بشهقـــةٍ تتبعهـــا زفـــرة

وضـــاقت الأحـــوال بالبوصيرى وساءت، فقرر الانتقال بأسرته إلى الإسكندرية حيث استوطنها وعاش بها إلى نهاية حياته، وفيها كتب روائعه

فى المديح النبوى.

كان القرن السابع الهجرى يمتاز بانتشار التصوف فى مصر، ونمت النزعة الدينية، فظهر عدد من أعلام التصوف البارزين من مشايخ الطرق الصــوفية أمثال: إبراهيم الدسوقى، وأبى الحسن الشاذلى، والسيد البدوى، والصباغ، والدرينى.. وغيرهم، وقد ذاع التصوف وانتشر نتيجة لظروف ذلــك العصــر، فــإن الظلم والاضطهاد والغربة فى داخل الوطن جعل المصريين يتجهون اتجاهاً غير دنيوى، فأنغمسوا فى التصوف، خاصة أن الواقع كان مؤلماً، فالصليبيون استعادوا بعض المواقع التى حررها صلاح الدين من قبل، والضغوط النفسية التى أحدثها زحف التتار، والقضاء على الخلافــة الإسلامية فى بغداد، وفقدان معظم أرض الأندلس، بالإضافة إلى مــا كانــت تعانيه مصر من خراب اقتصادى من كثرة الحروب والأوبئة والمجاعــات الرهيــبة، بينما كان المماليك يملأون الأرض ظلماً وفساداً ويغتصــبون خــيرات الــبلاد، وانتشرت لذلك فرق المتصوفة هروباً من بشاعة الواقع إلى حياة يشيع فيها الرضى والراحة النفسية، وكانت الفرق الصــوفية متــنوعة الاتجاهات، منها ما يزعم الحلول، ومنها ما يرفض الخرافة مثل الشاذلية إذ كان أبو الحسن الشاذلى يلزم أصحابه وأتباعه بألا يقولــوا قــولاً يخــالف أو يتعارض مع ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النــبوية المشرفة ، وكان البوصيرى يرفض الخرافة والبدع التى قال بها بعــض المتصرفة، وكان تصوفه واعياً ، لذلك انتمى إلى الشاذلية، حيث كــان يــتزعمها آنــذاك أبو العباس المرسى ـــ تلميذ الشاذلى ـــ وصار البوصــيرى واحداً من أتباع أبى العباس وتلاميذه ، وكان من تلاميذ أبى العــباس أديبان إسلاميان أحدهما ابن عطاء الله الإسكندرى الذى برز فى مجال النثر، والبوصيرى الذى تفوق فى الشعر.

كتــب البوصــيرى شــعراً فى أغراض كثيرة ما بين مديح وهجاء

ومقاومـــة الفســـاد فـــى الإدارة، لكنه اتخذ مكانته بين الصوفية من خلال ماكتـــبه مـــن قصائد جادل فيها أهل الكتاب فى دعاواهم، ودافع فيها عن الإســـلام وحقائقـــه، واتخذ مكانة شعبية بين أهل مصر من خلال مدائحه النبوية.

لقـــد عـــاش البوصيرى فى مكابدة وفقر وجوع، وانعكست ظروف عصـــره القاســـية علـــى شـــعره، لكنه وجد الخلاص فى التمسك بدينه، والالتجاء إلى حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب عدداً كبيراً من القصـــائد فـــى المديح النبوى، وما من شاعر حفل ديوانه بهذه الكثرة من المطـــولات من المدائح النبوية غير البوصيرى، ولعل من أهمها قصيدته الهمـــزية المسماة (أم القرى فى مدح خير الورى) التى تقع فى أكثر من ٤٥٠ بيتاً، واستهلها بقوله:

كيف تَرْقَـــى رُقِّيكَ الأنبياءُ

يا سماءً مـــا طاولتها سماءُ

أمـــا أشـــهر قصائده فهى قصيدته (الكواكب الدرية فى مدح خير البرية) وسميت البردة وسميت البرأة، وهى ميمية تقع فى ١٦٠ بيتاً، وقد جمعت هـــذه القصـــيدة بيـــن مديح الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وجهاده، والتوســـل به، ولها شروح كثيرة بالعربية والفارسية والتركية والأوردية والبربرية.

ومـــا أشـــيع عـــن هذه القصيدة رفع مكانة البوصيرى بين الناس، ونســـبت إليه المناقب والكرامات، لدرجة أن بعض الصوفية زعموا أنه بلـــغ مقـــام (الغَوْثِـــيَّة الكبرى) وعندما كان يمشى بين الناس يسرعون بتقبيل يديه والتبرك بمصافحته، ويشيعون أن الرائحة العطرة تنبعث منه

لتعطر الجو من حوله أينما سار أو جلس[٢] وذكر الرواة عن البوصيرى أنه قال:

(كنـــت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منها ما كان اقترحه علىَّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن صاحبنى فالج (شلل) أبطل نصفى، ففكرت فى عمل قصيدتى هــذه فعملتها، واستشفعت بها إلى الله ــ تعالى ــ أن يعافينى، وكررت إنشادها، ودعوت وتوسلت، ونمت فرأيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمسح وجهى بيده المباركة، وألقى على بردة، فأنتبهت، ووجدت فى نهضـــة، فقمــت وخرجت من بيتى، ولم أكن أعلمت أحداً بذلك، فلقينى بعض الفقراء، فقال لى: أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ــ صـــلى الله علـــيه وسلم ــ فقلت: أيها؟؟.. فقال: التى أنشأتها فى مرضك وقلت فى استهلالها:

أمن تذكر جيرانٍ بذى سَلَمِ

مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

وقال: والله لقد سمعتها البارحة وهى تُنشد بين يدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورأيته يتمايل واعجبته، وألقى على من أنشدها بردة، رأيــت ذلــك فـــى مـــنامى. فأعطيته القصيدة، وذكر الفقير ذلك، وشاع المنام).[٣]

وكانت هذه الحكاية هى السبب الذى أدى إلى ما ذاع عن البردة من خرافات، فقد ذكر بعض الشراح لكل بيت من أبياتها فائدة، فبعضها أمان

---

[٢] عـــبد العال الحمامصى ــ البوصيرى المادح الأعظم للرسول ــ دار المعارف ــ ١٩٧٨ ص٢٥.

[٣] السابق ــ ص٢٦.

مـــن الفقر، وبعضها أمان من الطاعون .. وهكذا، لذلك حفظها كثير من الناس على مر العصور حتى عصرنا هذا.

وزعم البعض أن البوصيرى قال:

إن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حين رآه البوصيرى فى المنام، أتـــم بعـــض أبـــيات القصـــيدة حين عجز الشاعر عن إتمامها، وقد نفى الباحـــثون جمـــيعهم جواز حدوث هذا، بل لقد ذهب محمد سيد كيلانى ـــ محقـــق ديوان البوصيرى ـــ إلى أن واقعة إصابته بالشلل غير صحيحة، وأنه كان مصاباً بكسر فى عظام ساقه استناداً إلى قوله:

ما ضَرَّكم جبرُ الكسيرِ، وحسبه
ما يلتقى فى الجبر مـــــــن آلام

وإلى قوله:

أوَ هذه الأولاد جاءت كلهـــــا
من فعل شيخ ليس بالقــوَّام ؟

ويخلص من هذا إلى أن كل ما أشيع عن البردة هو من نسيج الخيال الذى أذكاه الواقع الصوفى فى عصره، إذ يؤكد الشاعر فى البيت السابق أنه مع وجود علة الكسر كان يأتى زوجته وينجب منها.

ونحن نختلف مع المحقق فيما ذهب إليه، فإن قول البوصيرى: (ما ضركم جبر الكسير) لا يدل بأى حال من الأحوال على كسر ساقه، إذ أن قوله: (ماضركم) يدل على أنه كسير نفسياً ومعنوياً، ويكفيه مايعانيه من آلام نتـــيجة لاحتياجه إلى مساعدتهم إياه، أما البيت الثانى فهو دليل على إصابته بالشلل، لأن الشلل يدوم أعواماً طويلة يحتمل معها أن يقول:

أو هذه الأولاد جاءت كلها

ممـــا يـــدل علـــى كثرة الأولاد التى أنجبهم خلال مرضه، أما الكسر فلا

يحتمل دوامه مثل تلك المدة.

وقد بـدأ البوصـيرى قصيدته بالغزل الذى يذكر مواضع فى الأراضى الحجازية ليمهد لموضوع القصيدة الرئيسى فقال:

أمِنْ تذكُّر جيرانٍ بذى سَلَـــم

مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بـــدم

أم هبَّت الريحُ من تلقـــاء كاظمةٍ

وأومضَ البرقُ فى الظلماء من إضَم

فما لعينيكَ إن قلتَ: اكْفُفَا .. هَمَتَا

وما لقلبكَ إن قلتَ: استَفِقْ .. يَهِمِ؟

وينتقل البوصيرى إلى التحذير من غواية النفس، فيقول:

والنفس كالطفل إن تُهْمِلْهُ، شَبَّ على

حُبِّ الرضاعِ .. وإن تَفْطِمْهُ يَنفطـم

ويستمر فى النصيحة، لكنه ينتبه إلى أنه نسى نفسه، وكان عليه أن ينصح نفسه قبل أن ينصح الآخرين .. فيقول:

أَمَرْتُكَ الخيرَ.. لكنْ ما ائتمرتُ بـــه

وما استقمتُ.. فما قولى لكَ: استَقِم ؟

ولا تزودتُ قبل الموت نافلـــــةً

ولم أُصَلِّ سوى فــرضٍ ولم أصُم

ويقول أنه قد ظلم بذلك سنة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إذ دعانا إلى الاستقامة ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يقول البوصيرى:

ظلمتُ سنةَ من أحيا الظلام إلى

أن اشتكتْ قدماه الضُرَّ من وَرَم

وشدّ من سَغَبٍ أحشاءه.. وطوى

تحت الحجارة كَشْحاً مُتْرَفَ الأدم

وهكـــذا يدخل فى موضوع القصيدة، ويبث ذوب مشاعره تجاه النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ويستفيض فى الحديث عن عظمة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويذكر معجزاته:

جاءت لدعوته الأشجارُ ساجدةً

تمشى إليه على ساقٍ بـــلا قدم

ويعود ليحدثنا عن علاقته الروحية برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثـــم يـــتحدث عن معجزة القرآن الكريم، فكل معجزة سابقة كانت موقوتة بظروف معينة أما القرآن الكريم فهو المعجزة الخالدة:

لم تقترنْ بزمان وهى تخبرنــــا

عن المعاد وعن عادٍ وعن إرَمِ

دامت لدينا ففاقت كل معجزةٍ

من النبيين إذ جاءت ولم تدُمِ

وينـــتقل البوصيرى إلى الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج، ويمضى بعدها ليزف البشرى للمسلمين:

بشرى لنا معشرَ الإسلام أنّ لنا

من العناية ركناً غيرَ منهـــــدم

لما دعا الله داعينا لطاعتــــهِ

بأكرم الرُّسْلِ ، كُنَّا أكرمَ الأُمَمِ

وينـــتقل البوصـــيرى إلـــى الحديث عن الدعوة والجهاد فى سبيلها حتى ارتفعـــت رايتها، ويعود إلى الحديث عن نفسه وذنوبه التى اقترفها ويرى خلاصه فى مديح سيد الخلق متقرباً إليه لكونه يحمل اسمه:

فإنّ لى ذمّة منــــــــه بتسميتى

محمداً.. وهو أوفىَ الخلقِ بالذّمَم

ثم يقول:

يا أكرمَ الخلقِ مالى من ألوذُ بـــه

سواكَ عند حلولِ الحادثِ العمم

ويختـــتم قصـــيدته بالدعاء لله عز وجل، والصلاة الدائمة على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

كـــان الإمام شرف الدين البوصيرى شاعراً مبدعا، وقد بوأته قصيدة الـــبردة مكانة عالية فى عالم الشعر، جعلته إمام المادحين، وصارت هذه القصـــيدة مثلا يحتذى إذ جمعت أطراف هذا الغرض النبيل من أغراض الشـــعر ألا وهـــو المديح النبوى، وديوانه حافل بقصائد رفيعة المستوى تضعه فى الصف الأول من شعراء العربية. وتجعله نجما متألقاً فى سماء الشعر.

الفصل الثالث

نجوم في سماء الشعر

فى الإسكندرية الحديثـــة



محمد مفيد الشوباشى

عملاق الأداب الإسكندرى

ظهـــر فى زمن العمالقة فكان من أعلاهم قامة، عانى من التحولات فى حياته، وخاض محنة المرض، وذاق انكسار الأحلام، وبالرغم من كل ذلـــك استطاع أن يحقق إنجازات أدبية كبرى عجز عن تحقيقها كثير من أبناء جيله، كان البحر نديمه الذى يبث له شكواه، وكانت الإسكندرية فتاته الـــتى يعشـــقها، ويهبها أغلى مشاعره، ذلك هو الشاعر الروائى الباحث المترجم.. محمد مفيد الشوباشى.

ولـــد محمد مفيد الشوباشى فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٩ ونشأ فى أسرة ذات مســـتوى إجـــتماعى مرموق، وكان رب الأسرة رجلاً صاحب فكر ورؤيـــة، كان محامياً، **وهو من المؤسسين الذين تحمسوا للعمل النقابى، ونـــادوا بإنشاء نقابة للمحامين فى مصر، وكان أول نقيب للمحامين فى الإســـكندرية**[1]، وقد كان لأفكاره المتطورة أثر عميقٌ فى التكوين الفكرى والمعرفى لولده محمد مفيد الشوباشى.

نشأ محمد فى رمل الإسكندرية الذى كان يضم عدداً كبيراً من الأُسَرِ الأرســـتقراطية، وتعلم فى المدارس الإنجليزية حتى التحق بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية بكلية فيكتوريا، وحدث موقف جعل والده يكتشف أن ولـــده محمـــداً لا عرف غير القليل جداً من اللغة العربية التى كانت لغة ثانويـــة فـــى تلـــك المـــدارس، لم ينظر الوالد إلى إجادة ولده التامة للغة الإنجليزية لكنه نظر إلى ضحالة معرفته باللغة العربية التى هى لغة البلاد

---

[1] انظر: نقولا يوسف ــ أعلام من الإسكندرية ــ منشأة المعارف ــ ١٩٦٩ ــ ص ٣٧٨.

ولغـــة القرآن الكريم، لذلك اتخذ الوالد قراراً جريئاً، يدل على قوة شكيمته ورحابـــة فكـــرة، لقد قرر إخراج محمد من كلية فيكتوريا، وأحضر لـــه مدرســـاً خاصاً يعلمه اللغة العربية فى المنزل لمدة عام حتى صار مؤهلاً للالـــتحاق بـــالمدارس المصـــرية، والـــتحق بالفعل بمدرسة رأس التين الابتدائية، ثم التحق بمدرسة رأس التين الثانوية، حيث كان الشاعر الكبير عـــبد الرحمن شكرى يعمل مدرساً لمادة التاريخ، وتوثقت العلاقة بينهما، وتأثـــر بأفكار مدرسه الذى كان على علم تام بالمدارس الأدبية الأوروبية فى أوائل القرن العشرين.

لا يجـــب أن نمر مرور الكرام على انتقال محمد مفيد الشوباشى من التعلـــيم الأجنبى إلى التعليم العربى، فقد كان للمدارس الإنجليزية نظامها ومستوى طلابها وأسلوب التعليم فيها، وكل ذلك كان مختلفاً أختلافاً كبيراً عن نظيره فى المدارس العربية، ولا شك أن التحول من هذه إلى تلك قد أدى إلـــى ارتباك علمى ونفسى وقع محمد تحت وطأته وعانى منه كثيراً، لكن رغبته فى الرفعة قد أعانته على تخطى الصعاب.

ثـــم كانت محنة المرض الذى أصيب به، فجعله ينقطع عن الدراسة مـــن ١٩١٧ إلـــى ١٩٢٠ حيث سافر للعلاج فى القاهرة ثم فى الصعيد، والانقطـــاع عن الدراسة لمدة ثلاث سنوات ليس بالأمر الهين، خاصة أن هـــذه السنوات كانت مفعمة بآلام المرض وآمال الشفاء. وعاد محمد مفيد الشوباشـــى إلى الإسكندرية ليستكمل دراسته الثانوية، فحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٢٢ وقرر الالتحاق بمدرسة الحقوق ليصير محامياً مثل والده .

انتقل الشوباشى إلى القاهرة، وكانت تموج آنذاك بكثير من التيارات الـــتى تعيد تشكيل البناء السياسى والاجتماعى لمصر، لكنه كان مدركاً أن

دوره الرئيســى فــى هذه المرحلة من حياته هو استكمال دراسته، لذلك اجــتهد فــى التحصــيل حتى نال ليسانس الحقوق عام ١٩٢٦ وعاد إلى الإسكندرية ليبدأ حياته العملية.

افتــتح محمد مفيد الشوباشى مكتباً للمحاماة مع صديقه الشاعر عبد الحمــيد السنوسى المحامى، وكانت تربطهما صادقة قوية زاد الشعر من توثــيق عراها، وكانت بينهما مطارحات شعرية، فكان الواحد منهم يبعث بقصيده إلى صاحبه، فيجيب الآخر بقصيده أخرى، وكان هذا ديدنهما منذ أن كانــا طالبيــن فى المرحلة الثانوية، من هذه المطارحات ما نشر فى ديــوان (لغــة القلــوب) للسنوسى، حيث يقول محمد مفيد الشوباشى فى قصيدته:

لــــم أنسَ ليلة زرتهـــا
والريح ليس لهـــا ركودْ
والرعد يـــزأر صارخاً
والأرض يكسوهـــا الجليدْ
فجعلتُ أسرع فى المسير
إلى حمى الرشـــأ الشرود

فأتى بدل ساحـــــــر	يستأثـــر القلـــب الجليد
وثنى إلىَّ خـــــــدوده	فلثمت ورداً لاخـــدود
وجعلت أشكو للحبيب	مكائـــد الحب الحقـــود
وأعاتب الرّئمَ الغريـــر	على التجنب والصدود
أحنو عليه بالعنـــــاق	وألثم الثغــــر النضيد
وأجاذب القــد النحيف	فلا يمانع أو يحيـــــد
وقضيت ليلى كيفمـــا	شاء الهوى وكما يريد.

ويجيبه السنوسى على نفس الوزن وعلى نفس القافية:

يازهرة الروض الأنيق ومـاسـة الدر النضيدْ

يهنيكِ حُسنكِ إنـه مَلَكَ الفـؤادَ فلا يحيدْ[٢]

إلى آخر القصيدة.

مـارس محمد مفيد الشوباشى مهنة المحاماة مع صديقه عبد الحميد السنوسى حتى عام ١٩٣٢ وشعر بعوامل كثيرة تجذبه إلى الريف، فقرر التحول من المحاماة إلى الإشراف على الأراضى الزراعية، وهكذا انتقل محمـد مفيد الشوباشى إلى حياة الريف، وأخذ يتابع أراضيه الزراعية فى قويسـنا وفـى كفر الدوار. ومضت عشر سنوات لم يحقق خلالها ماكان يطمـح إلـيه فى مجال الزراعة، لذلك عاد فى عام ١٩٤٢ إلى ممارسة المحاماة مرة أخرى من خلال مكتبه حتى عام ١٩٤٧.[٣]

انـتقل الشوباشى بعد ذلك للعمل مراقباً لإدارة الثقافة العامة بوزارة التعلـيم حـتى ١٩٥٩، ثم مدت خدمته سنتين بعد سن المعاش حتى عام ١٩٦١.

❖ الشوباشى كاتباً[٤]

يشهد التاريخ الأدبى لمدينة الإسكندرية أن محمد مفيد الشوباشى من أغزر كتابها إنتاجاً، وتنوع إنتاجه الأدبى فى مجالات متعددة منها البحوث

---

[٢] عـبد العليم القبانى ــ عبد الحميد السنوسى. هيئة الفنون والأداب ــ الإسكندرية – ٢٠٠٢ – ص ٢٥ .

[٣] سناء الجبالى ــ الإسكندرية الشعر والشعراء ــ مكتبة بستان المعرفة ــ ٢٠٠٣ ــ ص٨٥.

[٤] د. عـبد الله سـرور عبد الله ــ اتجاهات الشعر السكندرى فى النصف الأول من القرن العشرين ــ دار المعرفة الجامعية ــ ١٩٨٥ ــ ص٤٣٣، ٤٣٤.
ونقولا يوسف ــ أعلام من الإسكندرية ــ ص٣٧٩ وما بعدها.

والـــترجمة والتألـــيف القصصــــى والروائى والشعر. وكانت هناك أربعة عوامـــل شـــكلت ملامح عطائه فى مجال الكتابة، **أولها** تجربته الحياتية الـــثرية الـــتى أمدتهـــا طموحاته وآماله وآلامه بالكثير من جوانب الثراء **وثانيها** دراسته الإنجليزية التى أتاحت لـــه فرصة الاطلاع على منجزات الغـــرب فـــى مجـــال الأدب ، **وثالثها** علاقته الوثيقة بالشاعر الكبير عبد الرحمـــن شـــكرى الذى كان يمتلك رؤية فى فلسفة الفن استفاد الشوباشى مـــنها كثيراً، **ورابعها** الجو العام للثقافة فى الإسكندرية فى ذلك العهد بما اشـــتمل عليه من تيارات أدبية مؤثرة منها جماعة الشلالات التى جمعت كثـــيراً مـــن شعراء الثغر فى منظومة أدبية لها تأثيرها العميق فى أجيال الأدبـــاء، وكـــان الشوباشـــى من مؤسسيها. فتنوعت كتاباته فى أكثر من مجال.

فى مجال الأبحاث

نشر محمد مفيد الشوباشى عدداً من الأبحاث هى:

١- ألمـــع ســـاعات الحرج فى تاريخ الإنسانية ــ صدر ١٩٤٢ ــ وهو كـــتاب يـــدل عنوانه على المتعة الثقافية التى تعرضها موضوعاته، حيث تـــناول المؤلـــف عدداً من الأحداث التاريخية التى كان لها أثر عميق فى حياة البشر مثل فتح القسطنطينية، واكتشاف الذهب فى أمريكا، واكتشاف القطب الجنوبى .. وغير ذلك.

٢- الفلســـفة السياســـية ــ صـــدر ١٩٥٥ فـــى بيروت ــ ويعرض فيه الشوباشى نشأة الفلسفة وتطورها، مع الإشارة إلى الأسباب التى أدت إلى تحولها من التأمل المجرد إلى الواقع العملى.

٣- العـــرب والحضـــاره الأوروبية ــ صدر ١٩٦١ فى سلسلة المكتبة الثقافـــية بمصـــر ــ يتـــناول فيه أثر العرب فى أوروبا ، ويدلل على أن

الحضارة الأوروبية الحديثة قد قامت على أكتاف الحضارة العربية.

٤- أثر العرب فى أدب المحدثين ــ صدر ١٩٦٢ فى بيروت ــ ويتناول فيه أثر الأعمال الأدبية العربية مثل ألف ليلة وليلة فى الآداب الحديثة.

٥- القصـــة العربية القديمة ــ صدر ١٩٦٤ فى سلسلة المكتبة الثقافية ــ ويتــناول فــيه الأعمال القصصية فى الأدب العربى القديم مثل المقامات وغيرها.

٦- رحلـــة الأدب العـــربى إلى أوروبا ــ صدر ١٩٦٨ فى سلسلة مكتبة الدراســـات الأدبـــية بمصـــر ــ ويعرض فيه الوسائل التى تم من خلالها ترجمة الآداب العربية إلى اللغات الأوروبية.

٧- الأدب ومذاهـــبه ــ صـــدر ١٩٧٠ عن الهيئة العامة للتأليف والنشر بمصر ــ ويعرض فيه المؤلف المذاهب الأدبية المختلفة، ومعالم كل منها، ونشأته وتحولاته.

تـــدل هـــذه الأبحـــاث التى نشرها محمد مفيد الشوباشى على أنه اســـتفاد مـــن ثقافته العريضة، كما استفاد كثيراً من اطلاعه على الآداب الأوروبـــية والمذاهـــب النقدية الحديثة بها، وتدل على أنه رجل متمسك بحضارة أمته، سعى إلى البحث فى الآثار التى أسهمت بها فى الحضارة الإنسانية.

فى مجال الترجمة

كـــان محمـــد مفيد الشوباشى يجيد أكثر من لغة بالإضافة إلى تمكنه الـــتام مـــن اللغة الإنجليزية، وقد أتاح لـــه هذا أن يثرى المكتبة العربية بمجموعة من الترجمات القيمة هى:

١- رواية أرميا ــ ستيفان زفايج ــ ١٩٤٦.

٢- الأدب والفن فى ضوء الواقعية ــ جون فريفل ــ ١٩٥٠.

٣- روايــة نــافخ البوق أو جاويش البروجى ــ توماس هاردى ــ ١٩٦٢.

٤- آسيا وجداول الربيع ــ ترجنيف ــ قصتان فى مجلد واحد.

٥- طلبة وطالبات ــ تريفونوف.

٦- المنزل الريفى ــ فورستر ــ رواية.

٧- الكابتن كراكاس ــ تيوفيل جوتييه.

❖ الشوباشى مبدعاً

يعــد محمــد مفيد الشوباشى من أصحاب الإبداع المتنوع فقد أصدر كــتاباً بعنوان (خواطر غريب) عام ١٩١٩ وهو فى العشرين من عمره وقــد كتــبه وهو مغترب عن الإسكندرية أثناء رحلة العلاج فى القاهرة والصعيد، لكن هذه الخواطر ليست أول إبداعه، فقد كان يكتب الشعر وهو فــى سن مبكرة، وقد أبدع الشوباشى فى مجال القصة والرواية بالإضافة إلى إبداعه الشعرى.

فى مجال القصة والرواية

كتب الشوباشى القصة القصيرة والقصة الطويلة والرواية، وكتب فى موضوعات متنوعة، مستفيداً من ثقافته التاريخية من ناحية، ومن اطلاعه على البناء الفنى للروايات الأوروبية من ناحية أخرى، وأهم أعماله هى:

١- روايــة الصحوة الأخيرة ــ صدرت ١٩٤١ ــ وفيها يصور الكاتب صحوة الشعب المصرى وثورته على الملك الفاسد بطليموس الثالث عشر عام ٥٠ ق.م.

٢- قصــة طلائــع الأحــرار ــ صدرت ١٩٤٤ ــ وهو الجزء الأول مــن روايــة تاريخية سياسية تصور تاريخ مصر فى الفترة من ١٩١٤

إلى ١٩٣٠.

٣- مجموعة قصصية بعنوان قطوف نادرة ــ صدرت ١٩٤٨ ــ بعض قصصها من تأليف الشوباشى والبعض الآخر مقتبس.

٤- قصة طويلة: سُلَيْكٌ ووَرْدٌ أو عاصفة الصحراء ــ صدرت ١٩٤٩ ــ وهى قصة غرامية وقعت حوادثها فى العصر الأموى.

٥- روايــة الخيــط الأبيض ــ صدرت ١٩٦٣ ــ وهى تصور أحداث الــثورة الوطنية عام ١٩١٩ من خلال قصة حب بين شاب مصرى أحب فتاة إنجليزية واصطدم هذا الحب بالعاطفة الوطنية.

❖ الشوباشى الشاعر

بــدأ محمــد مفيــد الشوباشى كتابة الشعر مبكراً، واتضح تمكنه من أدواته وهو فى المرحلة الثانوية، وقد أعجب عبد الرحمن شكرى بقصائد الشوباشـــى، ورأى فيه طاقة شعرية كبيرة وموهبة متأججة، وأخذ يعرفه على المدارس الحديثة فى الشعر العالمى.

نشــر الشوباشـــى قصائده فى الجرائد والمجلات المصرية بدءاً من عشـــرينيات القــرن الماضى واحتفت بقصائده لما امتازت به من شعرية تنــبىء بموهــبة متدفقة. وتم تأسيس جماعة شعراء الشلالات فى أواخر الثلاثينيات.

اعتادت جماعة الشعراء على اللقاء فى مكتب عتمان حلمى الذى كان يعمــل ملاحظاً لحدائق الشلالات، وقد اعتنقت الجماعة مذهب الفن للفن وكــانوا يــبغون الارتقاء بشعرهم من المحلية ليصل إلى العالمية، وذلك بالانفتاح على مدارس الشعر الأوروبية مع المحافظة على الروح الشرقية فى إنــتاجهم، وقــد تكونت هذه الجماعة من رائدها عبد الرحمن شكرى

ومؤسسـيها عـثمان حلمى وعبد اللطيف النشار وزكريا جزارين وعبد الحمـيد السنوسـى ومحمـد مفـيد الشوباشى وحسن فهمى. وقد أوجدوا لأنفسـهم اتجاهاً شعرياً كان لـه أثره العميق فى شعرهم من ناحية، وفى شعر الأجيال الطالعة من شعراء الإسكندرية من ناحية أخرى.

كانت النقلة الكبرى فى حياة الشوباشى الشعرية حين طلب منه أحمد أمين ديواناً مخطوطاً من شعره عام ١٩٤٧ وقدمه لـه فى مسابقة مجمع اللغة العربية فحصل على جائزة الشعر العربى الحديث فى ذلك العام، وقد أدى هـذا إلى ابتعاد الشوباشى عن المحاماة والانقطاع لعالم الأدب، ولم يقبل وظيفة مراقب إدارة الثقافة العامة بوزارة التعليم إلا لصلتها بالثقافة.

نُشـرت بعض قصائد الشوباشى ضمن ديوان الإسكندرية الذى صدر سـنة ١٩٣٥، وظـل الشوباشى متردداً فى نشر ديوانه الخاص، إلى أن نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومى عام ١٩٦٥، وصدر بعنوان (وحى الشـاطىء) مشـتملاً على أكثر من ٥٠ قصيدة فى موضوعات متنوعة، وخـتمه بمنظومتيـن حواريتين إحداهما بعنوان: سليك وورد، والأخرى بعنوان: محنة، ترجمها عن ستيفان زفايج.

الـتحولات سـمة مهمـة من سمات الحياة التى عاشها محمد مفيد الشوباشـى، تحـول فى البداية من الدراسة فى المدارس الإنجليزية إلى الدراسة فى المدارس العربية، وتحول من الإقامة بالإسكندرية إلى التغرب عـنها، وتحول من التغرب إلى العودة إليها، وتحول من العمل بالمحاماة إلى العمل بالزراعة ، ومن العمل بالزراعة إلى العمل بالمحاماة، تحولات أعقبـتها تحولات.. وقد أثر ذلك فى شعره فظهرت فيه أيضاً سمة مهمة هـى سـمة التحول.. لقد بدأ – كما بدأ شعراء جيله ـ يكتب متبعاً نهج القدماء فى كتابة الشعر .. فكان يقول:

يا أيها البلبل الشادى على فنـنٍ

غض اللحاء نضير الزهر فينانِ

لم البكاء على خضراء يانعـــــة

وأنت بين أزاهيرٍ وأفنــــــان

تطير فى جنبات الروض مبتهجاً

والماء عندك فى سهل ووديــان

فهل ظننت وأنت العاطف الحانى

بـــأن شدوك واسانى وأسلانى ؟

لشدّ ما حَزّ هذا الشدو فى كبـدٍ

حرَّى وقلبٍ بطول الهجر غَصَّانِ

إن كنت تشدو لأزهارٍ تطارحها

حباً بحب، فرفقاً بالفتى العــانى

إذا تمايلت الأزهارُ مـن طربٍ

فإن شدوك أضنانى وأبكـــانى

ويـــتحول الشاعر من محاكاة القدماء إلى التعبير عن تجارب ذاتية يشكو فيها من مساوىء الناس .. فيقول:

قضيت زماناً لم أطالع خلالـــه	سنا كوكب يجلو سماء حياتى
وحاطتنىَ الأقدار بالهم والأسـى	فلم يغننى مـــاضٍ بشوقٍ وآت
وزهّدنى فى الحسن عَيْبٌ يشوبُه	وشككنى فى الخير غدر عداتى
ودرت بعينى فى الوجود فلم أجد	سوى قبح أفعالٍ وقبح صفات[5]

ويتحول الشاعر من النقمة على ما حوله من مساوىء المجتمع إلى الحنين

---

[5] د. عبد الله سرور عبد الله ــ ص ٣٤٢.

إلــى أيــام اللهــو والصــفاء والجمال رابطاً بين أيام السعادة وشاطىء الإسكندرية الحالم ... فيقول:

حننت إلى شطٍ يموج بأهلـــه ترى فيه حفل الغانيات نضيداً
إذا ماشدا الموج الطروب أجابه هزيج الغوانى مبدئاً ومعيـداً
حننت إليه خافق الصدر حالماً فهل أرتجى عوداً إليه حميداً؟[٦]

وكان الشوباشى ــ فى فترة من حياته ــ شاعراً رومانسياً، يسبح فى نهر الــتجارب الذاتــية، وإن اتســم بعض قصائده بنوع من الثورة ونوع من محاولات التجديد .. نجده يسعى للتحول، معلناً ذلك فى قوله:

عِفْتُ ليلى وأرضها وذويهـــا راجيـاً أن أصيب حظاً جديداً
وهجرت الديار، أرجو بأخرى - بعد يأسٍ - أن أستجدَّ عهوداً

ويتجلى هذا التحول فى حبه لفتاة أجنبية يتوجه إليها بالحديث قائلاً:

من أين .. من أين أنتِ يا أفتن الناس نظره؟
فى أى صقـــــع نَبَتِّ فأنــــت أندر زهره
أى الغيوم سقـــاكِ بقطـــــره العُلْوِىّ
وأى تِرْبٍ غَـــذَاكِ بتبـــــره السِّحْرِىّ
حاشاكِ لستِ بــحالِ كأىّ فردٍ جميـــــلِ
ففيكِ فوق الجمـــالِ غرابةُ المجهـــــولِ[٧]

وتستمر التحولات، خاصة بعد أن يترجم محمد مفيد الشوباشى كتاب الأدب والفــن فى ضوء الواقعية لجون فريفل، فنجد الشوباشى يتحول من الرومانسية إلى الواقعية الاشتراكية، ويؤكد مذهبه من خلال قصيدته (أنا والمجــتمع) حيث يسخر فيها من الرومانسى الحالم الذى ينكب على ذاته

---

[٦] السابق ــ ص٣٤٩.
[٧] د. عبد الله سرور عبد الله ــ ص٣٣٤.

وآلامهـــا، مؤكـــداً أن الوجـــود الحقيقى للإنسان يتحقق حين يتفاعل مع المجتمع الذى يعيش فيه.. فيقول:

أنا لستُ إلا غَرْسَ مجتمعـــى فعقائدى منه وتفكيـــــرى
إن خِلْت فيضَ العقل من بدَعى فهو الغرور أضل تقديـــرى

فى عزلتى أنا يائسُ عــــانِ تنتابنى أوهام مخمـــــورِ
فى عزلتى أنا واهنٌ فــــانِ متعثرٌ فى قيد مقــــدورى

لكننى إن عِفْتُ أوهامـــــى وخرجــتُ من ذاتى إلى الخَلْقِ
فَنِيَتْ تباريحى وآلامـــــى فى الحرب بين الظلم والحــق

وإذا حَطَمْتُ قيود أطماعــى وخرجت مـــن ذاتى إلى الناسِ
كابدت من متعٍ وأوجـــاعِ ماكابـــدوا.. فامتد إحساسى

أنا فى سبيلكَ أيها الشعــبُ أعرضتُ عـــن هوى وعن مُتَعى
أنا بين جمعكَ ماردٌ صعــبُ أنـــــا قوةٌ فى بحرِ مجتمعى[٨]

أدى الـــتحول الأخـــير ـــ من الرومانسية إلى الواقعية الاشتراكية - إلى طغيان الفكر على الفن فى القصيدة كما هو واضح من المثل السابق ولكن تتضـــح فـــيه مـــرونة الشـــاعر فى كتابة الثنائيات والتحرك بين القوافى المتنوعة مما أدى إلى اتساعِ موسيقىّ فى الأبيات، وقد استفاد محمد مفيد الشوباشـــى من رحابة أوزان الشعر، واستفاد من قراءاته فى الموشحات مما جعله يتجه إلى التنويع الموسيقى فى قصائده، فنجده يستخدم التفعيلات هكذا :

---

[٨] السابق ـــ ص٣٥٨.

فاعلن مستفعلن فعلن

فاعلن فعلن

فيقول:

بَعَثَتْ فى نفسىَ الأملاَ

آهٍ.. عيناك

فعرفتُ البشرَ والجذلاَ

يومَ لقياكِ

سَطَعَتْ عيناكِ كالفجرِ

وثناياكِ

فَتَجَلَّتْ فتنةُ الدهرِ

إذ رأيناكِ

كَشَفَتْ دنياىَ زينتها

فى محياكِ

وَجَنَتْ كفاىَ متعتها

من عطاياكِ

شَفَتِى فى حرقةٍ وهوى

تشتهى فاكِ

وفؤادى من منى وجوى

ضاحكٌ باكِ.[٩]

ولـــم يتوقف عطاء محمد مفيد الشوباشى عند موسيقا الشعر، بل نجد عنده صوراً فنية لافتة .. مثال ذلك قوله:

---

[٩] د. عبد الله سرور عبد الله ــ ص٣٢٧.

حننتُ إلى شطٍ يموج بأهلـــــه ثرَى فيه حفلَ الغانيات نضيداً
إذا ماشدا الموج الطروب أجابه هزيج الغوافى مبدئاً ومعيــداً

إنها صورة بديعة التشكيل بحق، فالشاعر هنا يصور شاطئاً (يموج) بأهله، فالموجودون على ذلك الشاطىء فى حركة دائمة نتيجة لسرورهم، ففى الاحتفالات يتنقل الإنسان بين المدعوين سعيداً وقد وفق الشاعر غاية التوفــيق فـــى اختــياره الفعل (يموج) للصلة الوثيقة بين الموج والشط، وبالرغم من تلك الحركة الدائمة إلا أن حفل الغانيات منظم كأنهن يسترحن فى صفوف، وإذا ما وصلت إليهن أغاريد الموج بمرحه وانطلاقه، يُجِبْنَهُ بمـــا يـــنطلق من ثغورهن الجميلة من ترنم خفيف مطرب يكرر أغاريد الأمـــواج وهـــى صـــورة فنية بديعة تشير إلى قدرة الشاعر على الخيال المتدفق.

لقــد كان محمد مفيد الشوباشى واحداً من هؤلاء العمالقة المعدودين الذيـــن أنجبــتهم الإســكندرية فـــى ميدان الأدب ، والحديث عنه قد أثار الشجون، لقد كان عطاء الرجل حافلاً فى أكثر من مجال.. فى الشعر وفى القصة والرواية وفى الأبحاث وفى الترجمة، وأثرى المكتبة العربية بكثير مـــن المؤلفـــات والترجمات القيمة، فأين هى الآن ؟؟ وما قيمة العطاء إذا حـــرم منه الآخرون ولم يستطع أن يناله المتعطشون إليه؟؟ إن عدم توفر أعمال محمد مفيد الشوباشى يعد مؤشراً خطيراً إلى ضياع التراث الأدبى لأبـــناء الـــثغر، وإنى أدعو إلى تكوين (**لجنة الحفاظ على التراث الأدبى للإســكندرية**) فـــإن هناك قصصاً شعرية للشوباشى، ومسرحيات شعرية لعــتمان حلمـــى وغيره غابت عن الرصد، وإذا كنا نود القيام بعمل مفيد لـــلأدب الإســكندرى فعلينا الاهتمام بتكوين هذه اللجنة التى تعنى بإعادة إصدار الأعمال الأدبية، ونشر ما لم ينشر منها، فإن هذه الأعمال القيمـــة

جزء ثرى من ذاكرة الوطن، ولتكن هذه اللجنة تحت إشراف وزارة الثقافة بمشاركة محافظة الإسكندرية وفرع هيئة الاستعلامات وفرع هيئة تنشيط السياحة بالإسكندرية ومكتبة الإسكندرية والجامعة.

لقد كان محمد مفيد الشوباشى مثلاً راقياً للأديب الجاد، أعطى الكثير لـــلأدب العربى، وكان من مؤسسى جماعة شعراء الشلالات التى أغنت الشعر العربى بإنتاج أعضائها، وكان شعر الشوباشى متميزاً صَهَرَ الثقافة الأوروبـــية والـــثقافة العربـــية فـــى بوتقـــة الإبداع، وقدم ديواناً حافلاً بالموضوعات المتنوعة والمشاعر الفياضة.. فصار نجماً مضيئاً فى سماء الشعر.

عثمان حلمى

عـتمان حلمى شاعر إسكندرى بكل ما تحمل الكلمة من معان ، فقد **ولـد بهـا فى ١٨ مايو سنة ١٨٩٤م** [1] ورفض الرحيل عنها ، بل لم يخرج منها إلا مرات قلائل خلال حياته التى امتدت حتى سنة ١٩٦٢ م .

وقد شهد حى المكس مولد عتمان حلمى حيث نشأ متشربا روح هذا الحـى الذى شهد شاطئه لقاءات كثيرة من الشعراء ، وكان خليل مطران يـزور ذلـك الشاطئ ويكتب عنده قصائده الخالدة ، حيث تتسابق أمواج البحر ، وتدور طواحين الهواء لتضاء المنازل ليلا .

وانـتقل عتمان حلمى فى مطلع شبابه إلى حى (كفر عشرى) بقسم مينا البصل وهو أحد الأحياء الشعبية القديمة بالإسكندرية ، **وكان عتمان حلمـى أبـيض البشرة ، كبير الرأس ، عريض الجبهة ، يصطبغ وجهه بشـئ من الحمرة ، وفى قامته بعض القصر ، بدين الجسم** [2] وظل فى ذلـك الحـى إلى نهاية حياته ، فسرت الإسكندرية فى دمائه ونما متشربا الروح الشعبية بما تحمل من مواصفات أولاد البلد .

تعلم شاعرنا لكنه توقف عند شهادة الكفاءة أى السنة الثانية من التعليم الـثانوى ، واضـطر تحت وطأة الحاجة إلى الانطلاق إلى دنيا العمل ، فعمـل محصلا للعوائد ببلدية الإسكندرية ، ثم محصلاً بقسم الأملاك فى ديـوان البلدية ، تبرم عتمان حلمى بوظيفته ولم يستقر بها ، فانتقل للعمل

---

(1) د. عـبد الله سـرور – اتجاهـات الشعر السكندرى فى النصف الأول من القرن العشرين – دار المعرفة الجامعية – ١٩٨٥ – ص ٤٤٢ .

(2) يوسـف فهمـى الجزايرلى – سكندريات – سلسلة كراسات الإسكندرية بإشراف المهندس رداميس اللقانى – ١٩٧٣ – ص ٧٣ .

فـــى مصـــلحة البريد ، حيث تدرج فى وظائفها حتى وصل إلى منصب رئيس قسم الاستعلامات بها حيث أحيل إلى المعاش سنة ١٩٥٤م .

وقـد كان للشاعر عتمان حلمى دور بارز فى التاريخ الأدبى لمدينة الإسكندرية ، فهو مؤسس جماعة شعراء الشلالات مع عبد اللطيف النشار وحســن فهمـــى وزكــريا جزاريــن وعبد الحميد السنوسى ومحمد مفيد الشوباشـــى وعــبد الحكــيم الجهنى ، ثم انضم إليهم الشاعر الرائد عبد الرحمـــن شكرى . **وقد سميت الجماعة بهذا الاسم لأنهم كانوا يجتمعون فـــى حديقــة الشلالات عند باب شرقى ، حيث تسلم عتمان حلمى كوخا بهذه الحديقة حينما عين محصلا للعوائد ببلدية الإسكندرية [٣] .**

وكـــان لهذه الجماعة أثر عميق فى الثقافة الإسكندرية ، لأنهم انطلقوا من رؤية فنية نقدية لما يجب أن يكون عليه الشعر ، وحاولوا تطبيق ذلك فـــى نـــتاجهم الأدبى ، وتحددت هذه الرؤية فى البعد عن التعقيد اللفظى والكلمات المبهمة التى كانت تستهوى بعض الشعراء آنذاك ، كما التزموا بالتعبير عن التجارب الذاتية ، فقويت عندهم النزعة الفردية ، ويتضح فى أشـــعار عــتمان حلمى السلاسة والوضوح ، كذلك اهتمت جماعة شعراء الشـــلالات باســـتكمال جوانب الموضوع الفنى الذى تتناوله القصيدة مع الاهتمام بالتصوير ، وحين انضم إليهم عبد الرحمن شكرى سنة ١٩١٢ م تطـــورت أســـاليبهم لتأثرهم الشديد به حتى قلده بعضهم إلا أنه ظلت لكل شاعر مميزاته الفنية الفارقة .

نشر عتمان حلمى شعره فى الدوريات الصادرة ، ومنها مجله أبولو الـــتى نشـــر فـــيها منذ عددها الأول فى سبتمبر ١٩٣٢م ، والملاحظ أن شـــعراء الإسكندرية فى ذلك الزمان كانوا يهتمون بنشر قصائدهم ، وكان

---

(٣) عبد العليم القبانى – رواد الشعر السكندرى فى العصر الحديث – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٢ – ص ٣٥ .

لديهـم إنتاج شعرى غزير ، لكنهم لم يدركوا أهمية صدور أشعارهم فى دواوين ، فنجد شاعرا مثل عتمان حلمى ينشر ديوانا وحيدا طوال حياته بعـنوان **(نسـيم البحر) صدر سنة ١٩٣٦ م عن جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية** [٤] ، بالرغم من ان انتاجه الشعرى يزيد على عشرة دواوين، ونراه يكتب ست مسرحيات لم يطبع منها غير مسرحية (الظاهر برقوق) سـنة ١٩٦٢ ، بالإضـافة إلى عدد كبير من المقالات والأبحاث نشر فى المجلات والجرائد ولم يُجمع فى كتاب .

ومـن الجديـر بالذكـر أن عتمان حلمى قبل وفاته بقليل كان يكتب مسـرحية كومـيدية بعنوان (المهرجون) تخيل فيها شاعرا فاشلا يفتح دكانـا لبـيع قصائد التهانى والمراثى ونحوها للراغبين بالثمن المحدد ، ويذكـرنا موضوعها بقصيدة الأستاذ عبد العليم القبانى التى كتبها ضمن مجموعة (حدث فى قصر السلطان) على لسان شاعر منالفق مستعد لأن يكتب للسلطان ما شاء من قصائد فيما يبغى من معانى مديحه .

اشـترك عتمان حلمى مع خليل شيبوب فى ترجمة عدد من القصائد مـن الشـعر الهندى والصينى والإيرانى وأصدرا ذلك فى كتاب بعنوان (قـبس من الشرق) طبعته جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية سنة ١٩٣٦م وقـد كـان عتمان حلمى رئيساً لها لفترة ، كما كان مشاركاً فى أنشطتها المختلفة .

يتذكر عتمان حلمى طفولته وصباه فى حى المكس فى أحضان البحر فيقول :

فى المكس فى ظلالها جلسنا

ونـحن أطفال بكـل مغنى

([٤]) د. عبد الله سرور – اتجاهات الشعر السكندرى – ص ١٠٢ .

نجهل مـا الدنيـا ، ومـا علمنـا

من أمرها غير السـرور يُجْنى

نطرب من لا شـىء إن طربنـا

ونمـلأ الجـــو إذا ضحكنـا

وكان عثمان حلمى مهيباً وكان ذا صوت مجلجل حين ينشد أشعاره ، وآخـر مهرجان شارك فيه مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية قبيل وفاته سنة ١٩٦٢ م حيث ألقى قصيدة بمناسبة الاحتفالات بالعيد العاشر للثورة قال فيها :

يومٌ تهلل فـى سنـــا أمجـادهِ

دار الزمان ... وعاد فى ميعادهِ

فى كل عـام ما استهل صباحـه

ألا أهـلّ اليُمْنَ فـى ميـــلاده

الشعب باركه ... وخلّد ذكرة

فـى أخلد الأعياد من أعيـاده

ونخطو فى بستان أشاره فتصافحنا قصائد رائعة تدل على موهبة ثرة الينابيع (°) ، فنجده يطوّع العروض كيفما شاء ، فيقول على سبيل المثال :

الغـدر طبعٌ فـــى نفوس الناسِ فـــــلا تصاحب أحَدَاً

ما أبعـد الناس عـن الإحساسِ فإن فى نصحـــــى الهدى

ولا تعش فى الخوف والوسواس فقد تعيـش أبـــــدا

لا تشتكى طول المدى

هذه القصيدة على بحر الرجز وقد استخدم الشاعر تفعيلاته هكذا :

مستفعلن مستفعلن مفعولن مستفعلن مستفعلن

ثم يختتم المقطع بـــ : مستفعلن مستفعلن

مع تقفية الأشطر الأولى برويّ واحد ، وتقفية الأشطر الثانية برويّ آخر ، يكرره فيما ختم به المقطع .

(°) انظر : يوسف فهمي الجزايرلي – سكندريات – ص ٥٧ وما بعدها .

ويتلاعب أيضا بالقوافى فيقول :

نَبَتَ الشــــوكُ بقلبى في مكـــــان الزَّهَرِ
ومضى كالبــرق حبى أو كضـــــوء السَّحَرِ
صار قلبى مقفراً كالصحـــراء
يا حبيبى .. لا أحبكْ زمــــــن الحب مضى
وانتهى حبى وحبـــكْ وانتهينـــــا للرضى
وانتهى الحب كما شئنا وشاء

ويســـتخدم عثمان حلمى القوافى دون عناء معبراً عن تجاربه المريرة فـــى الحياة ... فيقول فى إحدى قصائده من بحر الطويل مستخدماً رويَّ الواو :

شوتْنى تجاريب الحياة .. وإنهـــا
لها لهبٌ يشوي بأوجـــــــع ما شوى
فماذا عسى أبغى وما ليَ عزمـــةٌ
وقد هدنى سعيى وأفقدنـــى القــــــوى
فلى خيبةٌ فى كل سَعْيٍ سعيتـــهُ
رَوَى وَقْعَهَا شعرى .. وفى الشعر ما ورى
وهل بعد أن أفنيتُ عمريَ ظامئاً
وقد غَـصَّ غيرى بالأمانيِّ وارتـــــوى
أحاول تبديل الذى كان وانتهى ؟
وهل ينضر الغصـــن الرطيب إذا ذوى ؟

كـــان عـــتمان حلمـــى يضيق بالحياة الوظيفية ، لذلك تنقل بين عدة وظائف ، وتأخرت ترقيته حتى فى الوظيفة التى استقر فيها ، وأحيل إلى المعـــاش وهـــو موظف صغير لم يتعد الدرجة السادسة الكتابية ، وكانت الحياة تقسو عليه ، فصور هروبه من قسوة الحياة قائلاً :

وما اشتهت النفس المُـــدام للذةٍ
ولكـــنْ لكى لا تعرف النفس ماهيا

ألا فاسقيانيهـا سلافاً إذا سَطَتْ

على الرشد .. لم تترك من الهم باقيا

إن كلمـــة تتكون من عشرة حروف تمثل – لا شك – عبئا ثقيلا فى الـــنطق وفى السماع ايضا ، لكن عتمان حلمى استخدمها سلسة حين قال (فاسقيانيها) وقد أدى الى سلاستها نطقاً وسماعاً حروف المد : الألف بعد الياء ، والياء بعد النون ، والألف بعد الهاء .

ويتغنى عتمان حلمى بأناشيد الإيمان .. فيقول :

تجلّى الله فـى الزَّهَـــــــرِ ولاح اللهُ فى النـــــورِ

وفى الأغصان والشجـــرِ وفى شدو العصافيـــر

وفى قلبى ... وفـــى نظرى يفـــوق جلال تقديرى

كتـــب عـــتمان حلمى المسرحية الشعرية وأبدع فيها ، مستلهما التراث الإســـلامى والفـــرعونى ، ومن مسرحياته : الملك والشيطان ، والبخت النائم، وثورة فى الجحيم .

ومـــن مسرحياته أيضاً مسرحية (ساحر بابل) التى نال عليها جائزة وزارة المعـــارف عـــام ١٩٤٨ ، وأيـــام بانيس الأخيرة ، وتيمور لنك ، وقاضــــى عسكر وسيدى شلبى ، ولم يطبع من مسرحياته غير (الظاهر بـــرقوق) الـــتى تسلم نسختها وهو على سرير مرضه الأخير ، بينما لم يكمل مسرحيته الأخيرة (المهرجون) .

وندعـــو أســـاتذة كلية الآداب إلى تكليف أحد طلاب الدراسات العليا بإعداد رسالته الأكاديمية فى تحقيق مسرحيات عتمان حلمى ، لعلها تكون فرصــــة لإخـــراج هذه المسرحيات إلى النور ، فهو يُعَدُّ واحداً من رواد المسرح الشعرى ، وهو أول شاعر إسكندرى يعالج هذا اللون من الكتابة.

لقـــد كان عتمان حلمى يخطر بين المنتديات الأدبية فى الإسكندرية ، ينشـــر قصائده القوية ، ويشارك فى اللقاءات والمناقشات بحيوية ، ويسهم

فى الحركة الشعرية بكل أبعادها ، وعاش عاشقاً للإسكندرية واهباً حياته للشـــعر إذ لـــم ينجب أولاداً ، وملأ سماء الثغر بقصائده الرنانة بصوته الجهورى ، وأثر شعره فى جيل الشعراء الشبان الذين أدركوه .

احمد السمرة ...
بحـــر من المعرفة

كأنـــه كان أحد الفراعنة بقامته المديدة ، وملامحه المصرية البحتة ، وعلمه الواسع ، وإنسانيته الراقية ، وأبوّته الحانية ، وخفة ظله التى تحول المكـــان إلى مرح منعش ، كنا نقول عنه إنه مكتبة متحركة لما لديه من معلومـــات طريفة متنوعة .. لا تنفد ، وكل من تعرّف إليه أدرك أنه بحر مـــن المعارف التى بلا حدود ، كان موسوعة – بحق يسير على قدمين ، كـــان مـــن أعلم الناس بالتراث العربى – الأدبى والدينى – ومن أعرف الـــناس بالـــتاريخ المصرى والعربى والعالمى ، وكان مطلعاً على آداب الأمم الأخرى ، مجيداً عدة لغات ، وكان شاعراً فصيحاً له مكانته ، وكان كاتبا غنائيا مجدّداً أضاف الكثير إلى الأغنية المصرية فى عصره ، وكان مؤلفـــاً عملاقا فى الأوبريتات الإذاعية ، وفى أغنيات المسرح ، كما كان مؤلفـــاً مسرحياً ، وكان فناناً تشكيلياً صاحب إحساس راقٍ فى التعامل مع الألوان ، وكان – أيضا – موسيقيا يجيد العزف على آلتى العود والكمان، ذلك هو شاعر الإسكندرية : أحمد السمرة ..

كـــان الســـمرة – جد الشاعر – تاجر عطارة من المغرب (1) وكان يجـــئ إلى مصر فى رحلات تجارية ، ثم تزوج من الإسكندرية واستقر بها، وأنجب ولدين هما : محمد وعلي .

عمل علي السمرة فى التجارة مثل والده ، لكنه اختار تجارة القطن ، وكان القطن المصرى فى ذلك الزمان لـــه مكانته فى التجارة العالمية فقد كـــان يمـــتاز بأنه (طويل التيلة) وأطلق الناس عليه : الذهب الأبيض .

---

(1) المعلومـــات عـــن حياة أحمد السمرة مأخوذة من ولده ياسر ، ومن الشاعر جابر بسيونى تلميذ أحمد السمره المقرب إليه .

وكـــان (علـــى السمرة) تاجراً متوسطاً ، وانغمس فى الاهتمام بحلقات الذكر ، وانضم إلى إحدى الطرق الصوفية ، وكانت تربطه بالشيخ سلامة حجازى صداقة قوية .

أنجـــب علـــى السمرة بنتين وخمسة أولاد هم : حسن وعبد السلام ومحمد ومحمد – أيضاً – وأحمد .

ولـــد أحمـــد على السمرة فى ١٧ مارس ١٩١٣ فى شارع الراكشى بحى الجمرك ، وكان ذلك الشارع فى مكان باب الركاب البحرى الحالى بميـــناء الاسكندرية ، تلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة داخلية برأس التين مـــع أخيه عبد السلام ، وبقية اخوته لم يتعلموا لأنهم عملوا مع الوالد فى الـــتجارة . بعد حصول أحمد السمرة على الشهادة الابتدائية التحق بالتعليم الـــثانوى العام ، فلما نال شهادة البكالوريا التحق بكلية الحقوق وكانت من أرقـــى كلـــيات الجامعـــة آنذاك ، لكنه لم يتواءم مع موادها الدراسية ولم يســـتطيع الاســـتمرار فـــيها ، وأراد والـــده أن يدفعه إلى الالتحاق بكلية الشرطة، لكنه رأى – أيضاً – أنها كلية لا تتفق مع ميوله فرفض الالتحاق بهـــا ، وربمـــا وقعت أحداث شخصية أو عائلية لا نعرفها جعلته يرفض اســـتكمال تعلـــيمه ويتجه إلى العمل ، فالتحق موظفاً صغيراً فى المرور بمحافظـــة الإســـكندرية ، وتـــدرج فى الوظائف حتى وصل إلى وظيفة (سكرتير عام قلم الشئون القانونية بإدارة المرور بالمحافظة) ، وظل بها حتى إحالته إلى المعاش فى ١٩٧٣/٣/١٧م .

تزوج أحمد علي السمرة وعمره حوالى ٢٤ سنة وأنجب ستة اولاد : السيد وعلى ومحمد ومجدى وعصام وياسر ، وكان يتمنى أن ينجب بنتاً ، وعاش – رحمه الله – حتى ١٨ ديسمبر ١٩٩١ م .

أقسى الأحداث التي مر بها أحمد السمرة وأعمقها أثراً فى حياته كانت وفاة والدته عام ١٩٢١ م أثناء رحلتها لأداء فريضة الحج ، وكان عمره

حيـــنها ثمـــانى ســـنوات ، وأخبرنى ولده الأستاذ ياسر أن أحمد السمرة – رحمه الله – كان متأثراً جداً بهذا الحدث لدرجة أنه كان يبكى فى عيد الأم حـــتى وفاته ، فقد كان يحبها حباً لا حدود لـــه ، وأضاف أن فقدانه والدتـــه هـــو الذى دفعه إلى قول الشعر وان حزنه عليها وجد متنفساً فى القصـــائد ، وقامـــت بدور الأم أخته (رتيبة) فمنحته اهتمامها ورعايتها وحبها وهى والدة الشاعر الأستاذ محمد مكيوى .

وجـــد أحمد السمرة فى الأدب واحه تقيه من حر الأحزان ولهيبها ، فأقبل على القراءة ، وامتدت قراءاته إلى كافة فروع المعرفة ، واجتهد فى هذا المجال اجتهاداً مشهوداً ، وأجاد اللغة الإنجيلزية والفرنسية واليونانية والإيطالية ، كما أجاد اللغة العبرية إجادة تامة بالرغم من أن سبل تعلمها لم تكن متاحة فى ذلك الزمان .

وحاول أحمد السمرة التنفيس عن أحزانه فى اللوحات التى رسمها ، وفى العزف على العود وعلى الكمان ولم يكن يمارس هواياته تلك تلقائياً بل كان يستند إلى أساس علمى ، فقد درس التصوير على يد أحد الفنانين ، كمـــا درس الموسيقا على يد الموسيقار الاسكندرى (محمد فخرى) ، لكنه وجد غايته فى الكتابة .

وقد وجدت كتابات أحمد السمرة طريقها إلى المتلقى من خلال ثلاث فنوات ، كانت **القناة الأولى** هى الصحافة ، فهو واحد من أعمدة الصحافة الإقليمية ، كتب فى جريدة السفير ، وكانت لـــه صفحة أسبوعية (كيفما اتفق) وهو عنوان استوعب كل تصورات أحمد السمرة فى الأدب والفن والوجـــود ، فكتـــب فـــى معارف مختلفة ، فى الفلسفة والدين والأخلاق والاجـــتماع والآداب والفـــنون والتاريخ وغيرها ، وكان احمد السمرة – رحمه الله – كاتباً سياسياً متمكناً ، وظل يكتب افتتاحية جريدة السفير لمدة

عشـــرين عاماً حيث كان يحلل من خلالها الأحداث السياسية التى يمر بها الوطن .

القناة الثانية كانت الاذاعة ، فقد ذهب أحمد السمرة إلى القاهرة وقدّم أغنـــيات شـــدا بها كبار المطربين والمطربات أمثال عبد الحليم حافظ ، وفـــايده كامل ، ولوردا كاش ، وسعاد مكاوى ، وكارم محمود ، ومحمد قـــنديل ، وشـــفيق جـــلال ، وانتشرت أغنيات أحمد السمرة فى الإذاعة (والكازيـــنوهات) وعـــرفه الـــناس ، إلا أن أشـــهر أغانية كانت أغنية (عدّيـــنى يا معداوى) التى شدا بها الفنان عباس البليدى ، ونالت شهرة عريضـــة فى عصرها ، ومن الثابت أن أحمد السمرة رأى أن وجوده فى القاهـــرة فـــى هـــذا الجو الغنائى سوف يجعله يتخلى عن كثير من القيم والمـــبادئ التى تربى عليها ، فعاد مسرعاً إلى الإسكندرية ، فلما افتتحت إذاعة الإسكندرية المحلية فى يوليو ١٩٥٤ كان من أول المتعاونين معها ، فكتب أغنيات نالت شهرة كبيرة مثل أغنية (القسمة والمقدر) التى تغنى بها عبد الرزاق ابراهيم ، ثم غنتها بدرية السيد ، ويقول فيها :

القسمـــــة والمقدَّر ــــ وَدُوني فـى سِكّتك
والحب عليه اتقــدَّر ــــ وبقيت من قسمتك

* * *

أصلك حلوانى وخِفّه ــــ ياللى انت شغلتنى
لفّيتنى فى حبك لفه ــــ ونســــتني وفُوتّني
وأنا حالف ما اعشق تانى
خلّتني أفوت حلفانــــــي
والحب عليــه اتقدّر ــــ وبقيت من قسمتك

كذلـــك كتـــب أحمـــد السمرة كثيراً من البرامج الغنائية والأوبريتات الإذاعـــية مـــن أشهرها أوبريت (أبو العباس) ، وقد كان أحمد السمرة مجـــدداً فـــى إبداعه الغنائى خاصة فى بناء الأغنية حيث استفاد من بناء

الموشـــحات فأضـــاف ذلك كثيراً الى روعة الموسيقى فى كلماته ، ولعل مطلع أغنية (عدينى يامعداوى) خير مثال على ذلك ، حيث يقول :

عدّينى يــــا معداوى   واديك ريالينْ   فضـه
مجروح وحبيبى مداوى   تتمنـى العين   يرضى
وباحبُّه يامعداوى

إن اســـتخدام ثلاثة أنواع من القافية فى البيت الواحد كان تجديدا فى عصره ، فهو استخدم التقفية فى : معداوى ومداوى ، وفى ريالين والعين، وفـــى فضه ويرضى . كما استخدم التذييل (بلغة الموشحات) فى قوله : فضــــه ويرضى ، حيث جاء بتفعيلة واحدة تمثل ذيلاً للبيت ، كذلك يوجد ترصيع نتج من استخدام القوافى الثلاث .

وكتـــب أحمد السمرة كثيراً من أغنيات المسرح وكان آخرها أغنيات مســـرحية (حلـــم ليلة صيف) لوليم شكسبير التى ترجمها الدكتور سمير ســـرحان ولحنها الدكتور جمال سلامة وشدت بها سميرة سعيد . وكانت أغنياته كأنها جزء مكمل للنسيج الدرامى فى المسرحية ، وقد وصل إنتاج السمرة الغنائى إلى ما يزيد على الخمسمائة أغنية .

أما **القناة الثالثة** التى أوصلت كتابات أحمد السمرة إلى المتلقى فكانت متمـــثلة فـــى المهـــرجانات والأمسيات والندوات التى ينشد فيها قصائده الشعرية.

لقـــد اســـتطاع أن يـــتواجد فـــى الأوساط الأدبية بمكانته بين شعراء الاســـكندرية ، فكـــان فـــى صداره المشاركين فى مهرجاناتها ، كما كان عضواً فى جميع الوفود التى مثلت الإسكندرية فى المحافظات الأخرى ، حيث كان ذلك التمثيل عزيز المنال .

أحمد السمرة شاعر اختار الالتزام بالشكل البيتى للقصيدة العربية ومن مقولاته الشهيرة أن أحدهم ذهب إليه فى المقهى فقال لــه : أنت لا تكتب شعر التفعيلة لأنك تعجز عن كتابته ، فقال السمرة : فأمسكت قلما وأوراقاً وكتبت لــه ثلاث قصائد من شعر التفعيلة قبل أن يبترد الشاى .

وبالــرغم من التزام أحمد السمرة بالشكل القديم فى الشعر إلا أن قــراءاته فــى الموشــحات جعلته يستفيد منها فى تنويع النغم فى قصائده باستخدام قوافٍ متنوعه ، **فقد استلهم تجديدات الأندلس والمهجر ، فنجد تجديــدات كثيرة في عدد الشطرات في القصيدة وفي القافية** [1]مثال ذلك قوله فى قصيدة الدنيا والناسك :

تهادت بالرحيق فما تغنى | كسالف عهده لما رآهـــا
ومتّنه الوصال ومـا تمنى | فما رغب الوصال ولا هواها

وكانت فى ازدهار الحسن غايـــه
تسير بهـا المفاتن والغوايـــــه
فما عرفت مدى الأحقاب خِدرا [2]

وتمضى القصيدة بعد ذلك ، فتطول حتى تصل إلى ١٥ مقطعاً تتنوع فيها القوافى ، ويختتم كل مقطع بقفل على روى الراء . وكذلك يستفيد من بناء الموشحات فى قصيدته (مع الأمواج) فيقول :

ياموكب الأحـلام | ينساب صداحاً
يسرى على الأيام | بشــرا وأفرحا
من روعة الأنغام | يهتــز ممراحا

فى خفة البشـرى

([1]) أحمــد خضــر (بالاشتراك) – الشاعر أحمد السمرة المبدع والمفكر – دراسة بعــنوان : عــن ديــوان أنسام وأنغام – مطبوعات قصر ثقافة الأنفوشي . د.ت- ص ٣٩ .

([2]) ديــوان (أنسام وأنغام) الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية د.ت - ص ٦٥ .

- مشتاقةً حيرى

- ينداح فى الرمل [1]

ويعقب هذا المقطع اثنا عشر مقطعاً تتغير قوافيها ، لكنها تلتزم بالقفل ذى روىّ السلام ، ولا شك أن أحمد السمرة قد استفاد من المربعات والمخمسات والمسمطات فجاءت قوافيه متنوعة ، مما أعطى شعره رحابة موسيقية ، كما منحه عذوبة ووفر فيه التشويق الذى يجذب المتلقى .

وتتجلى استفادته من الشكل التوشيحى فى قصيدته (الشادى) حيث يقول :

أغرانى الصفو بدنيا الخيال فى همسة الحب

وقال غرد للندى والظلال تغريدة القلب

وانسج من الأنغام سر الجمال فى خاطر الصب

روح الهوى شوق يؤم الرجاء [2]

يظهر هنا – بوضوح – استخدام التفعيلات بالنظام الذى ابتدعه فن الموشحات ، فالأبيات الثلاثة – الأولى تسير على التفعيلات الآتية :

مستفعلن مستفعلن مستفعلاتن مستفعلن فعلن

والشطرات الأولى الطويلة على قافية ، والقصيرة على قافية اخرى ، ويختتم المقطع بشطر على :

مستفعلن مستفعلن مستفعلان

وهى على روى الهمزة الذى يلتزمه الشاعر فى قفل كل مقطع ، وهذا النظام التفعيلى وتنويع القوافى نظام توشيحى .

وكان أحمد السمرة متمكناً من بناء الشعر البيتى يصول ويجول من خلال الأوزان المتنوعة والقوافى المختارة يقول ما يشاء فى موضوعات

---

(1) السابق ص ١٦

(2) أنسام و أنغام – ص ٨٨ .

وأغــراض كانــت هــي السائدة فى عصره مثل القومية العربية والثورة ومكافحــة الاحتلال ومدح قائد الثورة ، بالإضافة إلى قصائد متنوعة عن الإسكندرية من خلال محطة الرمل وبنت بحرى ومقاهى الإسكندرية ، مع عــدد مــن القصــائد الغزلية المتنوعة ، وكذلك كتب عن فلسطين وثوار الجزائــر والســد العــالى وغير ذلك ، كما كتب قصائد تميل الى الفكر والفلســفة مــثل موت الكروان ، والدنيا والناسك والفتاة وإكليل الغار .. وغيرها ، وتحتل القصائد الدينية مساحة كبيرة من إبداع الشاعر – يقول :

صدق الله وعده ، وتهــــادى ... موكب النور فى دجى البيداء
فإذا الأرض والسماء بشيــر ... بالهدايات بالمنى بالنمــــاء
وإذا النصر فى الركاب رفيق ... وإذا الليل يهتدى بالضيــاء
الصلاة الصلاة فى كل ركن ... والسلام السلام فى الأنحاء [1]

لم يخرج أحمد السمرة عن إطار الأغراض التى كتب فيها معاصروه مــن الشعراء ، ولكن ظهر الإبداع فى نواحٍ كثيرة من قصائده ، وساعده علــى اتخاذ مكانته بين شعراء الاسكندرية صفاته الشخصية الطيبة ، فقد كــان إنساناً ودوداً وديعا خفيف الظل ، وكان محدثاً لبقاً حاضر البديهة ، إذا تحدث يأخذ بألباب من يحدثهم ، فإذا بالوقت الطويل يمر سريعا ، ولا يقــوم مــن مجلسه أحد إلا وقد اكتسب معلومة جديدة قالها السمرة خلال أحاديثه الطريفة . وقد كان مجلسه فى مقهى النيل بالمنشية – مع الشاعر الكبــير محمود العتريس – مكانا يسعى إليه الشعراء من الإسكندرية ومن خارجهــا ، وإن من عرف أحمد السمرة وتحدث إليه يحزن حين يجد أن معلوماتــه الموسوعية لها أثر ضئيل فى شعره ، فقد كان من الممكن أن تــرفع تلك المعلومات شعره إلى أعلى الدرجات حين يصاحبها إبداع فى اســتخدامها ، لكن موسوعيته – على أى حال – كانت سبباً فى دفع كثير

---

(1) انسام وانغام – ص ٧

مـــن تلاميذه إلى تحصيل الثقافة . فقد كان ينظم ندوة أسبوعية فى قصر الـــثقافة ، يفتح فيها صدره لكل من يحاول أن يكتب حتى لو كان ضعيف المســـتوى ، بل حتى لو كان دون المستوى من منطلق أن التشجيع ربما يؤدى الى قفزة فى الإبداع ، وفى نفس الوقت كانت ندوته تضم عدداً من الموهوبيـــن الذيـــن شـــقوا طريقهم بعد ذلك وفى مقدمتهم الشاعر جابر بسيونى .

إن أحمـــد السمرة – رحمه الله – شاعر كان له دور عظيم فى مدينة الإسكندرية استطاع أن يجعل مصر كلها تتغنى بكلماته ، أصدر ديوانين : أنســـام وأنغام ، وقصائد إسلامية ، وأصدر مسرحيتين : ساق من ذهب ، ورئـــبال ، وأصـــدر دراستين : الفارس القديم محمود سامى البارودى ، والطريق الى الشعر وهى دراسة تعليمية صدرت بعد وفاته .

حصل أحمد السمرة على عدد من الجوائز أهمها ميدالية الإسكندرية التى تسلمها من المحافظ عبد التواب هديب فى أوائل السبعينيات ، كما نال درع الهيـــئة العامة لقصور الثقافة فى المؤتمر الثالث عشر لأدباء مصر فى الأقاليم الذى عقد فى المنصورة عام ١٩٩٨ بصفته أحد الراحلين الذين أدوا دوراً رائداً فى الحركة الأدبية فى أقاليم مصر .

كان أحمد السمرة رئيس جمعية المؤلفين والملحنين بالإسكندرية ، وعضو مجلس ادارة الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب بالإسكندرية ، وعضـــو اتحـــاد الكتاب المصرى ، وقد كتب الشاعر الكبير عبد اللطيف النشار فى مقدمة ديوان السمرة الأول :

(أجـــد فى ديوان " أنسام أنغام " الحرية الفنية الحقة والانطلاق والســـهولة مع جزالة القالب ورقة العبارة ونورانية الحرف ، ومع أنى ألمـــس الفـــارق بيـــن الذاتى فى شعره والجماعى ، فلا أجد هذا الفارق نتـــيجة تقصـــير ولكن نتيجة الفارق فى التجربة ، وفيما عدا ذلك فشعر

الديــوان شعر توفرت فيه لمع البلاغة والفصاحة ، فلم تشبه سوقية او عامية) . [1]

هكــذا كــان أحمد السمرة بالفعل شاعراً فصيحاً ، محافظا على لغته ســاميا بألفاظه التى تدل على سمو اخلاقه ومعارفه الواسعة ، ربما أفلت من يده المستوى الفنى فى بعض قصائد المناسبات ، لكن بقية شعره امتاز بالجودة والإبداع ، لقد وهب أحمد السمرة عمره للشعر ولأجيال الشعراء مــن بعــده فــى الإسكندرية مدينته الأثيرة التى كتب لها ولأهلها أروع قصائده ، فاتخذ مكانة عالية فى تاريخ الإسكندرية الأدبى .

---

(1) أنسام وأنغام – المقدمة – ص : ط ، ى .

عبد العليم القبانى

يعـــد الأستاذ عبد العليم القبانى واحدا من عمالقة الشعر الإسكندرى فى القـــرن العشـــرين ، بل ربما لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إنه فى الصف الأول مـــن كبار شعراء الإسكندرية عبر تاريخها الطويل منذ أن أنشأها الإســـكندر الأكبر حتى اليوم ، وذلك لأن إنتاجه الشعرى امتاز بالغزارة والتـــنوع والـــتجديد ، وهى ثلاث صفات إذا اجتمعت حققت لأى شاعر مكانة كبرى وخلوداً دائماً ، وترجح كفته إذا ما تمت موازنة بينه وبين من لا تـــتوافر لديه هذه الصفات ، يضاف إلى هذا أن عبد العليم القبانى كان واعـــياً لأهمية نشر أعماله ، مما بوأه مكان الصدارة من حيث النشر بين شـــعراء جـــيله من الإسكندريين ، ففى الوقت الذى نشر فيه الأنصارى ثلاثة دواوين ونشر محمود العتريس ديوانين ، ولم ينشر إداورد حنا سعد غير ديوانين فى شبابه – غير موجودين بين أيدينا – أصدر القبانى ثلاثة وعشرين كتابا ، منها ١١ ديواناً شعرياً و ١٢ بحثاً .

والقـــبانى واحـــد من أولئك الشعراء الذين قطعوا مسيرة من العناء الطويل ، مفعمة بكثير من الجهاد فى سبيل بناء نفسه ثقافياً ، عبر ظروف قاسية من مجاهدة الحياة ومعاناة العيش .

ولـــد عـــبد العليم القبانى فى مدينة مطوبس بمحافظة كفر الشيخ فى الـــثانى من اغسطس ١٩١٨م [١] وانتقل مع والده إلى الإسكندرية وعمره خمـــس سنوات ، فنشأ فى تلك المدينة الساحرة ، وتفتحت عيناه على دنيا تموج بالأحداث والعلاقات ، والتحق بالدراسة زمناً قصيراً ، ثم خرج إلى معـــترك الحياة ، ليعمل ترزياً عربياً ، يقوم بتفصيل الجلابيب وغيرها ، وهى مهنة أخذها عن والده ، وبدأ مسيرة الشعر والأدب ، فكان له أساتذة

---

(١) المعلومات عن حياة عبد العليم القبانى مأخوذة منه شخصيا .

فـــى بداياتـــه كانوا يجيئون للجلوس فى دكانه ، تعلم منهم الكثير أمثال : الشيخ أحمد البصال مأذون كرموز الذى كان يقول الشعر ، والشيخ عمر الجـــندى شـــيخ معهـــد الإسكندرية الدينى وكانا من زبائنه ، كذلك يعتبر القبانى من أساتذته الذين تعلم منهم أو من أعمالهم كلا من فريد أبو حديد وأحمد شوقى والمتنبى ، ومن المؤكد أن القبانى بنى نفسه بنفسه .

بلغ عبد العليم القبانى الثلاثين من عمره فبدأ عهد الإنجازات الكبرى بالنسبة إليه ، فقد حصل فى عام واحد (عام ١٩٤٨) على جائزتين من الجوائز الكبرى ، كانت الأولى جائزة وزارة المعارف العمومية ، وكانت المشاركة فى مسابقتها بخمس قصائد ، وكان من المحكمين عباس محمود العقاد ومحمد فريد أبوحديد ، وقد أدى حصول القبانى على الجائزة الأولى فى هذه المسابقة إلى تسليط الأضواء عليه ، وازداد تألقه حين حصل في العـــام نفسه على جائزة الإذاعة المصرية فى الشعر الغنائى . وقد أدرك القبانى أهمية الجوائز فهى تؤدى إلى حضور إعلامى بصورة أو بأخرى لذلـــك توالـــى حصوله على الجوائز الأولى ، فحصل على جائزة الشعر الديـــنى مـــن وزارة الأوقاف ١٩٥٧ م وكانت المسابقة عن أبى العباس المرسى ، كما حصل على جائزة أحمد شوقى عن أحسن ديوان فى الشعر القومـــى ١٩٦٤ م، وجائزة الشعر الاجتماعى عن الأم من وزارة الشئون الاجتماعـــية ١٩٧٤ م ، كما حصل على جائزة الشعر الدينى فى المسابقة التى نظمتها إذاعة لندن ١٩٨٠م، وحصل على جائزة الإبداع الشعرى من مؤسسة البابطين ١٩٩١م.

ويعـــد عبد العليم القبانى من شعراء الاتجاه الكلاسيكى الذين تمكنوا مـــن أدواتهم تمكناً تاماً ، ولهذا استطاع أن ينوع فى بنية قصائده ، فكتب الملاحـــم التى يصل بعضها إلى ثلاثة آلاف بيت مثل الملحمة العرابية ،

وكتب القصائد المطولات ، والقصائد القصار ، والرباعيات ، ونظم عدداً من القصائد المترجمة ، كما كتب الأغنيات .

وكتـب الشعر البيتى بما يطيقه – ذلك الشكل – من إمكانات متنوعة فـى الأوزان والقوافـى ، كما كتب شعر التفعيلة ، وأحدث ثلاثة دواوين نشرها كتبها على شعر التفعيلة .

وتعـد ملحمة الحملة الفرنسية من الأعمال الشعرية التى تثبت مقدرة القـبانى ، فقد كتبها تحت عنوان (أبو الهول المصرى فى مواجهة النسر الفرنسى) وهى عبارة عن قصيدة تقع فى ٤٠٠ (أربعمائة) بيت كتبت جمـيعها علىالـبحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن – فى كل شـطر) وأبياتها جميعها على قافية واحدة تلتزم بروى حرف الراء ، وقد استهلها بقوله :

إلى أى ثغرٍ – قَبْلَ الكأسِ – تنظرُ ؟ ومن أى سهم أيها القلب تحذرُ ؟

ومنها قوله :

وعدت إلى أيـــام قومى أصوغها ملاحم تروى .. أو مآسى تذكر

وقـد كتـب القـبانى ثلاث مسرحيات شعرية ذات الفصل الواحد ، صدرت تحت عنوان (قوس قزح) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب . ولعل فى هذه الإشارات إلى أعماله دليلاً على مقدار التنوع الذى حفلت به كتاباته الشعرية .

وكـان للقبانى حضور فى فترات من حياته الشعرية لم يتحقق لغيره مـن شـعراء الاسكندرية ، مثال ذلك ما حدث أثناء العدوان الثلاثى على مصـر سـنة ١٩٥٦ م فقد علّق الأهالى قصيدته (لا ... لن أعود) فى إعلانـات ورقية كبيرة على جدران البيوت فى ميادين وشوارع السويس والاسماعيلية وبورسعيد .. ويقول فى تلك القصيدة :

لا ... لن أعود لمنزلى ..
لا ... لن أعود
إن العدو الحاقد الموتور
يخترق الحدود
سأرده
سأريه كيف تسود
فى الحرب الأسود

ثم يقول :

إنى سأجتاح السدود
سأدك جدران الوجود
سأذود عن وطنى المجيد
بالنار والدم والحديد
وأعود منتصرا ... وإلا
لن أعود [1]

وقد تناول شعر القبانى أغراضاً شتى .. منها الغزل والرثاء والشعر الوطنى والفكاهى والدينى والاجتماعى ، ويحظى ديوانه (بقايا سراب) بمكانة رفيعة بين دواوينه القديمة لما اشتمل عليه من موضوعات إنسانية. وحين يكتب القبانى فى موضوع إنسانى نجد قصيدته قد امتازت بالجدة والطرافة والتأثير القوى فى المتلقى ، ولعل أوضح مثل لهذا الأمر قصيدته (انطلاق) ، وهى من أجمل وأقوى ما أبدعه القبانى من شعر وفيها يقول :

انطلق وامض إلى حيث تريد
عالى الجبهة مضموم اليد

---

(1) عبد العليم القبانى – انطلاق – الإسكندرية –١٩٨٩ ص ٣٠ ، ٣١

انطلق واصعد .....
ودع يأس العبيد
لا يلى القمة من لم يصعد

***

قد ترى الدودة فى الخبز توارت مستقره
أو ترى فى الكأس سماً ناقعا أفسد خمره
أو ترى فى جسم حسنائك روحا لبعى
إن تجد هذا ... فلا تجزع ولا تحفل بشئ
ألق بالخبز لدى أول حفره
واحطم الكأس على أول صخره
وارم من خانتك فى عرض الطريق
ودع الأمس يولى من يدك
وتحفز لغدك
وانطلق .. وامض .. وسر
هكذا .. الدنيا تمر

ثم يقول القبانى :

كن من القسوة أقسى .. ومن الرحمة أرحم
ومن الصخرة أكدى
ومن الدوحة أكرم
ومن البومة أنعى
ومن البلبل أرخم
وكن الليث إذا ما زأر الليث وأقدم
واقتطف من كل غصن زهره
واغتنم من كل كرم ثمره
واسم بالوحدة ان خان الصديق
ودع الأمس يولى من يدك

وتحفز لغدك
وانطلق .. وامض .. وسر
هكذا .. الدنيا تمر [1]

ولا يحفل القبانى كثيراً بالصورة الفنية فى شعره ، لكنه يهتم بالعبارة المؤثـرة الـتى تسـتطيع أن تشـغل ذهن المتلقى وتؤثر فى مشاعره ، وتسـتدعى لديـه أحاسيس إنسانية يشترك فيها معظم الناس ، والقصيدة السابقة خير دليل على هذا .

وقـد كتـب عبد العليم القبانى عدداً من الدراسات القيمة مثل كتابه (موقف شوقى والشعراء المصريين من الخلافة العثمانية) وكتاب (رواد الشـعر السكندرى) كما كتب دراسات غير مسبوقة مثل كتاب فخرى أبو السـعود ، وكـتاب عبد الحميد السنوسى ، وكتاب مع الشعراء أصحاب الحرف .

والحياة قد علمت القبانى الحرص والنظام ، لذلك اهتم بجمع مؤلفاته فنشـر ٢٣ كـتاباً حـتى الآن ، ولم تزل لديه ٦ كتب لم تنشر ، وكتب مذكـراته الـتى نشر جزءا منها فى ١١ عددا من أخبار الأدب . وتعلم القبانى أن الصمت أثمن من الكلام لذلك ينسب إليه البعض صفة المكر ، بينما يدرك الذين عاملوه عن قرب مدى صفاء قلبه .

ويـتحلى القـبانى بحافظة قوية ، جعلته مرجعاً حياً للشعر العربى ، ويـتحلى كذلك بحضور يحببه إلى جمهور الشعر إذ يجيد – فى الغالب – اختـيار قصـائده التى يلقيها فى الاحتفالات والمهرجانات مما يحقق لـه وجوداً مرغوباً .

إن عبد العليم القبانى مثل يحتذى فى إدراكه أهمية نشر أعماله ، ولا شـك أنه كان أكثر وعيا من معاصريه من شعراء الإسكندرية حين اهتم

---

(1) عبد العليم القبانى – انطلاق – ص ٥ – ٧ .

بإصـــدار إنتاجه الشعرى والبحثى ، وكان هادياً فى هذا المجال لمن لحق به من الشعراء فاهتدى به من اهتدى ، وتغافل عن ذلك من تغافل فملأوا أدراجهم بقصائد لا ترى النور ، إنها دعوة لشعراء الإسكندرية أن يهتموا بالحضـــور من خلال النشر فهو الوجود الحقيقى لهم ، أما إنشاد القصائد فـــى الندوات والمهرجانات فهو وجود مؤقت ينتهى بعد فترة وجيزة من الزمن .

إن عـــبد العليم القبانى صوت شعرى قوى ، طور نفسه مع الزمن ، واســـتطاع تقديم إنتاج متنوع نال تقدير المتلقى ، وساعدته غزارة إنتاجه علـــى تقديـــم كثير من التجارب ، واستفاد من قراءاته فى الشعر العربى والشـــعر العالمى المترجم ، كما تمكن من تحصيل ثقافة أدبية أعانته على خـــوض مجال البحث ، فقدم دراسات بحثية قيمة ، ورفع اسم الإسكندرية فى مجال الشعر من خلال أسفاره فى محافظات مصر المختلفة ، ووهب حياته لأدبه فعلا وتألق ، فصار نجما فى سماء الشعر .

محمود العتريس

الأصيل ... المجدد

هــذا شاعر حفر اسمه فى التاريخ الأدبى لمدينة الإسكندرية ، واتخذ مكانه فى طليعة الشعراء المجددين من أبناء هذه المدينة العريقة ، هو أحد فطــاحل الشعراء العموديين ، وهو أول من نشر شعر التفعيلة من شعراء الإســكندرية ، كان مجلسه – مع الشاعر أحمد السمرة – فى مقهى النيل مدرســة للثقافة الرفيعة ، حيث كان الشعراء يتحلقون حولهما كل مساء ، ينهلون من ثراء المعارف المطروحة والقضايا المثارة ، وأمام كل منهما شيشــة لا ينفذ ما بها من (تمباك) طوال الليل ، ولا ينفد ما لديهما من أنهــار الــثقافة الجارية . ولا يصلح أن يذكر الشعر الإسكندرى دون أن يكون فى الصف الأول منه اسم مضئ هو .. محمود العتريس .

ولــد فى ٥ ديسمبر ١٩١٩ بحى كوم الشقافة بالاسكندرية ، وعاش طفولته فى مرسى مطروح حيث كان والده تاجراً هناك .. [1] .

انتقل محمود وحده إلى الإسكندرية حين بلغ الحادية عشرة من عمره للالــتحاق بالتعلــيم الابتدائى بها ، بعد أن عبر التعليم الأولى فى مرسى مطــروح ولم يكن بها تعليم ابتدائى ، وقد كانت مراحل التعليم تنقسم إلى تعلــيم أولــى ثــم ابتدائى ثم ثانوى يتكون من الكفاءة (٣ سنوات) ثم البكالوريا (سنتان) .

أقام محمود العتريس عند بعض أقاربه بالاسكندرية وبعد ثلاث سنوات عــادت أســرته إلــى الإسكندرية حيث أقامت فى بحرى إذ كان شاعرنا يــدرس آنــذاك فى مدرسة رأس التين الابتدائية ، وقد ظل مقيما فى حى بحرى حتى اليوم .

---

(١) المعلومات عن حياة محمود العتريس مأخوذة منه شخصيا .

حصـــل على شهادة الابتدائية عام ١٩٣٦ وكان ترتيبه الثانى عشر علـــى القطر المصرى ، وحصل على مجموع قدره ٥ر٨٧% وكان هذا المجمـــوع العـــالى يؤهله للالتحاق مجانا بالتعليم الثانوى ، لكن ظروف الأسرة كانت قد تبدلت ، فقد ترك الأب متجره بمرسى مطروح الذى كان يبـــيع فيه البضائع المتنوعة ، فقد كانت هناك خصوصية لمتاجر الأرياف والمواطـــن الـــبدوية آنـــذاك إذ كـــان يباع فى الدكان كل شئ ، الأقمشة والحبوب والأطعمة والبنزين وغير ذلك ، فلما انتقل الوالد إلى الإسكندرية فـــتح محلاً لبيع الدقيق ، ولكنه لم يدم طويلاً فقد كان عناء السنين قد أثر فى صحة الأب ، وكان محمود هو الابن الأكبر وكان لـــه أخوان وأربع أوات ، وزاد العبء على الأب ، وكان على شاعرنا أن يتحمل المسئولية للمســـاهمة فـــى النفقات ، فالتحق بمدرسة التجارة المتوسطة إذ كان لها مـــيزتان : الأولى أن مدة الدراسة بها أربع سنوات ، والثانية أن الحاصل علـــى دبلوم التجارة يمكنه إيجاد عمل بمجرد تخرجه ، أما الحاصل على الـــبكالوريا فلم يكن من اليسير حصوله على عمل إلا إذا تخرج فى إحدى كليات الجامعة ، وهكذا نال شهادة التجارة المتوسطة سنة ١٩٤٠ .

التحق محمود العتريس بالعمل فى بعض مكاتب المحاسبة بالاسكندرية ، ثـــم عمل فى الجيش البريطانى فى الإدارة الحسابية بالمؤسسة الاقتصادية للقوات البريطانية حتى عام ١٩٤٧ .

كـــان عمره آنذاك ٢٨ سنة ، وكان قد نال خبرة كبيرة فى الأعمال الحســـابية ، مما أهله للعمل رئيساً للحسابات بشركة أنيس يوسف ، وهى شركة تعمل فى تجارة المجوهرات وفى المقاولات المعمارية ، وقد صار بالمعاش الآن إلا أنه يتردد على الشركة بصفته مستشاراً لها .

بدأ الإبداع عند محمود العتريس عن طريق القراءة ، لقد بدأ قراءاته وعمـــره عشر سنوات ، حين كان يدرس فى مرحلة التعليم الاولى ، فقرأ

سيرة عنترة ، وسيرة ذات الهمة ، وسيرة أبى زيد الهلالى وغيرها ، كان يؤجـــر تلـــك الكتـــب فيقرأها ثم يعيدها إلى مكتبة يملكها (قهوجى) فى مرسى مطروح .

وهـــنا يظهر دور الأب صاحب العقل الواعى، حين رأى ولده يحب القـــراءة بعث مع بعض أصدقائه فاشتروا لـــه أعمال المنفلوطى النثرية والمســـرحيات الشـــعرية لأحمـــد شوقى ، فانكب محمود العتريس على قراءتها ، وكان يقرأ المجلات بشغف حيث كانت تنشر موضوعات ثقافية بناءة ، وحفظ ثلث القرآن الكريم فى تلك المرحلة .

استمر العتريس فى قراءة المجلات بعد إنتقاله إلى الإسكندرية ، مع مـــا يقـــع تحـــت يده من كتب ، وفى عام ١٩٣٣ توقفت مجلة أبولو عن الصدور ، وصارت تباع أعدادها القديمة بثمن قدره نصف قرش (تعريفه) – حيـــن اطلع العتريس على أعداد مجلة أبولو نما لديه حب الشعر ، وبدأ يكتـــب بالعامية ، فكتب أزجالا كثيرة ، وتتلمذ على ما فى مجلة أبولو من قصائد .

ولما جاءت الأسرة إلى الإسكندرية اشترى لـــه والده كتاب (جواهر الأدب فـــى أدبـــيات وإنشاء لغة العرب) للهاشمى ، ويتكون من مجلدين يضمان تاريخ الأدب العربى زماناً ومكاناً وأشخاصاً من العصر الجاهلى حتى عصر شوقى ، وقد كان لهذا الكتاب أثر عميق فى توجهات الشاعر الأدبية ، فبدأ يكتب شعر الفصحى عام ١٩٣٦ وعمره ١٧ سنة ، وزامله الأديـــب نصـــر الدين عبد اللطيف من عام ١٩٣٧ وقد كان نصر الدين يشـــغل منصـــب مدير تحرير الهلال فى أوائل السبعينيات ، وهى مكانة كـــبرى إذ كانـــت المجلات الثقافية المصرية قليلة العدد جدا ، وكان لدار الهلال مكانة عظمى بين دور النشر ، وكان لمجلتها مكانة رفيعة .

توثقت علاقة العتريس بالملحنين والشعراء ، ولمع اسمه عام ١٩٤٨ حيــن حصــل علــى الجائــزة الثالثة فى المسابقة التى نظمتها الإذاعة المصرية، وفى تلك المسابقة فاز صالح جودت بالمركز الاول عن قصيدة عــنوانها (لــيالى القاهرة) وفاز عبد العليم القبانى بالمركز الثانى عن قصــيدته (ليالى البحيرة) بينما فاز محمود العتريس بالمركز الثالث عن أغنــية عامــية عنوانها (النخيل) وتعرف العتريس إلى القبانى فى تلك الســنة وقامــت صداقه بينه وبين عدد من الملحنين فى الإسكندرية أمثال محمود الشريف وحسين جنيد وخليل المصرى .

ولأغنــية النخــيل الــتى ألفهــا محمود العتريس حكاية كاد يطويها النسيان، ولا بأس من سردها ، هذه الاغنية لحنها الموسيقار أحمد صدقى وغنتها المطربة شهر زاد . يقول فيها :

فرعك سمير الهوا فى مجلســه العــالى
وفيك حلاوة الدوا يانخــل ياغالـــى
يانخـــل ياغالى
تبارك اللى صنـع فى أرض مصر البدع
وجملك بيهـــــا
عروش فى جو السما طالعة ومتكسمـة
سحر الوجود فيهـا
يا نخل يا غالـــى
إنت نعيم الإلـــــه للبدو فى الصحــــرا
والريف ما كمل بهاه غير هامتك الخضرا
وف كل دنيا وحياه يانخـــل لك ذكرى
يانخل ياغالـــى
يا نخل ياابو البلح فى كــل زينه وفرح

جمالك البادى

وبحكمه من ربنا جعلك دليل حقنا

فى وحدة الوادى

إلى أن يقول العتريس :

الأرض أرض النيل والوادى وادينا

وفاروقنا سيد الجيل ومليكنا وراعينا

يا نخل يا غالى

ظلت أغنية النخيل تذاع مع أغنيتى صالح جودت والقبانى حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ حيث توقفت إذاعتها بسبب قوله : عروش فى جو السما

وقوله : وفاروقنا سيد الجيل ومليكنا وراعينا

تم دفع الأغنية إلى بيرم التونسى حين كان مشرفا على لجنة النصوص فبدل كلمة عروش وجعلها : فروع ، وبدل كلمة : فاروقنا – نسبة إلى الملك فاروق – وأذيعت الأغنية بعد التعديل ، إذ رفع منها كلمتي (عروش وفاروقنا) اللتين تدلان على عهد الملكية .

ولكن كان من قدر هذه الأغنية منع إذاعتها فقد منعت من الإذاعة عام ١٩٥٤ ، فهو يقول :

وبحكمه من ربنا جعلك دليل حقنا

فى وحدة الوادى

إن المعنى جميل ، فالنخيل الذى فى مصر هو النخيل الذى فى السودان وهو الدليل على وحدة وادى النيل ، وكانت السودان تابعة لمصر، ولكن تم اجراء استفتاء بين السودانيين ، فاختاروا الاستقلال عن مصر عام ١٩٥٤ وحينذاك صدر القرار بمنع الأغانى التى تتحدث عن وحدة النيل وعن مصر والسودان ، ومنها أغنية النخيل .

كتب محمود العتريس الأغانى والمنولوجات ، ووصل عدد ما أذيع له منها الى ٢٠ عملا ، وغنت لــه فتحية أحمد وشهر زاد ولحن لــه أحمد صدقى ومحمود الشريف (وهو إسكندرى من باكوس) وغيرهم .

كثير ممن عرفوا العتريس لا يعلمون أن لــه كتابات كثيرة بالعامية ، وإن عزمه على تجميعها ونشرها هذه الأيام من الأمور المحمودة له فإن الشاعر هو المسئول الأول عن تجميع تراثه الإبداعى .

وإن كثيرا من الذين عرفوا العتريس لايعلمون أنه كان يراسل محطة الشــرق الأدنى البريطانية ،وكان مركزها فى جزيرة قبرص ، وأنه كان يتعامل مع هذه الإذاعة فى مجال التأليف الغنائى .

وتــدور الأيام .. ويصير محمود العتريس من الأعضاء البارزين فى الاتحــاد الاشتراكى العربى ، ويصير عضواً فى مجلس المحافظة (ولم تكن المجالس المحلية قد أنشئت) ويصير عضواً فى لجنة الثقافة والتربية والتعلــيم بالمحافظــة ، ويصير أحد أعضاء مجلس الإدارة الذين أسسوا مجلس الثقافة بمحافظة الإسكندرية بناء على قرار من محافظ الاسكندرية حمدى عاشور سنة ١٩٦٨ بتأسيس هذا المجلس الذى ضم الدكتور محمد زكى العشماوى والشاعر محمد عبد الرحيم إدريس والكاتب محمود دياب وغيرهم .

ومحمود العتريس من الرعيل الأول فى الهيئة المحلية للفنون والآداب والعلــوم الاجتماعــية ، وهو عضو مؤسس لجماعة أدباء الشعب وكان عضــو مجلس إدارة بها ، وهو عضو اتحاد المؤلفين والملحنين وناشري الموســيقا منذ عام ١٩٥٤ ، وعضو اتحاد الكتاب المصرى من ١٩٧٨ ، وعضو جماعة أبولو الجديد ، ونادى القصيد .. وغيرها .

حصل العتريس على عدد من الجوائز منها :

جائزة الإذاعة المصرية ١٩٤٨ .

جائزة اللجنة العليا للشعر والموسيقا ١٩٥٤

جائـــزة المجلـــس الأعلـــى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة حالياً) ١٩٧٤ .

جائـــزة هيـــئة تنشيط السياحة بالإسكندرية ١٩٦٨ ، عن قصيدة بعنوان (أغنـــية إلى الإسكندرية) ، وقد نشرت هذه القصيدة بجريدة الأهرام سنة ١٩٨٨ ، فنقلـــتها وزارة التربية والتعليم من الأهرام ، وقررتها فى كتاب النصـــوص على طلبة الصف الأول الإعدادى بدءاً من سنة ١٩٩٢ ولعدة أعوام .

صدر للشاعر ديوانه الأول (باب المدينة) عن الهيئة المحلية لرعاية الفـــنون والآداب والعلـــوم الاجتماعية سنة ١٩٧٣ وصدر ديوانه الثانى (أمطـــار الليل) على نفقته الخاصة سنة ١٩٩٣ ، وصدر ديوانه الثالث (أصـــداف مـــن شاطئ الفيروز) عن الملتقى المصري للإبداع والتنمية سنة ٢٠٠٠ .

وبالرغم من أن الشاعر لم يبدأ جمع قصائده فى ديوان إلا بعد مسيرة طويلـــة إلا أنه كان له تواجد شعرى على الساحة المصرية والعربية من خلال قصائده التى نشرها فى المجلات ذات الانتشار الواسع مثل الرسالة والـــثقافة والشعر ، كما نشر فى مجلات كان لها نصيب كبير من الرصد الأدبى لما تنشره من شعر مثل روز اليوسف ، والكواكب فى عهد صالح جـــودت ، كذلـــك نشر العتريس فى بعض المجلات الأدبية العربية ذات المكانة الكبرى مثل الآداب البيروتية .

ويعد محمود العتريس من أوائل شعراء الإسكندرية – المقيمين بها – الذين كتبوا شعر التفعيلة ، وهو أول شاعر إسكندرى ينشر هذا اللون من الشـــعر ، ومن أوائل قصائد التفعيلة التى نشرها قصيدة (أغنية من أجل

الفرنســـان) الـــتى نشرت فى مجلة الآداب البيروتية ١٩٦٤ ، وقصيدة (طير الشمس) التى نشرت فى مجلة روز اليوسف ١٩٦٦ .

كذلـــك حقـــق العـــتريس وجوداً شعرياً قوياً من خلال اشتراكه فى مهـــرجانات الشعر التى كان ينظمها يوسف السباعى فى الستينيات حين كان سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وكـــان المهرجان يستمر سبعة أيام يتقاسمها الشعر والغناء ويشترك فيها كبار الشعراء من مصر ومن أرجاء الوطن العربى ، وقد شهد مدرج كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية كثيراً من هذه المهرجانات .

❖ **شعـر العتريس**

يمـــتاز شـــعر محمود العتريس بشخصيته الفنية المتفردة ، سواء فى شعره البيتى أو التفعيلى ، فهو لا يتشابه مع أحد من الشعراء .

نلاحظ – عند العتريس – استهلاله القصيدة استهلالاً قوياً يجذب انتباه المتلقى ، ويدخله مباشرة إلى عالم التجربة التى يعرضها ، مثال ذلك قوله فى قصيدة حكاية قناع :

وعاد من الرحلـــة المخفقه   يكذب كل الذى صدقـــه
ويمسح عن قسمات القناع   غبار الأخاديد والأروقه
ويدفن تحت جدار السكون   رفات الظلام وما لفقـه [1]

أو قوله فى قصيدته بندورا ... اللعبة الناقصة :

ما أقصرها تلك اللعبة !

....

المرات الخمس
تسقط فيها من كفى

([1]) محمود العتريس – باب المدينة – الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب – ١٩٧٣ – ص ٧٦ .

أحجار النرد المقهوره
وأنا لم أفرغ من أول كأس

....

ماذا أفعل يا من علمني
أن أشرب نخب الشمس
ماذا لو أخذتني الرهبه ؟؟ [1]

هكـــذا تـــبدأ قصـــائد محمود العتريس بدايات قوية تدفع المتلقى الى تكملـــتها ، فهى بدايات تثير فضول القارئ إلى معرفة ما يعقب الأسطر والأبـــيات التى قرأها ، وهذا يشى بما تتجلى به قصائده من تماسك البنية من ناحية ، وما يتوفر لها من تصاعد درامى من ناحية أخرى .

ويتجلى ذلك فى قصيدته (ملاح السراب) حيث يقول :

وظل ينزو خداعـــا	حتى وهى .. فتداعـــى
أضاع كنز الليالـــى	وضاع فيما أضاعـــا
إلا أراجيف وهـــم	لا تستحى أن تشاعـا
......	......
وكان يملك روضـا	وضفة ... وشراعـــا
يغرد الزهر فيـه	والطير تبنى القلاعـا
ويحضن الموج حسنا	أشجى العيون ابتداعا

بدأ العتريس قصيدته بداية تثير الفضول ، ثم ذكر لنا ما كان يملكه من قبل من جمال وروعه ، وينتقل سريعا ليصف لنا حاله الآن فيقول :

وأصبح الروض قفرا	وأصبح النهر قاعـــا
تفرق الزهر عنـــه	والطير ولت تباعـــا
ومركبات الأغانـــى	فى الفجر ذابت شعاعا

([1]) باب المدينة ص ٢٧

لكن ذلك البطل يتمسك بالسراب ، ويحاول استثارة الضعفاء .

يقول :

ولـــــم يزل يتنزى   ويستثير الجياعـــا
ببضعة مـــن سراب   لا تستحى أن تشاعا
تعيش بالوهم كأسا   بين الأكف مضاعا

ثم ينهى قصيدته قائلا :

وغاب عنه لقـــاء   أضحى الغداه وداعـــا
فهل يضير الأمانى   والصبح يطوى القناعا
أن راح حلما خجولا   وعاد هما شجاعا ؟ (1)

لقـد غاب عنه اللقاء الذى كان يتمناه فى هذه الحلبة وصار هذا اللقاء وداعـا الى الأبد ، فما الذى ستخسره الأمانى أو يؤثر فيها ؟ .. لقد ذهب وهـو حلـم يخجل من التصريح عما بداخله ، وعاد وهو هم سافر لديه القدرة على مواجهة ما حدث .

ومن قصائده المتميزة قصيدة (وقفة الأعراف) وفيها يقول :

وماذا بعد يا بعـــد ؟   لقد طال بنا العهـــد
وما زلنا مع الأيــــا   م نعدو حيث لا نعـدو
بأحلام مصفــــــدة   يئن لأسرها القيـــد
نروح كما يروح الوهم   أو نغدو كما يغـــدو
فلا يجمعنا قــــرب   ولا يفصلنا بعــــد (2)

إن الجـناس يضـيف كثيرا من الجمال إلى هذه القصيدة ، كما تلعب المقابلة والتضاد دورا فعالا فى قوله : نروح ونغدو ، ويجمعنا ويفصلنا ، وقرب وبعد ، كذلك تتجلى قدرته على التصوير فى قوله (بأحلام مصفده

---

(1) باب المدينة ص ٢٥ ، ٢٦

(2) السابق ص ٤٦

يئـــن لأســـرها القيد) إن القيد يئن من طول تكبيله للأحلام ومن شدة ما تلاقيه تلك الأحلام من عذاب ، وهو تصوير رائع إذ ألحق الأنين بالقيد ، فما بالك بالأحلام نفسها ؟.

ويستخدم الشاعر الحوار – أحيانا – فى قصائده ، مثال ذلك قوله فى قصيدة (العزف .. فى زمن العزوف) حيث يقول :

حملت إليك الذنوب الضحايا
شموع الخطايا
وأقداح ليل زمان الفضول
....
وكنت تقولين :
ليس على الدرب إلا رماد الفصول
فلا تبتئس لو شهدت ازدهار الذبول
يصفر فى ردهات الحكايا

ثم يقول العتريس :

وكنت أقول :
وهل كان سر اخضرار الحقول
سوى قبلة من شفاة الصبايا [1]

ويرسم الخيال عند محمود العتريس عالما لقصيدته يدخله المتلقى فى يســر وهــواده فيجد نفسه فى دنيا تظهر فيها أرجوحة النجوم ، وتظهر امامـــه خصـــلة من ضوء القمر ، حيث الحبيبة تعبث بما فى السماء من غيوم ، وتجعلها ساهرة لترعاها ... يقول فى قصيدته خيمة الدخان :

وأنت فى أرجوحة النجوم
تداعبين خصلة القمر

([1]) السابق – ص ٤٢ ، ٤٣ .

وتعبثين بالغيوم

وتشعلين الأرق الوردى فى جوانح السماء

هل تعلمين ما تقول لى عقارب المساء ؟ (١)

ويضيف التصوير عند العتريس أبعاداً جديدة للكمات ، فيجعلها تحمل معـانى لا يمكـن لمسها وإن كان يمكن الإحساس بها مثل قوله (ياقمرا أفيونيا) حيث يقول فى قصيدة قمر المرجان :

أشهد أنك

أفتن ما شاهدت

بدغل الليل المتألق حمى

يا قمرا أفيونيا

يحمل دفء العالم فى عينيه (٢)

قـال الشـاعر (أفتن ما شاهدت) ولم يقل أفتن من شاهدت ، لأنها ليست الأفتن فى النساء وحدهن ، وإنما هى الأفتن فى النساء والموجودات ايضا، خاصة ان تلك الموجودات فى مكان غريب مثير ، انه دغل الليل ، لكـنه ليس من الأدغال المظلمة ، إنما هو دغل متألق ، وهو ليس متألقا نتـيجة لوصول أنوار إليه بصورة أو بأخرى ، إنما هو متألق من حمى الإثارة ، إن تلك المرأة قمر أفيوني ، تجمع فى عينيها دفء العالم بأسره.

هـذا هو شعر محمود العتريس ، طاقات شعرية ضخمة تحتاج إلى وقفـة نقدية متأنية ، يضع الناقد يده – من خلالها – على مواطن الإبداع فى قصائده .

وتعـد قصـيده (ولمـا يسـدل الستار بعد) من أهم قصائد محمود العتريس لما اشتلمت عليه من تدفق شعرى مزج فيها الشاعر بين بحرى

---

(١) السابق – ص ٣٠ .

(٢) السابق – ص ١٢٠ .

المتقارب ، والمتدارك ورصعها بصور موحية وختمها بلفظ (خرساء) حتى لا يقال بعده شئ . يقول فى قصيدته :

(١)

هبينى انتظرتك يوما وشهرا وعاما ودهرا ، فهل قد تعودين
- يافرحتى- بعد طول انتظار ، وهل قد تشاهد عيناى
ما بات خلف الجدار الذى شيدته الرياح الطريدة فوق
ضلوع النهار ، ولو قد رجعت- ولو فوق أجنحة الحلم- هل
ترجعين كما كنت لى فى الزمان القديم ، شراعا وديعا وبدرا
ومركبة للأغانى وفجرا أم الليل- يافرحتى- مثلما غال
منى الزمان انتظارا وصبرا أتاك فأذبل فى شفتيك الربيعيتين
تقاسيم أنشودة الاختيار ؟؟؟
كل الأبواب مغلقة حتى أبواب الليل
مغلقة باتت فى وجه النجم الواحد
الناجى- بالصدفة- من معركة
الأمس .

(٢)

وفى البدء كنت أدير السؤال على كل دار ، أرى منك
- بالوهم- طيفا بها وأطيل الحوار فأسمع قهقهة
الريح خلفى وهمهمة الدرب عند الزوايا وكف الرحى
تطحن الأمنيات الصبايا- هوى العمر- بين عيون
المدار ، وفوق رمال السنين الطوال ، تباطأ خطو
السؤال تخافت صوت السؤال ، عيون السؤال تحجر
فى هدبتيها ندى الاحتضار ، وما زلت أحمل فوق خطايا
بقايا البقايا لعلى أدرك بعض المزار ، فهل بات ثمة
- يافرحة العمر- بعد مزار ؟؟؟؟

كل الأبواب مغلقة فى وجه النجم الواحد
الناجى بالصدفة من معركة الأمس
يا ويل الويل ، النجم الباقى توشك
أن تأكله الشمس السوداء .

(٣)

حقيقة ماذا ، حقيقة هذا السراب الذى خدر الشمس واستل
من خطوة الفجر درب النهار ، حقيقة وهم يشاد خطايـــا
ويهوى شظايا فيغرس فى تربة الليل بذرة هذا الجنى الحنظلى
الثمار ـ هبينى أعلم ـ يافرحتى ـ اليوم اسرار هذا البـــوار
فماذا يفيد اجترار الحكايا ، هبيه يعود كما كان فجـــــرا
وطيرا وزهرا وعطرا ، وما أبقت الريح فى موقد الأمس الا
رمادا الحصار ، حطام النوايا التى حنق الوهم أقمارها واستدار
فهل عند هذا المدى يستطاب الجوار ؟؟؟
كل الأبواب مغلقة حتى أبواب الليل
مغلقة باتت فى وجه النجم الواحد
الناجى ـ بالصدفة ـ من معـركة
الأمس ، ياويل الويل النجم الباقى
توشك أن تأكله الشمس السـوداء
مغلقة ما زالت والاقفال أحاديـث
خرسـاء [1]

[1] محمــود العــتريس – أصــداف من شاطئ الفيروز – الملتقى المصرى للإبداع والتنمية – ٢٠٠٠ – ص ٥٩ – ٦١ .

إن محمـــود العتريس مثل واضح للشاعر الأصيل المجدد ، يأتى فى مقدمـــه شـــعراء الإسكندرية الذين أضافوا الكثير إلى ديوانها الشعرى ، وتألق فى ساحاتها ممثلا قمة شعرية شامخة .

د. محمد زكى العشماوى

أستاذ الأساتذة

شخصـــية جذابـــة ، جمـــع صاحبها تواضع العالم الجليل ، إلى رقة الإنسان الصافى ، إلى طاقة الإبداع المتفوق ، إلى قدرة العقل المبتكر .. ذلـــك هو الدكتور العشماوى ، أستاذ الأساتذة ، وواحد من رجال الصف الأول الذيـــن تعـــتز بهـــم الإسكندرية ، وتتبختر بين المدن مفتخرة بأن العشـــماوى اخـــتارها عشا لحياته ، فوهبته من عبقريتها ، وكانت ساحة لآماله وأحلامه وسجل عطاؤه صفحة مجيدة فى تاريخها الطويل .

ولـــد محمد زكى محمد الإمام العضماوى فى ٣ فبراير سنة ١٩٢١ فـــى مدينة فارسكور بمحافظة دمياط [١] كان جده محمد الإمام من أعيان المدينة وأثريائها المرموقين يملك أراضى شاسعة ، وعمل قاضيا بمحكمة فارســـكور وبعـــد وفـــاة محمد الإمام حاول ولده الأكبر مضاعفة الثروة بالمغامرة فى تجارة القطن ، لكنه خسر الثروة كلها .

حصـــل زكـــى بن محمد الإمام العشماوى على الشهادة الابتدائية ، والتحق فى أواخر عام ١٩٢٥ بالعمل فى تفتيش الأمير عمر طوسون فى بلـــدة طوخ القراموص بجوار أبى كبير بمحافظة الشرقية ، وهناك التحق محمد زكى بكتّاب القرية ، ثم انتقل الأب زكى للعمل فى تل حوين بجوار الـــزقازيق ، فالـــتحق محمد بالمدرسة الأولية بها ، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائـــية فـــى الـــزقازيق ، ثم بعد ذلك تم تعيين خالد العشماوى مدرسا بمدرســـة فارسكور الابتدائية ، وخالد العشماوى هو عم محمد وخاله فى

---

(١) د. محمد مصطفى هدارة (بالاشتراك) – محمد زكي العشماوي إبداعاً وفكراً – الهيئة العامة لقصور الثقافة – الكتاب التذكار – ١٩٩٦ – ص ٦ .

الوقــت نفسه ، إذ كان للجد محمد الإمام ... أكثر من زوجة فكان هناك أخوة من الأب وأخوه من الأم .

ورأت الأســرة نقــل محمـــد زكى العشماوى إلى مدرسة فارسكور الابتدائــية ، وبذلك ينال رعاية تعليمية ممتازة من عمه خالد العشماوى ، فكان محمد لا يرى والديه إلا فى عطلات المدارس .

حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٣٤ والتحق بمدرسة المنصورة الــثانوية فـــى القسم الداخلى ، ومن المفارقات الغريبة أنه رسب فى مادة اللغة العربية فى السنة الأولى الثانوية ، وقد أثار هذا الأمر فى نفسه روح الــتحدى ، فانكـــب علـــى اللغـــة العربية دارساً محباً ، فصار واحداً من أساطينها .

وهــذه الحادثة تذكرنى بما وقع للأمير عبد العزيز بن مروان ، والد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز . كان عبد العزيز أمير مصر ، ودخل إليه رجل يشكو ، سأله الأمير : من ظلمك يارجل ؟ ؟

فأجاب : ختنى (بكسر الخاء وتسكين التاء)

فسأله الأمير : ومن ختنك . (بفتح الخاء والتاء)

فغضب الرجل وقال : سبحان الله ! .. ختــننى الخاتن الذى يختن الناس .

وترك الرجل المجلس وخرج غاضبا – كان الأمير عبد العزيز ضعيفا فـــى الـــنحو ، وحيـــن حدث ذلك سأل المحيطين به عما أغضب الرجل، فأوضـــحوا لـــه الأمر ، فالرجل أبلغه أن الذى ظلمه هو ختنه (بتسكين التاء) أى زوج ابنته ، فلما سألة الأمير : من ختنك (بتحريك التاء) ظن الرجل أن الأمير يسخر منه ويهزأ به ، حينذاك حبس الأمير عبد العزيز نفســـه فـــى غرفته أسبوعا ، انكب فيه على كتب النحو واللغة ، ثم خرج وهـــو مـــن علماء النحو المعدودين ، وصار يهب الجوائز للمتمكنين فى النحو واللغة ، فقد درسها بروح التحدى والحب فى الوقت نفسه .

وهكـــذا فعـــل العشماوى ، وقد انتقل بعد ذلك إلى مدرسة المساعى المشكورة فى شبين الكوم ليحصل على شهادة التوجيهية عام ١٩٤٠.

التحق بكلية الآداب جامعة الإسكندرية قسم اللغة العربية ، وتفوق فى سنوات الدراسة حتى نال شهادة الليسانس عام ١٩٤٥ بتقدير ممتاز وكان الأول على دفعته .

كـــان مـــن أساتذته : مصطفى السقا ، وأحمد الشايب ومحمد كامل حسين ، وإبراهيم مصطفى ، ومحمد مندور ، ومحمد خلف الله أحمد .

لـــم يعين محمد زكى العشماوى معيدا بالكلية بالرغم من توصية ابن عـــم والـــده العشماوى باشا ، لأنه دخل على منصور باشا فهمى رئيس جامعة الإسكندرية دون أن يرتدى الطربوش .

وعلم محمد زكى العشماوى أن ثانى الدفعة عبد المحسن عاطف سالم قد تم ترشيحه فى بعثة لنيل درجة الدكتوراه من انجلترا .

شعر العشماوى بالظلم ، وراح يقضى الوقت فى المقاهى مع صديقه محمود مرسى الذى صار فيما بعد ألمع نجوم التمثيل . ثم عمل العشماوى مدرسا بالمدرسة الاسرائيلية بالإسكندرية .

وشاءت الأقدار أن يستعيد حقه الضائع ، فقد تم تعيين العشماوى باشا وزيـــرا للمعـــارف ، فأمر بتنحية منصور باشا فهمى عن رئاسة جامعة الإســـكندرية وعين مكانه صادق بك جوهر ، ونال العشماوى مكانه الذى يســـتحقه بصفته أول دفعته ، وتم تعيينه معيدا بكلية الآداب فى ٧ أبريل سنة ١٩٤٦ .

حصل العشماوى على درجة الماجستير فى الآداب مع مرتبة الشرف الأولـــى مـــن جامعـــة الإسكندرية فى مايو ١٩٥١ وموضوعها (النابغة الذبيانى الشاعر القبلى) وأشرف عليها د. ابراهيم مصطفى .

بـــدأ العشـــماوى فى إعداد رسالة الدكتوراه فى نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى بإشراف د. محمد خلف الله أحمد ، ثم حصل العشماوى علـــى مـــنحة دراســـية عام ١٩٥٢، فسافر إلى لندن ليشرف على بحثه المستشـــرق ألفريد جيوم ، وحصل العشماوى على درجة دكتوراه الفلسفة من جامعة لندن فى اكتوبر ١٩٥٤ وكان موضوعها (النقد الأدبى العربى حتى القرن الخامس الهجرى – مع العناية الخاصة بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى) .

تـــم تعييـــن د. محمد زكى العشماوى مدرسا فى قسم اللغة العربية ١٩٥٤ ، ثم رقى أستاذا مساعدا للأدب والنقد عام ١٩٦١ ، وشغل كرسى الأســـتاذية فى النقد الأدبى بجامعة الإسكندرية فى عام ١٩٦٨ ، ثم صار رئـــيس قســـم اللغـــة العربية واللغات الشرقية عام ١٩٧١ ، فوكيلا لكلية الآداب فـــى اكتوبر ١٩٧٣ ، وانتخب عميدا لكلية الآداب من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦ ، ثم عين نائبا لرئيس جامعة الإسكندرية من ١٩٧٦ إلى ١٩٧٩ ، عيـــن بعد ذلك عميدا لكلية الآداب بجامعة بيروت العربية من ١٩٧٩ إلى ١٩٨١ ، ثم استاذا متفرغا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية من ١٩٨١ م.

شارك د, محمد زكى العشماوى فى مؤتمرات علمية فى يوغوسلافيا وفرنســـا وغـــيرهما ، وأعـــير للعمل بجامعة القاهرة فرع الخرطوم من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤ ، ولجامعة الكويت من ١٩٦٨ إلى ١٩٧١ ، ولجامعة بـــيروت العربية من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٨ وعمل أستاذا زائرا فى السعودية وقطر ولبنان .

أشـــرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه فى مصر والـــدول العربـــية ، وناقش عددا كبيرا منها فى مصر والعالم العربى ، وتلاميذه ... بل وتلاميذ تلاميذه يشغلون مناصب جامعية رفيعة فى أرجاء الوطن العربى .

كان د. العشماوى عضوا بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة من ١٩٧٦ إلـــى ١٩٨٠ ، وكان مقررا للجنة العلمية الدائمة لترقية اساتذة الجامعات مـــن ١٩٧٥ إلى ١٩٨٠ ، وعضو مجلس الثقافة بالإسكندرية منذ إنشائه سنه ١٩٧٧ ، وهو أول رئيس لفرع اتحاد كتاب مصر فى الإسكندرية .

حصـــل د. العشـــماوى علـــى عدد من الجوائز ، منها جائزة التقدير العلمـــى مـــن مجلس جامعة الإسكندرية وميداليتها الذهبية عام ١٩٧٩ ، وجائـــزة التقدم العلمى بالكويت فى الأدب الحديث عام ١٩٨٣ ، وجائزة البابطيـــن فـــى الـــنقد الأدبـــى عام ١٩٩٠ ، وحصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون عام ١٩٩١ .

ويذكـــر للدكـــتور العشماوى أنه **أنشأ أول قسم للصوتيات بالجامعات العربـــية فى كلية الآداب جامعة الإسكندرية حينما كان عميدا لها ، كما أنشأ قسمين مستقلين لعلم النفس والأنثروبولوجى بالكلية نفسها .**[1]

أول كـــتاب أصدره كان (النابغة الذبيانى) عام ١٩٥٨ وتوالت كتبه فـــى الأدب والنقد الأدبى والنقد المسرحى وفلسفة الجمال والأدب المقارن والكتـــب المترجمة ليصل عدد مؤلفاته إلى ١٧ كتابا مطبوعا ، بالإضافة إلـــى ٧٥ بحثا منشورا فى الدوريات الثقافية ، وشارك فى عدد كبير من المؤتمرات فى مصر والخارج .

وقد حضرت عددا من المؤتمرات كان يرأسها د. العشماوى ولاحظت خلال ذلك أمرين مهمين ، **أولهما** أنه يكتب الكلمة التى يلقيها فى المؤتمر بالرغم من أن لديه قدرة فائقة على الارتجال فى أى موضوع يعن لـــه ، وهذا يشير إلى اهتمامه بتسجيل أفكاره ، ويشير أيضا إلى جديته فى تناول أى موضوع يتصدى له ، **والأمر الثانى** أن كل كلمة استمعت إليها منه فى

---

(1) السابق – ص ٢١ .

أحد المؤتمرات كانت تحمل عير سطورها رأيا وفكرا ورؤية جديده تلفت الانتباه ، وترصدها الصحافة فى تغطيتها لفعاليات ذلك المؤتمر . وأتذكر أن أتيليـه الإسـكندرية أقام ندوة لمناقشة قصيدة النثر دعانى فيها مع د. العشماوى ١٩٩٨ ويومها رأيت أنى أصغر من أن أجلس معه على منصة واحـدة ، وصممت على الجلوس فى الصفوف ، وحين تم تقديمى لأدلى بدلـوى فى تلك القضية صعدت إلى المنصة فتكلمت ثم عدت إلى مكانى فى الصفوف مرة أخرى ، وقد فعلت ذلك لأنى أدرك قيمة الدكتور محمد زكى العشماوى أستاذ الأساتذة .

❖ **شعر العشماوى** :

كتـب د. العشماوى أولى قصائده وهو فى السنة الثالثة الثانوية وقال فيها :

لها قد كغصن البان لينا
ولى فى لين قامتها غرام

ومـن الأمور الطريفة أن الذى شجعه على نظم الشعر صديق له فى قرية تلا بالمنوفية كان حلاقا ، وكان بارعا فى الشعر ، وله مساجلات مع شعراء عصره ، اسمه : عبده درويش .

يلمـس المطلع على شعر العشماوى تأثره بما حصله من ثقافة تراثية ومادرسـه من شعر العرب على امتداد العصور ويتضح ذلك فى قصائده التى تتبع الشكل البيتى بصفة خاصة مثال ذلك قوله فى إحدى قصائده :

تلك ذكرى على المدى تتجـدد
فأت يا شعر بالرقيق المنضـد
وسل الكون أن يزان ابتهاجـا
ودع الشدو في القلوب يـردد

واشد يا طير فى الرياض غناء

عبقريا ... فذاك يوم محمــــد

رجل علم الرجولة للخلــــق

ومازال فى الرجولة أوحــد [1]

ويمضى محدثا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيقول :

أنت مثلى من التراب ... ولكن

شع من تربك المطهر فرقـــد

شع منك الضياء فى كل قلب

وغدت فحمة الدجى تتبـدد [2]

وينــتقل شعر العشماوى من مرحلة إلى مرحلة تالية تتجلى فيها رقة الرومانسية .. فيقول :

حدث القلب بأنى عن قريب سأراك

أصحيح قبل الله دعائى .. ودعـاك ؟

أم هى النشوة بالقلب ، فيهذى بلقاك ؟

صارحينى ... أتحسين بأنى سأراك ؟ [3]

ويــنطلق شعر العشماوى فى مرحلة تالية يمتزج فيها الشعر والفكر ، وتــنطلق رؤية كونية تشرف على أحداث الحياة بنظرة شمولية تتألق فيها خــبرات الشــاعر الإبداعــية .. فــيقول فى قصيدة (إلى المبتدأ .. إلى المنتهى) من ديوان أغنية فى غابة مشتعلة :

تعبت من الفكر والحلم

فى كل يوم ..

ومن ألف عام

---

(1) د. محمد زكى العشماى - ديوان أزمنه فى زمان - بيروت - ١٩٩٦ - ص ٧٩.

(2) السابق - ص ٩١

(3) السابق - ص ٧٧ .

أفكر .. أحلم

كيف أعيد بناء الحياة ؟

أغير شكل الفضاء ..

وأهرب من ردهات الجنون ؟

وأوقف هذا اللهاث

وزلزلة القلق المستديم

وأخرج من قاع هذا الجحيم ! (١)

ويصـــير الحب .. هو الملاذ ، وهو المهرب من جحيم العالم بما فيه مـــن قسوه وقتل ودمار ، يصير الحب الإنسانى هو السبيل إلى بناء عالم مـــتوازن يتحقق فيه الجمال وترفرف السعادة فى جنباته ، ويظهر الحب الملاذ فى صورة الحب الإلهى ، فيقول الشاعر فى قصيدة الزمن :

تكفينى شمس حبيبى

كى أكتب شعرى فوق العشب

وأنام على ورق الصفصاف

وأسير حنينا نحو الأقصى

حيث النشوة والصلوات

تمحو ما بقى لدى من الآهات (٢)

ويتجســد الحب / الملاذ / المهرب فى المرأة التى تحول جدب الحياة إلى خضرة يانعة .. فيقول فى قصيدة الحب فى الأعالى :

إشتقت أن أحب فى الأعالى

فالحب مخرجى الوحيد (٣)

---

(١) د. محمـــد زكى العشماوى – ديوان أغنية فى غاية مشتعلة – الاسكندرية ٢٠٠٠ – ص ٨١،٨٢.

(٢) السابق ص ١٨٨، ١٨٩

(٣) السابق ص ٧٥

ثم يقول :

ربى .. متى تشق من ضلوعى
امرأة كزنبق البحار
تزيل ما فى النفس من كآبة الديار
تخرجنى من خندق الدمار
وأسر الاغتراب والحصار ؟ [1]

ويؤكد الشاعر على أن الحب يجعل للحياة قيمة فيقول :

الحب فى الأعالى
يضئ حلكة الليالى
يعيد لى طفولتى .. براءتى
حريتى ...
يجعل منى شاعرا
يكتب من محابر الفضاء [2]

هكـذا يكـن د. العشـماوى الاشـارة إلى الارتباط الوثيق بين الحب والإبـداع الشـعرى ، فالحب هو الذى يجعله يكتب شعرا نورانيا صافيا بالرغم مما يحيط به من المآسى .

يـنحاز شـعر د. العشماوى إلى الوضوح ، فلا عوائق بين قصائده والمـتلقى ، وهذا الوضوح لايجنى على فنية القصيدة خاصة حين تورق ملامـح الابـتكار فى أغصانها ، ذلك الابتكار الذى ينبع من الموهبة ولا يمكـن تعلمه ، ان بعض أسس الشعر يمكن ان يتعلمه الشاعر مثل اللغة والموسيقا ، اما الخيال – وهو اساس رئيس – فلا يمكن تعلمه ، وتتجلى القـدرة على الابداع فى رسم صورة فنية متفردة وغير مسبوقة ، يتمثل

---

(1) السابق – ص ٧٦

(2) السابق ص ٧٧ ، ٧٨

فــيها المحــك الــذى تقــاس بــه قدرة الشاعر على الابتكار ، وقد قال د. العشماوى فى كتابة دراسات فى النقد الادبى المعاصر : (**الصورة فى الخــيال الشــعرى لا تــتعلم**) [1] **وهى معقولة خالدة ، فالخيال نشاط عقلى يرتــبط ارتــباطا وثــيقا بمشــاعر الانسان ، ويتألق الخيال بقدر تأجج الاحاسيس — ولهذا كانت الصورة الفنية مؤشرا صادقا على حجم موهبة الشاعر وملكاته الابتكارية .**

ويخــتص د. العشــماوى بالصورة الفنية فى قصائده ، فنجده يستهل ديــوان (**أغنــية فــى غابة مشتعلة**) **بصورة تتمتع بكثير من الظواهر الجمالية يقول فيها :**

أحيا أسامر الرياح والفضاء
أرشف المطر
وأحفر الحروف فى النجوم
أجمع الدرر
وأزرع الحجر [2]

لقد اختار الشاعر مسامرة الرياح والفضاء ، والرياح لها مواسم تجئ فــيها وتذهب ، أما الفضاء فهو دائم .. والرياح تشير الى الحركة ، بينما يوحــى الفضــاء بالســكون .. فالشاعر يحيا وهو يسامر شيئين مختلفين كأنهمــا ضــدان متناقضان . لكنه يستمتع برشف مصدر الحياة ألا وهو المطــر (وجعلــنا مــن الماء كل شئ حى) ، ويحفر الشاعر حروفه فى الــنجوم ، ونلاحظ أنه لم يقل (أرسم الحروف) وإنما قال (أحفر) لأن الرســم قد يمحى أما الحفر فهو أكثر بقاء ، واستخدام (النجوم) فى هذا

---

(1) د. محمــد زكي العشماوي – دراسات في النقد الأدبي المعاصر – الدار الأندلسية – الإسكندرية – ١٩٨٨ – ص ٢٦٣ .

(2) د. محمد زكي العشماوي – أغنية في غابة مشتعلة – ص ١٣ ، ١٤ .

الســـياق يـــتفق مع المسامرة التى لا تكون إلا ليلا ، ويردف ذلك بقوله : (أجمع الدرر) والدر هو اللؤلؤ الكبير ، ونحن نعلم أن اللآلئ تجمع من أعماق البحار ، ومع ذلك لا نشعر بخلل فى الصورة لهذا الانتقال السريع مـــن نجوم السماء إلى أعماق البحار لأن الشاعر مهد للجمع بين القطبين المختلفين بحديثه عن الرياح والفضاء ، ولا يكتفى بذلك بل يختتم صورته بقولـــه (وأزرع الحجـــر) لـــيقدم لنا قطبين مختلفين جديدين ، فالإنسان يزرع ما يمكن أن ينبت وينمو .. ، والحجر لا ينبت ولا ينمو ، والزراعة مـــن أهم مصادر الحياة ومظاهرها ، بينما الحجر لا حياة فيه ، ومع ذلك يزرعه الشاعر ليدلل على مدى تشبثه بالحياة ورغبته فى تقديم الخير .

يغرم الشاعر د. العشماوى بجميع الأشياء المتباينة لتصب فى مجرى صـــورة واحـــدة بالـــرغم من اختلاف مسار كل واحد من هذه الاشياء ، فيجمع من الاشياء المادية فى صورته الفنية ما لا يمكن اجتماعه فىالواقع مثال ذلك قوله فى قصيدته عصفور يقفز فوق الاعشاب :

ثم أتيت
فى غيم الصدفة أقبلت
كشهاب يجلو صدأ الصمت
ويجر الشمس إلى الأفق الخاوى ..
يا للفرحة كيف أتيت ؟ ! [1]

الغيم هو السحاب ، وربما تأتى السحابة صدفة ، على غير موعد ولا توقع ، بينما يتعارض السحاب مع عدم التوقع ، لأن مجئ السحابة الأولى أوجد التوقع بأن يلحق بها غيرها من السحب ، لكن الشاعر ربط بين الغيم والصـــدفة لـــيدلل علـــى امتداد عدم التوقع بدءا من ظهور الغيمة الاولى واستمراره عبر توالى الغيمات ليبين الأثر العميق لهذه الصدفة فى النفس

---

(1) السابق – ص ٥٣

كذلــك يتصــف الغيم بالقتامة وهذا يتعارض مع الفرحة بمجئ الحبيب ، ولكــن هــذا اللون القاتم يدل على أن ذلك الغيم يحمل امطارا تؤدى حين هطولهــا إلــى النماء والحياة ، وهذا يوجد الفرحة بمجيئه ، والغيم بطئ الحــركة لمــا يحملــه من كثافة بخار الماء ، بينما جاء الحبيب كشهاب والشهاب سريع الحركة إذ يهوى بسرعة فائقة ، فهناك تعارض بين بطء الغيم وسرعة الشهاب ، ولكن تتوافق كثافة الغيم من ظهور الشهاب الذى لا يــرى الا ليلا ، والشهاب تتعامل معه حاسة البصر ، لكن هذا الشهاب الحبيب قد جلا صدأ الصمت لكى يعيد الكلام مرة أخرى ، فأدخل الشاعر حاسة السمع فى التعامل مع الشهاب . وعملية الجر توحى بالبطء خاصة إذا كان المجرور كيانا ضخما مثل الشمس ، وتتعارض سرعة الشهاب مع عملــية جــر الشمس ، لكننا نتقبلها لأنها صارت من سمات هذه الصورة الــتى ربطــت من قبل بين بطء الغيم وسرعة الشهاب ، ثم نجد تعارضا آخــر بين ذلك الشهاب والأفق ، فقد اعتاد الناس على انطفاء الشهاب قبل وصــوله إلى الأفق فهو ينطفئ فى الفضاء ، وبالتإلى لا يمكن رؤيته فى الأفق ، ويصير التعارض أعظم حين يجر الشمس إليه ، لأن الجار يأتى فــى المقدمــة بينما يأتى الشئ المجرور تاليا ، وهذا يعنى أن الشهاب لا يصــل إلــى الأفــق فحسب بل يصل إلى ما بعد ذلك أيضا لأن الشمس المجرور وصل إلى الأفق . وهناك أيضا تعارض زمنى بين جر الشهاب والشــمس إلى الأفق ، فالشهاب يهوى من أعلى إلى أسفل ويكون ليلا ، بيــنما يكــون هــبوط الشمس إلى الأفق وقت المغرب فى نهاية النهار . ويعلمــنا الشاعر أن ذلك الأفق خاو .. فهل جر الشهاب الشمس من أعلى إلــى أســفل كى يهوى بها فى أفق خاو فيقضى على النهار ؟ .. إن هذا المعنى يتعارض مع ختام الصورة الذى يقول فيه الشاعر :

يا للفرحة .. كيف أتيت ؟ !

وهذا الختام يدل على بزوغ الشمس ، وصعودها من أسفل الى أعلى كى تملأ الأفق الخاوى بنورها فتدب الحياة فى كون الشاعر ووجوده .

لو كنا نتعامل مع نص شاعر مبتدئ لأرحنا أنفسنا وأعلنا عدم تقبلنا هـذه الصـورة لما فيها من خلل دلالى . ولكن الأمر يختلف حين يكون تعاملـنا مع نص لشاعر تخصص فى بحث نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى ، ودرس نظريات الخيال عند كولردج وغيره ، وله باع مشهود فى الدراسات النقدية والأدبية . وعطاء مشكور فى جماليات الشعر . لذلك كان علينا عدم التسرع فى الحكم وكان علينا أن نجهد أنفسنا لإدراك البناء فى هذه الصورة الفنية الرائعة .

هـذه الصـورة العـبقرية تتقسـم فيها حركة الشهاب / الحبيب الى مرحلتيـن ، **فى المرحلة الأولى :** أقبل الشهاب فى غيم الصدفة – وكان عدم توقع حضوره ناجما عن بطء الغيم ، وفجأة ظهر الشهاب مسرعا الى الأرض كـى يزيل صدأ الصمت فيبدأ عمر الكلام ، ومضى الشهاب الى حيث تختبئ الشمس وراء خط الأفق . **فى المرحلة الثانية :** جر الشهاب الشـمس صـاعدا بها إلى الأفق الخاوى كى تملأه بالنور والنماء فيتنفس الصـبح وتدب الحياة فى الوجود ، وكان طبيعيا ها هنا ألا يظهر الشهاب فـى نـور الشـمس إذ هو لا يظهر إلا ليلا ، وإن كان الشاعر لا يرى الشـهاب / الحبيب أمامه إلا أنه يستشعره بما يراه من آثاره التى أعادت الحياة إلى كونه وإلى وجوده .

هكـذا يرسم الشاعر الدكتور العشماوى صورته الفنية التى تبدو بسيطة فـى ظاهرها لكنها عظيمة العمق فى فحواها ودلالتها وبنائها التصويرى الفذ .

إن كثيرا من قصائد د. العشماوى يتسم بعقلانية الحكمة ، لكنها حكمه الشـعر وحكمة الشاعر الذى يختزل تجاربه الطويلة فى الحياة فى سطور

يودعهـــا خلاصـــة خبراته من خلال إنشاء معانى عشق الحياة والدلالات الصوفية .

ويســتعين فــى ذلك بروح المنطق حينا ، وحينا آخر يعتمد على بناء تصويرى ، فيطالعنا كثير من الصور الفنية التى تتألق فى شعره بتفردها نقتطف بعضها من ديوان أغنية فى غابة مشتعلة .. حيث يقول :

وألوان شر
كمثل لظى الحقد فى مقلة الطاغية

(ص ٦٢)

ويقول أيضا :

لكنها مفازة مخنوقة الفضاء

(ص ٦٨)

ويقول :

تنام فى قميص الضوء والجمال

(ص ٧٩)

ويقول :

بالحب سأوغل فى الضوء
وأركب بحرا عذريا
وأمشط شعر الموج
وأغفو فوق ذراعيه

(ص ٩٥)

ويقول أيضا :

ويخون الماء الماء

(ص ١٨٦)

ويقول د. العشماوى فى قصيدة النفخ فى الرماد :

حياتنا
كغيمة تلوح فى السماء
فتنتشى النواه في الثرى
ويرقص الشجر
ويخفق الجناح فى الفضاء
ويبسم الحجر
كان الهواء عاصفا
فى ذلك النهار
هنيهة .. وتسقط الأمطار
وفجأة ..
تهشمت آمالنا
على صخور الانتظار
****

سحابة خالية من المطر

(ص ٢١٥)

هكذا أنشد أستاذ الأساتذه د. محمد زكى العشماوى أغاريده الشعرية ، فطوفت بنا قصائده عبر رؤى فلسفية وحكمية فى مساحة من الوجد الصوفى الوقاد ، وارتحلت قصائده فى الرمزية حينا وفى الرومانسية حينا آخر مستخدما لغة صافية واضحة وعميقة ، فيها يتجلى عطاء الخبير الذى أدرك وعلم وأنتج فأفاد ، وأعلن بشعرية متفردة – ومحببة للمتلقى – موقفه من الوجود ، ذلك الموقف الذى يحاز للحب ويرى فيه الملاذ من قسوة العالم ، والمخرج الى دنيا مشرقة مفعمة بالنماء والسعادة ، لقد قدم د. محمد زكى العشماوى تجربة متفردة فى الشعر الإسكندرى المعاصر جعلت منه نجما ... فى سماء الشعر .

الأنصارى .. شاعر الإسكندرية

يعرف شعراء الإسكندرية ونقادها المعاصرون أن عبد المنعم الأنصارى لم يكن مجرد شاعر إسكندرى كبير لكنه كان ظاهرة شعرية تستحق التوقف أمامها ، فقد تأثر – بكتاباته – الشعراء الذين ظهروا من أواخر الستينيات حتى أوائل التسعينيات فى الإسكندرية وفى البحيرة وفى مرسى مطروح ، ويندر أن نجد من لم يتأثر به من الشعراء الشبان ، حتى من تميزوا فى الشعر – بعد ذلك – نجد التأثر بالأنصارى فى قصائدهم الأولى ، بل وزاد التأثر لدى بعض الشعراء إلى درجة تقليد قصائده .

ربما يرجع السبب فى تأثيره إلى مقدرته على الإبداع الشعرى بأسلوب متطور وصور جديدة من خلال الشكل التقليدى للشعر العربى ، وربما كان أداؤه فى إنشاد قصائده بانفعال صادق مع إباء وشموخ واعتزاز من أسباب تأثر الشعراء الشبان به ، فقد كانوا يرون فيه عزة المتنبى وثقته بنفسه .

وللأنصارى اسم مركب هو محمد عبد المنعم أسماه به والده أمين الأنصارى نسبة إلى اسم الأمير محمد عبد المنعم بن الخديوي عباس حلمى الذى عزله الإنجليز ، وكان له قصر منيف فى (إدفينا) بلدة الشاعر [1] .

ولد محمد عبد المنعم الانصارى فى إدفينا يوم ١٩٢٩/٥/٢٩ حسب الموجود فى ملف خدمته الحكومية ، وإن كان البعض يرجع مولده الحقيقى إلى ما قبل ذلك بعدة سنوات .

([1]) عبد العليم القبانى (بالاشتراك) – الشاعر السكندرى عبد المنعم الانصارى – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ١٩٩١ – ص ١٠ ومابعدها .

تعود جذور الأنصارى الأولى إلى الأنصار من أهل المدينة المنورة وقد جاءوا إلى مصر فاستقر بعضهم فى سوهاج والبعض الآخر فى إدفينا، وكان محمد عبد المنعم بن أمين الأنصارى من الفروع غير الثرية من الأسرة لذلك لم يكمل تعليمه ، وكان للقدر الضئيل الذى حصله من التعليم فى صغره أثر عميق فى إبداعه الشعرى بعد ذلك ، وقد تمثل هذا الأثر بوضوح فى أسلوبه الشعرى الذى كثيرا ما كان يظهر فيه أثر القرآن الكريم .

وكان لقصر الخديوي عباس حلمى – فى إدفينا – أثر بالغ فى شعر الأنصارى ، إذ كانت الأميرات يترددن على ذلك القصر ، فاشتعلت الرؤى فى خاطر الشاعر الذى قضى طفولته ومراهقته قريبا من القصر وما يقام فيه من حفلات ملكية ، وتوهجت ألفاظ فى قصائده لها دلالات شعورية فى نفسه مثل كلمات : الأميرة ، القصر ، مولاتى ... وغيرها .

وكان شعر الأنصارى معبرا عما تتصف به شخصيته ، كان فيه استعلاء واعتزاز بالنفس لقد كان يشعر أنه من طبقة رفيعة القدر من البشر ، إذ تعود أصوله إلى قبيلة الخزرج التى كان يرأسها الصحابى الجليل سعد بن عبادة الأنصارى ، كما امتاز الأنصارى – بين من عرفوه– بالإباء والشمم ، وكان ينصف من يقع عليه الظلم حتى إن كان من خصومه ، وكانت لهذه الصفات آثار واضحة فى قصائده ، وفى تقدير من عرفوه .

وفد الإنصارى إلى الإسكندرية فى منتصف الخمسينيات * وعمل فى مصلحة البريد ، وانضم إلى الكوكبة التى كانت تلتقى فى مقهى النيل

* هذا ما ذكره القباني في المرجع السابق ، لكن د. عبد الله سرور يرى أن الأنصاري وفد في أوائل الخمسينيات لأن أكبر أولاده ولد بالإسكندرية عام ١٩٥٢ . أنظر : د. عبد الله سرور – الأنصاري شاعر الحرية والثورة – مطابع الفاروق بالقاهرة – ٢٠٠٥ .

بالمنشية حيث تعرف إلى كبار شعراء الإسكندرية آنذاك أمثال : أحمد حسين شحاته ، وصديق شيبوب ، ومحمود عبد الحي ، ويوسف فهمي الجزايرلي ، وعبد العليم القباني ، وأحمد السمرة ، ود. حسن ظاظا ود. عمر الجارم ومحمود العتريس وغيرهم . فتح له وجوده بينهم كثيرا من أبواب المعرفة ، فانغمس في القراءة لتحصيل قدر كبير من الثقافة ، وانضم إليهم عدد من الشعراء الشبان – آنذاك – أمثال : محجوب موسى، وفتحي سعيد ، وأمل دنقل ... وغيرهم .

انضم الأنصاري إلى جماعة نشر الثقافة التي كان يرأسها صديق شيبوب ، وإلى هيئة الفنون والآداب ، وفتح له شعره الأبواب ليتخذ مكانا مرموقا بين شعراء الإسكندرية بدءا من منتصف الستينيات ، وكون صداقات متينة مع توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظه وأحمد رامي وصالح جودت وغيرهم .

انتقل الأنصاري بعد ذلك من مصلحة البريد إلى العمل في الثقافة الجماهيرية حيث أشرف على نادي الشعر بقصر ثقافة الحرية تحت قيادة محمد غنيم الذي شهدت الإسكندرية في عهده نشاطا ثقافيا وهاجا ومثمرا ، وأقام الأنصاري نشاطا شعريا حقق مناخا أدبيا ، ساعد على ظهور جيل قوي من شعراء الإسكندرية .

تم اختيار الأنصاري عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة (المجلس الأعلى للثقافة الآن) ، وعضوا بمجلس الثقافة بمحافظة الإسكندرية ، وكان من الدفعات الأولى التي حصلت على عضوية اتحاد الكتاب .

شارك في تمثيل مصر في مهرجانات شعرية كبرى في يوغوسلافيا وفي العراق ، ويذكر التاريخ الأدبي للإسكندرية أن الأنصاري كان واحدا من أقوى شعراء جيله ، ويذكر – أيضا – أنه طور الشعر في الثغر ،

فطوع القصيدة العمودية كى تتحلى بكثير من جماليات الشعر التى تتحلى بهـا القصيدة الحديثة ، وكانت له قدرة فائقة على كتابة القصيدة متماسكة البـناء ، تتـنامى فـيها الدلالات مع كل بيت جديد حتى تكتمل فى بيت الختام، مثال ذلك قصيدة (تحولات) التى يقول فيها :

لى ربوة قد كنت أزرعها حبا .. فلا تعطى سوى المقـــت

لم أدر هل أحرقتها بيـــدى   أم ياترى أحرقتها أنـــت ؟

ماخنت عهدى مثلما خنـت   بل شدت فى وادى السهى بيتى

لكن نيرانى قد انطفـــأت   ووجدت تحت رمادها صوتـى

يا كلمة كانت علـى شفتى   ما خنت عهدى مثلما خنـت

هيهات ألحانى تعود إلـى   قيثارتى إلا إذا عـــدت

لى فيك أسرار سأملكهـا   وحدى غدا .. وأعود للصمت [٢]

وتعـد الصورة من أقوى عناصر الشعر التى يعتمد عليها الأنصارى فى التعبير عن تجربته ، وتجئ الصورة – فى أغلب الأحيان – مرتبطة بالرمز ، فيقول – على سبيل المثال – فى قصيدة لؤلؤة :

سقطت هنا بالأمس لؤلـــؤة   منى وراء مشـارف الزمن

ومدائن قد كنت أعرفهـــا   بقبابها يوما .. وتعرفنـى

كانت .. وياما كان .. ثم هوت   بقلاعها فى بؤرة العفن (٣)

إنـه يرمـز هنا باللؤلؤة للحضارة الإسلامية التي اشتهرت مدنها بالقباب ، وضاعت تلك الحضارة وراء الزمن [٤] .

---

(٢) محمـد عبد المنعم الأنصارى – المختار من أشعار الأنصارى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٥ – ص ٢٤ .

(٣) السابق – ص ٤٩ .

(٤) أحمد خضر – بحث بعنوان (أمة تنبض في قلب هذا الشاعر) – مجلة أمواج – قصر ثقافة الحرية – الإسكندرية – أكتوبر ١٩٧٩ – ص ١٣٠ .

وتجـــئ القصـــيدة صورة كاملة تتكون من أجزاء تبدأ بالاستهلال وتـــتراكم أجـــزاؤها وتتنامى عبر الأبيات لكي تكتمل مع البيت الأخير ، مثال ذلك قصيدة (الطريق إلى قرطبة) حيث استهلها قائلا :

رأيت قرطبة بالقار تغتســـــل   رأيت أهدابها بالذل تكتمل

رأيتها تحت أمطار الظلام وفى   عيونها رغبة خضراء تشتعل[٥]

ثم يذكر الأنصارى ما سمعه عن قرطبة من صفات تدل على ما كانت تتحلى به من جمال وإيمان وقوة فيقول :

يقال كانت بماء الورد تغتســــــل   يقال كانت بنور الله تكتحل

يقال كانت .. وكان الحب يحرسها   بعسكر تتقى أخطاره الدول[٦]

ويصف الأنصارى كيف تبتهل عيون قرطبة آملة فى اللقاء ، ويعرف طــريقه إليها ، وأن هذا الطريق لن يقطع إلا على صهوات الخيول حيث يحشد الفارس فى صدره الحب والأمل والإصرار ، ثم يصل الشاعر إلى نهاية القصيدة ... فيقول :

بعيدة لم تزل ياعين قرطبــــة   بعيده ... وجوادى مسه الكلــل

بعيدة ياجوادى لا تزال .. فهل   يوما سنبلغها .. أم ينتهى الأجل ؟[٧]

هكــذا اســتطاع الأنصارى أن يعبر عن الهم العربى بفقدان ما كان يملكــه ، مســتعينا برموز من التراث لها رصيد من المشاعر فى نفوس العرب أجمعين .

لقد ارتبط الإباء والشمم فى شخصية الأنصارى باتجاهه الفنى ، فإن هذا الاعتزاز الشديد بالنفس كان يمنعه من تعرية مشاعره أمام الآخرين ، لذلــك اتجه للرمز ، فوظفه توظيفا فنيا موفقا ، ويتجلى ذلك فى قصيدته

---

(٥) السابق – ص ٦١ .

(٦) السابق – ص ٦٢ .

(٧) السابق – ص ١٤٣ .

(مقـــاطع مـــن قصيدة لم تكتمل) إنها قصيدة تقطر عذابا وآلاما وأحزانا لاحدود لها ، لعب الرمز فيها دورا أعظم تأثيرا من البوح ، لقد حكم على ولـــده الأكـــبر بـــالإعدام ، فصار الشاعر فى موقف رهيب ، عبر عنه مصورا مشهد الجنازة قائلا :

ماذا أعد لمولاى الأمير .. ومن   أدعوه للعرس من أهلي وخلانـــى ؟
ومن سيختار للمحبوب حلتــه ؟   ولونها أبيض ؟.. أم أحمر قانـــى؟
ومن سيصحبنى حتى أودعـــه   فى آخر الحفل عند الشاطئ الثانى ؟[8]

تحظـــى هذه الأبيات الثلاثة بكثير مما يمتاز به شعر الأنصارى من ظواهر فنية فى الموسيقا واللغة والتصوير الفنى .

لقد كتب الشاعر قصيدته على بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) وهو بحر الموال ، وقد ارتبط هذا البحر فى الوجدان المصرى بما يحمله الموال من أسى وحكمة لذلك كانت إيقاعاته أقرب إلى جو القصيدة الأســـيان مـــن أى بحر آخر ، فبدأ توفيق الشاعر من اختياره البحر الذى كتب قصيدته عليه .

ونلاحـــظ أن الأنصـــارى اســـتعان بلغة معبرة فهو يكثر من صيغة الســـؤال فى قصائده – عموما – حتى يندر أن نجد قصيدة تخلو منه فى أعمالـــه الـــتى نشرها أو التى لم ينشرها ، والاستفهام فى هذه الأبيات لا يقصد الشاعر منه معرفة الجواب ، إنما هو استفهام الخائف الحزين الذى يحـــتاج إلـــى أى شخص يسنده فى هذا الموقف الرهيب كى لا يتهاوى ، وهـــذا الموقـــف جعل الشاعر يخرج عن المألوف لذلك نون الممنوع من الصـــرف (أبـــيض – أحمر) فلم يعد بالإمكان التماسك والالتزام بالعزة والدقة ، فى موقف كسرت فيه القواعد ، ونتوقف عند الظرف (حتى) فهو

---

(٨) المختار من أشعار الأنصارى – ص ١٤٣ .

يتساءل عمن سيكونون فى صحبته أثناء ما أسماه بالحفل أو العرس ، إنه يتوقع أن يتراجع الجميع ، ربما يصحبه البعض جزءاً من الطريق ، فهل سيكون منهم من يظل معه إلى نهاية المراسم حيث الوداع الأخير ؟ .. من هنا يتضح توفيق الشاعر فى اختيار (حتى) فى هذا الموضع حيث كانت لهـا دلالـة عميقة ، ونلاحظ أن الشاعر قد طرح عدة أسئلة ، بدأها بأداة الاسـتفهام (مـاذا) وقبل أن ينتهى الشطر الأول أدركها أداة الاستفهام (مـن) التى كرر استخدامها فى بداية البيت الثانى وبداية البيت الثالث ، وتكرار (من) له دلالة ، فالشاعر فى أشد الحاجة إلى الاستعانة بالآخر ، لذلك كرر السؤال عنه .

سؤال واحد حذف الشاعر أداة الاستفهام منه حين قال :

ولونها أبيض ؟ ... أم أحمر قانى ؟

إن أداة الاستفهام هى التى تحول الأسلوب الخبرى إلى أسلوب انشائى فـى صـيغة السؤال ، لأن (لونها أبيض) أسلوب خبرى ، لكن الشاعر حولـه إلـى أسلوب إنشائى بواسطة علامة الاستفهام ، فدلت على حذف الأداة ، وأكـدت ذلـك بقية الجملة (أم أحمر قانى ؟) وكان باستطاعة الشاعر أن يأتى بالهمزة الاستفهامية .. فيقول :

ألونها أبيض ؟ ... أم أحمر قانى ؟

لكـنه جـاء بالواو ليدلل على ما يعانيه من تشتت فى هذا الموقف ، فيسأل عن أمور فرعية لا تؤثر كثيرا فى النتيجة المنتظرة .. وحذف أداة الاستفهام ليدلل على تعجله فى معرفة الجواب .. فهذا الأمر وإن كان يبدو فرعيا إلا أنه يمثل أهمية بالنسبة للشاعر ، فهو يريد أن يعرف ما سيكون عليه ولده بعد أن يقتل .. هل سيتم لفه فى كفن أبيض أو سيترك فى بذلة الإعـدام الحمراء وهذه مجرد إشارات إلى مقدرة الأنصارى فى استخدام اللغة واختيار المفردات .

أما التصوير فى هذه الابيات فهو الذى أعطاها قوة التأثير فى مشاعر المـتلقى ، إذ جاء الشاعر بعكس الحالة التى يريد رسمها ، مما يمكن أن يجعلنا نطلق عليه مصطلح (**التصوير العكسى**) فالشاعر حينما أراد رسم صورة المحكوم عليه بالإعدام – وهو ابنه – صوره فى صورة (عريس) بمـا تحملــه من بهجة زادت من مرارة وألم المشهد ، ثم يصور لون ما سـيرتديه ذلـك العريس وقت الزفاف ، ولا يدرى من الذى سيختار لـه رداءه، وهـل سيكون كفنا أبيض اللون أم ستكون بذلة الإعدام الحمراء ؟ جعـل الإعـدام حفلا لكنه يتم عند الشاطئ الثانى ، فالشاطئ الأول يعنى الحياة ، ودلت مقولة (**الشاطئ الثانى**) على ما سوف يعانيه الشاعر أثناء عبوره بين الشاطئين .

وتمتلـئ دواويـن الأنصـارى [٩] بمثل هذه النواحى الابداعية فى الموسيقا وفى اللغة وفى التصوير ، وإنما قصدنا مجرد الإشارة إلى قطره مـن بحر زاخر لشاعر يمثل قمة شامخة فى التاريخ الأدبى للإسكندرية ، وصوتا متميزا فى الشعر العربى المعاصر .

وقد كان الأنصارى وقورا ، ومع ذلك يميل إلى حياة السهر والمرح ، تزوج سيدة ألمانية وأنجب منها ، وتزوج سيدة مصرية وصار أبناؤه منها ملء السمع والبصر ، وبالرغم من تألقه فى عالم الأدب وحضوره القوى

---

(٩) أصـدر الأنصارى ديوانه الأول أغنيات الساقية عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب ١٩٦٨ ثـم أصـدر دوانـيه (على باب الامير) ١٩٨٤ و (قرابين) ١٩٨٦ عـن منشـأة المعارف بالإسكندرية ، وكان قبل وفاته – رحمه الله – يعد ديوانا بعنوان (المواجهة) وقد صدرت أعماله الكاملة بتحقيق د. عبد الله سرور ٢٠٠٥ عـن مطـابع الفاروق في القاهرة – قدمها بدراسة بعنوان (الأنصاري شاعر الحرية والثورة) . ثم صدرت فى العام نفسه مجموعة مختارة من قصائده بعنوان (المختار من أشعار الأنصارى) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

فى مهرجانات الشعر إلا أنه واجه أزمات عنيفة لا يقوى على تحملها إلا أشد الرجال .

كان الحكم بالإعدام على ولده الأكبر طلال – فى قضية الكلية الفنية العســكرية – هــى المأســاة الرهيــبة التى زلزلته ، فكتب مجموعة من القصــائد الدامية منها قصيدة (مقاطع من قصيدة لم تكتمل) التى أشرنا إليها ، وهى قصيدة تدمى القلوب حقا ، وقد قرأها على فى شهر مارس أو أبــريل – علــى مــا أتذكــر – من عام ١٩٧٥ فى شرفة – قصر ثقافة الحــرية– ، وبكــى وهو يقرأها علىَّ وأبكانى ، وهى المرة الوحيدة التى رأيــته فيها متزلزلا متهاويا ، لكنه استعاد تماسكه وأقبل على الحياة مرة أخــرى حين خفف الحكم الرئيس الراحل محمد أنور السادات من الإعدام إلى المؤبد .

الأزمة الأخرى التى زلزلت مشاعر الأنصارى كانت قبل وفاته بعام ونصف تقريبا حين تسرب إليه خبر حصوله على جائزة الدولة التشجيعية فــى الشــعر ، ظل أكثر من أسبوع يقدم المشروبات للشعراء والأدباء ، وملائه النشوة ، وأخذ يغيظ الشعراء ، ويقول لهم إنه الشاعر الوحيد الذى جــاء للإسكندرية بجائزة الدولة ، وحين اعلنت النتائج كانت الجائزة من نصيب الشاعر سعد درويش ، وأصيب الأنصارى – رحمه الله – باكتئاب شديد بعدها ، لازمه حتى وفاته فى فبراير ١٩٩٠ .

لــم يقلــل عدم حصوله على جائزة الدولة من قيمته الشعرية ومكانته الرفــيعة ، وظل شعره شاهدا على تفرده وعلى عطائه الأدبى المتفرد ، ووضعه على قمة شامخة من القمم العالية فى تاريخ الإسكندرية الأدبى .

محجوب موسى
الأستاذ

للأســتاذية ثمن باهظ ، ولابد أن يتحلى الأستاذ المعلم بروح التضحية مــن أجــل أن يــرعى تلاميذه ، وليس من المستغرب أن يكون للأستاذ مجموعة من التلاميذ ، ولكنه يصبح ظاهرة أدبية حين يصير تلاميذه جيلا بأكمله من الشعراء ، وكذلك كان .. محجوب موسى .

إن الــزمان لا يجــود بسهولة بمثل هذا الرجل الذى رعى جيلا من شعراء الإسكندرية بدءا من أواخر الستينيات حتى الآن ، لقد بنى محجوب موســى نفسه ثقافيا حتى صارت لــه كفاءة الأستاذ المعلم ، وصبر الأب الحنون ، وحزم القائد فى الحكم بصدق على الأعمال الأدبية ، وتخصص فى واحد من أصعب فروع العلوم الأدبية ألا وهو علم العروض ، وتعمق فى دراسته حتى صار المرجع المعتمد فى هذا المجال .

ولــد محجوب محمد موسى فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ [١]فى حى القــبارى ، فــى شارع أم السلطان القديم (سابقا) ، شارع صالح مجدى (حاليا) ، وصالح مجدى أحد الشعراء المعاصرين للزعيم أحمد عرابى ، وهذا الشارع الذى ولد فيه محجوب موسى هو الشارع نفسه الذى يقيم فى أحد منازله الآن ، وقد ولد فى أسرة فقيرة ، كان والده يعمل رئيس أنفار فــى مكابس القطن بالقبارى ، وكان المكبس الذى يعمل به اسمه (وابور روسانو) نسبة إلى (الخواجة) اليونانى صاحب المكبس ، ولم ينجب والده غيره هو وأخته .

الــتحق محجــوب موســى بمدرسة الرابطة الأخوية بالقبارى حيث حصــل مــنها علــى شهادة الابتدائية القديمة ، وتوقف بعدها عن التعليم

---

(١) المعلومات عن حياة محجوب موسى مأخوذه منه شخصيا .

الــنظامى ، ولكــن كان قد حببه فى اللغة العربية أستاذه عبد المنعم أمين الفــراش ، مدرس اللغة العربية ، كان ذلك المدرس يكلف التلاميذ بكتابة موضـــوع معيــن فـــى التعبير ، ويقول : يكتب محجوب موسى فى أى موضوع يحبه ، فيكتب موضوعا يملأ الكراسة حتى آخرها ، وكان ذلك الـــرجل هو الأستاذ الأول ، أما الأستاذ الثانى فهو الشيخ إبراهيم محمود بـــائع الكتب القديمة فى أول شارع عبد المنعم ، وكان على دراية واسعة بالكتـــب وقيمتها ، ومع ذلك كان يبيعها بأرخص الأسعار رغبة فى إتاحة الـــثقافة للجميع ، ويعده محجوب موسى أستاذا لـــه ، ومنه تكونت مكتبة محجـــوب موســـى التى جمعت أمهات الكتب ، ويقول : " إن كل مؤلف يضـــيف إلـــيه معلومة جديدة هو أستاذه " ، أما قدوته فهو العملاق عباس محمود العقاد ، وتشتمل مكتبة محجوب على عدد هائل من كتب التراث ، والمؤلفـــات الحديثة والكتب المترجمة حققت له تحصيل ثقافة عريضة فى مجالات متعددة ، خاصة المجال الأدبى .

عمـــل محجـــوب موســـى فى أعمال كثيرة متنوعة ، وكان أول هذه الأعمـــال هو التطوع فى سلاح المدفعية فى شهر مايو سنة ١٩٥٢ وكان زمـــيله مصطفى الشندويلى الذى تطوع معه فى اليوم نفسه وفى السلاح ذاتـــه ، واستمر الشندويلى حتى وصل إلى رتبة المساعد ، بينما تم فصل محجـــوب موســـى لكـــثرة مشاغباته وشجاره مع الضباط بعد عامين من تطوعه .

عمـــل بعـــد ذلـــك (عطشـــجى) فى قطارات القبارى – التى تنقل البضـــائع مـــن الجمرك – لمدة ٤ سنوات ، والعطشجى هو مساعد سائق القاطـــرة ، حيـــث كانت القاطرات تعمل بالفحم ، ومهمة العطشجى هى المحافظة على التوازن بين الماء والنار فى القاطرة ، فلا يزيد الماء عن

منسوبه حتى لا يطفى النار ، ولا يقل حتى لا تنفجر القاطرة بسبب ضغط البخار .

ثم عمل محجوب موسى عاملا فى معمل شركة النشا بمحرم بك لمدة سنة واحدة .

التحق بعد ذلك بالعمل فى هيئة النقل العام ، وأراد أن يكون قريبا من الحـــركة الأدبية بالقاهرة ، لذلك التحق بوظيفة (كمسارى) بمترو مصر الجديدة ، وظل به ثلاث سنوات ، لكنه وجد نفسه فى القاهرة وليس فيها ، فإن نظام العمل والدوريات جعله لا يتمكن من الاحتكاك بالأوساط الأدبية كما كان يحلم ، وحينذاك نشر الشاعر عبد القادر حميدة تحقيقا صحفيا عن محجـــوب موسى فى مجلة الإذاعة والتلفزيون ، وتقدم محجوب بشكوى إلى المجلس الأعلى للفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة حاليا) وكان العقـــاد مقـــرر لجنة الشعر به ، بينما كان يوسف السباعى سكرتير عام المجلـــس الاعلـــى ، وطلب السباعى من محجوب موسى أن يشترك فى مســـابقة المجلـــس التى أعلنها عن التفرقة العنصرية ، فاشترك بقصيدة عنوانها (لست عبدا) يقول فيها :

وقالوا ضائع أسود   عن الأحرار فليبعـد
ليأكل ما يفوت الـ   سيد الوضاء بالمزود

وحصـــل محجـــوب موسى على المركز الأول والجائزة الأولى على مســـتوى مصر سنة ١٩٦٣ وكان لها قيمة أدبية كبرى ، ونزل الفائزون والمســـئولون لمـــدة أسبوع فى فندق وندسور بالإسكندرية ، ومعهم كبار الشعراء آنذاك : أحمد رامى وصالح جودت وغيرهما .

وقـــد حصـــل المـــرحوم محمـــد الجبار على المركز الثانى فى تلك المسابقة ، وبعد أكثر من عشر سنوات كنا نصعد سلم قصر ثقافة الحرية بالإســـكندرية ، فـــنظر عبد المنعم الأنصارى – رحمه الله – إلى الجبار

وقـــال لــــــه : (ما هذا .. هل ستصعد السلم أمام الأول ؟) وأشار إلى محجوب ، فغضب الجيار غضبا شديدا ، وكان الأنصارى يشاغب الجيار بهذا الموضوع دائما ويذكره أن محجوب موسى كان الأول فى المسابقة ، وهو الثانى .

ذكـــر يوســـف السباعى أثناء الحفل أنهم قرروا تعيين محجوب فى وظيفة بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة تقديرا لموهبته الشعرية ، فتدخل حمدى عاشور – محافظ الإسكندرية آنذاك – وقال أن الإسكندرية أولى بأبنائها ، وأعلن أنه سوف يوفر لــــه وظيفة ، وبعد انتهاء المهرجان فوجئ محجوب موسى بأنه لم يزل فى هيئة النقل العام ، فقد أمر المحافظ بتعييـــنه فى وظيفة كمسارى بترام المدينة ، ثار محجوب ، فألحقوه بعمل كـــتابى فـــى مخازن الترام بمصطفى كامل ، وظل فى هذه الوظيفة سبع سنوات ، فلما تم تعيين مدير جديد للنقل العام بالإسكندرية أمر بإعادته إلى وظيفته كمسارى .

أقيمـــت ندوة شعرية بنادى الجمارك ، وأعجب به توفيق جلال رئيس مصلحة الجمارك آنذاك ، وتوسط كامل حسنى وكان يشغل وظيفة كبرى بالمصـــلحة ، فتم نقل محجوب موسى للعمل بمكتبة الجمارك سنة ١٩٧٠ وظـــل فـــى هذه الوظيفة حتى خروجه على المعاش سنة ١٩٩٥ ، حيث حصل على الدرجة الأولى الكتابية قبل وصوله إلى سن المعاش .

تـــزوج محجوب موسى سنة ١٩٥٧ وعمره اثنان وعشرون عاما ، وأنجب ١١ طفلا ، تبقى أربعة منهم ، وله الآن سبعة أحفاد من أبنائه .

بدأ محجوب الكتابة وعمره عشر سنوات ، فكتب الأزجال والقصص القصيرة ، ثم تنامى إبداعه ، فكتب شعر الفصحى وشعر العامية والقصة والـــرواية والمسرحية الشعرية والمسرحية النثرية والدراسات ، كما كتب القصص والمسرحيات للأطفال .

حصـــل محجوب موسى على منحة من إدارة التفرغ بوزارة الثقافة ســـنة ١٩٧١ لكتابة مسرحية شعرية بعنوان (النور) ، وكانت الشاعرة روحية القلينى مديرة إدارةالتفرغ آنذاك ، وكان يعد برنامج أدب الشاطئ بإذاعـــة الإســـكندرية الذى كانت تقدمه سوسن كمال ، كما كان يرد على البريد الأدبى فى برنامج سهرة الأحد الذى كانت تقدمه عفاف المعداوى ، كذلك كان يكتب مقالا أسبوعيا فى جريدة السفير .

أشـــتهر محجوب موسى بغزارة إنتاجه الأدبى ، ورافق هذه الغزارة إهمـــال جسيم فى تجميع كتاباته وتنظيمها ، لدرجة أن إنتاجه كان عبارة عـــن عـــدة أجولـــة تمتلئ بالأوراق والكراسات والأجندات يحفظها تحت الأسرة فى منزله .

امتلك محجوب مقدرة فائقة على تحليل الشعر مما أطلق عليه " النقد التفتيـــتى " ، وكان تلاميذه يتحلقون حوله فى ندوة يوم الأحد بقصر ثقافة الحـــرية فيفتح مداركهم ووعيهم على ما فى الصياغة الشعرية من إبداع خاصة فى الشعر القديم .

وهـــو لم يختلف عن شعراء جيله وشعراء الجيل السابق له من حيث عـــدم الاهتمام بالنشر ، لكنه أفاق منذ منتصف الثمانينيات ، فاهتم بنشر أعماله ، فنشر ٢١ كتابا ، منها ١٠ دواوين من شعر الفصحى ، و اثنان من شعر العاميه ، و مسرحيتان للأطفال ، وسبع دراسات ، بالاضافة إلى أربعة شرائط من الأناشيد الإسلامية من تأليفه وتلحينه وغنائه أيضا ، وما نشره لا يمثل أكثر من قطرة من بحر إنتاجه الغزير ، وقد اختار محجوب موســـى أســـلوبا فى دراساته النقدية بحيث يكتب كأنه يتحدث إلى قارئ يجلس بجواره ، يمزح معه أحيانا ، ويثرثر أحيانا ، ويعلم أحيانا .. وهذا الأسلوب قد ابتعد بكتاباته عن المسار الجاد للكتابة النقدية ، وأفقدها الثقل العلمى الذى يجب أن يتوافر فى مثل تلك الدراسات .

وقد امتاز شعره بالقدرة على التأثير فى الجماهير ، فهو يتخير قضية ساخنة تهم الناس ، أو يمس مشاعرهم بالمعنى المؤثر .. يقول فى إحدى قصائده :

لأجل الدموع التى ...
لا تسيل سوى فى الجلائل
لأجل الحمائم زغب الحواصل
وعش صغير ..
يصارع عصف الزلازل
مر الخبز يا رب ...
ألا يفارق سلة بيتى [1]

جمـــع محجوب موسى بين الدموع الغالية التى لا تسيل إلا إذا حدث أمـــر جلـــل ، وبين الأطفال الصغار الآمنين الضعفاء ، وبين البيت الذى يواجـــه أحداثا لا يقوى على احتمالها .. وجعل ذلك كله وسائل يتشفع بها كى يطلب من الله – عز وجل – طلبا عظيما – وإن كان يبدو بسيطا فى ظاهره – ذلك الطلب هو الستر وعدم الحاجة ، فتكون سلة الخبز فى بيته ممتلئة دائما ، ولا تخلو من الخبز أبدا .

هكـــذا يلـــتقط محجـــوب موسى مفردات الحياة البسيطة التى تحقق شعرية عالية فى النص ، بما تحمله من رصيد شعورى كبير لدى المتلقى.

والرمـــز عنده واضح ، لكنه عميق الدلالة أيضا ، فيقول على سبيل المثال :

منديل ديدمونة
قميص يوسف ..

---

(1) محجوب موسى – أحجية بسيطة – المركز القومى للفنون والآداب ١٩٨٧- ص ٥ .

كلاهما من القماش ..

إنما ... [1]

ويمـــتاز شـــعره الـــذى يعتمد على الفكر بوضوح الدلالة أيضا ، مع الاهتمام بنمنمات التصوير التى تشبه قطع الأرابيسك المتشابكة ، يقول فى قصيدة السر :

كل شئ فى الحديقه
الشذا عطر نبى
خضرة الأغصان حضن سندسى
الورود البكر طير يتضوع
الطيور الخضر ورد يترنم
وشوشات النسمة العذراء
كف تتخلل
خصل الأشجار فى ربت منغم
الغدير الرائق الرقراق منجم
كل شئ يتجمل
كل شئ فى الحديقة
وأنا أرنو ..
وراء العشب و الحصباء للجوف السحيق
يتشظى من زحير الجمجمة
(أيها الجذر الذى ... يمتص من عينى البريق
يلعق الحرف إذا بض اللسان
آه لو اطلقتنى طرفه عين
كنت أعلنت الحقيقة
كنت أعلنت الذى .. تخفى الحديقه) [2]

---

(1) محجوب موسى – أحجية بسيطة – ص ٧٤ .

(2) محجوب موسى – بساطة – مطبوعات نادى الجمارك بالإسكندرية ١٩٧٣ – ص ١٠ ، ١١

ويظهر أثر قراءات محجوب موسى فى الآداب العالمية فى شعره ، كما تظهر ثقافته الإسلامية ، بل إن كثيرا من قصائده يتخذ من الاتجاه الإسلامى سبيلا ، مثال ذلك قوله :

ولكن سيأتى زمان سخى
له نفحات كعطر نبى
سيأتى إذا جاء جيل تقى
فهل تتقون ؟ [١]

وتوجد لديه معان دينية كثيرة فى شعره .. كقوله :

حياة كسل العظام
وعيش كدع اليتيم [٢]

وكتب محجوب موسى الومضات الشعرية ، وهى قصائد قصيرة جدا .. منها قوله :

سلنى عن الحب إنى
به عليم .. عليم
الحب : نرحل عنا
وفى الحبيب نقيم

وتتجلى مقدرة محجوب الشعرية فى تلك القصائد التى تتوافر فيها الحركة والتصاعد الدرامى والتصوير المتفرد ، وتشكل فى الوقت نفسه تجربة إنسانية مؤثرة ، وتعد قصيدة (جزاء) من النماذج الطيبة فى هذا المجال ، يقول فيها :

رأيتك فرخا زغيبا طريا
يشير اليا

---

(١) محجوب موسى – أحجية بسيطة – ص ٤٢ .
(٢) بساطة – ص ١٥ .

أغثنى .. هيا
أخذتك تحت جناحى
إلى الدفء والمرحمه
وللمسة المكرمه
وضعت بمنقارك الهش
حبة عينى .. وحبة قلبى
جدلت لك العش
قشة ود .. وقشة حب
ورقرقت ريك : ماء جفونى
وأسدلت حولك شوق عيونى
ورحت أعيشك
فى كل ثانية ولميحه
وأنت تزيدين قدر قميحه
فقدر قميحه
إلى أن تغطى جناحاك بالريش
ثم انثنيت
تطيرين عنى
تطيرين عنى
تطيرين ... حتى اختفيت

إن شـــعر محجوب موسى يحتاج إلى وقفة نقدية متأنية تعطية حقه ، ولكـــن قـــبل ذلك هو مسئول عن تجميع شعره الكثير جدا ، ومسئول عن فرزه وتقسيمه فى دواوين مخطوطه ، حتى ينقذ إبداعه من الضياع .

ويتـــبقى ان نقول إن محجوب موسى كان من الممكن ان يحقق كثيرا مـــن الشـــهره والوجـــود الاعلامى لو أنه اهتم بنفسه اكثر ، لكنه اختار التضـــحية – راضيا – كى يعلم الشعراء الشبان فى الإسكندرية ويرعاهم

فى بداياتهم ، لكن تضحيته لم تذهب هباء ، فإن جيلا – بأكمله – يدين له بالعــرفان والتقدير ، ويراه الأستاذ المعلم ، الذى كان ظاهرة أدبية فريدة فى الإسكندرية ، لمن أحاط به الشعراء ، يذكرون له فضله الذى لا يمكن تقديــره حــتى بأثمــن الأشياء ، ولا يعادله غير العرفان بالجميل ، ومن تلاميذه الذين يدينون لــه ، ويقدرون لــه أستاذيته : كاتب هذه السطور ، وفهمــى ابراهيم وعبد المنعم سالم وأحمد فضل شبلول وعبد الرحمن عبد المولــى ، ومرســى توفــيق وأحمد محمود مبارك وناجى عبد اللطيف ومحمــود عــبد الصمد زكريا ونجوى السيد وسامح درويش ووفاء جابر ورأفت رشوان وهدى عبد الغنى .. وغيرهم وغيرهم .

لذلك ظل نور محجوب موسى مستديما .. وظل هو نفسه نجما مضيئا فى سماء الشعر .

فؤاد طمان

ربان .. فى بحور الشعر

خـــاض مسيرة طويلة مع الشعر ، مكتشفا ما تحويه بحوره من رياح وعواصـــف وأنـــواء ، وما تطلقه شطآنه من نسائم ونوارس تحكى عن عشاق البحر روايات تتقلب أحداثها بين الانكسارات والانتصارات ، ملأ صـــوته الجهـــورى مهـــرجانات الشعر فى الإسكندرية منذ الستينيات ، واتسعت دوائر تواجده الأدبى حتى صار وجها شعريا معروفا على امتداد الـــبلاد العربـــية الشرقية منها والغربية .. وصار إذا ذكرت الإسكندرية الشاعرة لابد أن يذكر .. فؤاد كمان .

ولد فؤاد طمان بالجيزه فى ٣ ديسمبر[١] سنة ١٩٤٣ وانتقل فى العـــام التالى مع أسرته إلى الإسكندرية حيث نشأ فيها وتعلم فى مدارسها [٢] وشـــهدت جنباتها ذكريات طفولته ببراءتها وجمالها ، وشهدت حالات العاشـــق بيـــن اليأس والأمل وإرهاصات الشعر ، وشهدت جنباتها أيضا أحلام فتى فى حياة مشرقة عاطرة .

حصـــل فـــؤاد طمـــان على ليسانس الحقوق جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٥ ثـــم تخرج فى الكلية الحربية فى مايو ١٩٦٧ وعين نائبا للأحكام ثم عضوا بالقضاء العسكرى بالقوات البحرية حيث تدرج فى هذا السلك، فعمل محققا ، فممثلا للنيابة العسكرية ، فقاضيا بمحاكم الميدان ، فمحكما للقـــوات الـــبحرية ، فرئيسا للفتوى والتشريع ، فمستشارا لقاده القوات ،

---

(١) هل هناك صلة ما بين شهر ديسمبر وميلاد شعراء الإسكندرية المعاصرين ؟ فؤاد طمـــان وصـــبرى أبوعلـــم (٣ ديسمبر) محمود العتريس وفوزى خضر (٥ ديســـمبر) نجوى السيد (٢١ ديسمبر) جابر بسيونى (٢٦ ديسمبر) محجوب موسى (٣٠ ديسمبر) .

(٢) المعلومات عن حياة فؤاد طمان مأخوذة منه شخصيا .

وممــثلا لوزيــر الدفاع فى وفد مصر بالأمم المتحدة فى مؤتمرات قانون البحار .

كــل ذلــك وهو لم يبلغ الأربعين من عمره ، فقد استقال عام ١٩٨٢ وهــو برتبة العقيد البحرى ، ويطفو سؤال ملح على سطح الأفكار : هل كــان تفانــيه فى العمل فى سلك القضاء العسكرى معوقا لمسيرته الأدبية ومعطلا لتنامى تجربته الشعرية ؟؟

ربمــا كــان تركيز الطاقة فى القضاء قد أثر إلى حد ما ، ولكن فؤاد طمان – كان دائما – مرتبطا بالحركة الشعرية ، متابعا لها ، وكان بعض أصــدقائه مــن الشــعراء يلتقون معه حيث يدور الحديث حول الشعر ، وكثــيرا ما كنت أقابل الشاعر سامح درويش عام ١٩٧٨ فى مكتبه بدار القضاء العسكرى البحرى فى شارع مصطفى كامل ببولكلى ، وقد تحولت تلــك الــدار إلى نادى القضاة الحالى ، فكان كل منا ينشد شعره ونتناقش ونتحدث فى أمور شتى .

تفــرغ فؤاد طمان للعمل بالمحاماة بعد خروجه من القوات البحرية ، وقــد مر بفترة أخرى من التركيز فى عمله حتى يمكنه النجاح فى العمل الحــر ، وبعــد ذلك عاد يظهر فى مهرجانات الشعر والمنتديات الأدبية واللقاءات الثقافية ، ومثل مصر فى مؤتمرات ومهرجانات الشعر العربى فى سورية ولبنان والمغرب والجزائر والكويت والسعودية والبحرين وهو الآن مستشــار دار الموســوعات العربــية بباريس لشئون الشعر العربى المعاصــر ، والمستشــار الــثقافى لجريدة المنصة العربية بنيويورك ، والمستشار القانونى لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين .

* * *

حصــيلة الشــاعر فؤاد طمان – حتى الآن – ستة دواوين أصدرها على نفقته الخاصة وبيانها كالآتي :

أغنيات على شواطئ الحب	١٩٧٣
زهور لحبيبتى	١٩٧٥
أوراق الحب الضائع	١٩٨٠
بيروت تحت الحصار	١٩٨٥
أوراق الرحلة المرجأة	١٩٩٥
مدى للورد والرصاص	٢٠٠١

وقد مرت التجربة الشعرية عند فؤاد طمان بثلاث مراحل نمت خلالها قدراته الفنية وهذه المراحل هى :

❖ **المرحلة الرومانسية** :

كانت هذه المرحلة بدايات التجربة ، وباح بصفحاتها الأولى ديوانه (أغنيات على شواطئ الحب) الذى كان اسما على مسمى ، فقصائده راقصة الايقاع كأنها أغنيات تغنى ، تمتزج فيها الطبيعة متمثلة فى البحر ومفرداته ، لتعبر عن تجارب حب خاضها الشاعر ، وقد اتضح تأثره بالبيئة البحرية التى تحمل تفاصيلها مدلولات ترتبط بتجربة الشاعر ، ولعل قصيدة (الضوء الغارب) من الأمثلة الواضحة على ذلك .. يقول فيها :

مازلت وحيدا .. وشراعى
مازالت تجرفه الأنواء
الدهشة فى عينيك .. فهل
مما فى وجهى من إعياء
أم من حبى المهزوم الصامد
فى وجه الريح الرعناء [1]

وتتجلى الرؤية الرومانسية فى نهاية القصيدة حيث يقول :

([1]) فؤاد طمان – أغنيات على شواطئ الحب – ١٩٧٣ ص ٧ .

تبكين وأبكى .. من منـــا
خذلته الأيام العمبـــاء ؟
الشط الدامع منتظـــــر
ونشيج الأمواج الزرقـــاء
وأنا أتملى الضوء الغارب
يشرد فى صفحات الـماء (١)

يتضح امتزاج مفردات البحر بتجربة الحب عند الشاعر وتبرز الفاظ ترتـــبط بالبحر ارتباطا وثيقا مثل (شراع – تجرفه – الأنواء – الريح – الشـــط – الأمواج – الماء) وقد استطاع الشاعر توظيفها فى التعبير عن تجربته .

❖ **المرحلة الواقعية :**

انتقل شعر فؤاد طمان إلى المرحلة الواقعية ، وربما دفعه إلى ذلك ما انطلقـــت إلـــيه تجربته من موضوعات وطنية تجلت فى ديوانه (أوراق الرحلة المرجأة) فيقول فى قصيدة لا مفر :

العسس
يجوب المدينة
والأمهات يناشدننا
فى ليإلى العواصف
أن نحترس
هنالك يحفر جلادنا قبركم
وهنا موكب العيد
قد آن أن تقصدوا وجهة
قبال أن تذبحوا فى اماكنكم كالخراف (٢)

---

(١) فؤاد طمان – السابق – ص ١١ .
(٢) فؤاد طمان – أوراق الرحلة المرجأة – مطابع السفير بالاسكندرية ١٩٩٥ – ص ٢٧، ٢٨ .

ويقول من الديوان ذاته فى قصيدة بعنوان مرثية لامرأة عربية :

ولا تجدين يوم الهول
لا تجدين
رجالاً يعرفون متى
يكون الموت .. اغنية نغنيها
ونفتح باسمها الفردوس
بعد سنين
لماذا أنت مشرقة ومظلمة
وضاحكة .. وباكية
وآمنة .. ونائمة على السكين
لماذا كلما اقتربت خطاك
أراك تبتعدين [1]

هكـذا تحـول فـؤاد طمان إلى الاتجاه الواقعى فى الشعر وان كان اسـتفاد مـن تجربـته الرومانسية حيث تبدى ذلك فى بعض التعبيرات والصور الفنية .

ونلاحظ أن قدره الشاعر فى هذه المرحلة على رسم الصورة الفنية قد نضـجت كثـيرا عن المرحلة الفائتة ، فيقول – على سبيل المثال – فى قصيدة (لوحات من مدن الحب والهزيمة) :

أقود الأعاصير ... أركب موج الجنون
إلى ساحة الموت بعد أنحسار النهار
على الدرج المتعفن ألقى النياشين
ألقى على الملأ الأسئله
أموت على درج المقصله [2]

ويقول فى قصيدة (العودة من مملكة الماء) :

---

(1) السابق – ص ٤٧
(2) السابق – ص ٨٤

نترك البحر مؤتزرين ثبوت القتال غدا .. ونيمم شطر
مدينتنا من جديد .. فقومى .. وصلى بمملكة الماء .. تلك الصلاة
الأخيرة قبل رحيل السفين [1]

ثم يقول فى القصيدة نفسها :

فى غد ينتهى مهرجان الصباح الجميل ، ونبحر نحو المنار الحزين
ثم نعبر باب زويلة تحت حراب المماليك ، نرجع للطرق الضاريات ونرجع
للصحف الخائنات .. نعود نخوض زحام المدينة ، تفجأنا الراقصات بأوسمة
النيل ، والأمهات اللواتى فقدن بمجراه أطفالهن (يلحن بثبوت الحداد
الممزق) والأغوات الذين يجيدون نظم المديح ولا يقرأون الخرائط فى الريح
.. لكنهم يعرفون متى ينحنون

سنعود نخوض زحام المدينة ، تدفعنا العربات الخيول البنادق ، نحو
الجسور [2] (ص ٩٢) .

نلاحظ أن الشاعر قد اقتحم شكل القصيدة المدورة فى هذه المرحلة حيث تتوإلى الصور الفنية ، وتعلو الموسيقا فى قصيدة مفعمة بالأحاسيس الفياضة .

ويتدفق الشعر مفعما بالصور والموسيقا الرائقة والمشاعر المتأججه فى قصيدة (مرايا السر) فيقول :

أنظرى :
ها هو الموج يلطم وجه الصخور
من البدء .. لكنها لم تجب
وأنا اتسلل كل مساء خلال الجذوع
لأشرب نخب الشموس التى

---

(1) السابق – ص ٩٠

(2) السابق – ص ٩٢

تتجلى لعشاقها فى ليالى التعب
كان فى الغاب
من ضيع العمر مثلى
يبحث عما بحثت .. وما بعد
غير انى لا أستطيع الرجوع [1]

وتلح على الشاعر صورة المرأة التى تسير حافية القدمين فى الحدائق وعلى الروابى كأنها تتوحد مع الطبيعة .. فيقول :

كيف يامن تسيرين آمنة
فى الروابى البعيدة
حافية بين زهر الألق
كيف لا يعتريني القلق ؟ [2]

وقـــد تبدى فى هذه المرحلة تفرد الشاعر فؤاد طمان وقدراته الشعرية الحافلـــة بالعطاء ، مما أتاح لـــه الانتقال بعد ذلك إلى مرحلة تجلى فيها الشعر بمعطياته الفنية والإنسانية .

❖ **المرحلة الإنسانية** :

أقصد بها تلك المرحلة التى يصل فيها الشاعر إلى كتابة قصيدة تعبر عن تجربة يمكن أن يعيشها الإنسان فى أى زمان وفى أى مكان .

وقد تجلت تلك المرحلة فى ديوان (مدى للورد والرصاص) وتوجد فى هذا الديوان تجربة انسانية فى غاية العذوبة والسمو ، تهز القلب هزا ، وتنســـاب فـــى مشـــاعر المتلقى فتلونها بما تحمله من ألوان تتجلى هذه الـــتجربة فى قصيدة (الشمس تشرق فى مريوط) التى يفتتح بها الشاعر فؤاد طمان ديوانه حيث يقول :

---

(1) السابق ص ٧٠
(2) السابق ص ٧٢

هذى إذن " مريوط "
قوس فى السماء ملون
ومدى من الورد الجميل
وبعض أمطار على الشباك
باقية من الليل المولى .. والطيوب
من كل ناحية ترفرف
بينما وجه يلوح على الغمام
فلا يجئ .. ولا يغيب [1]

يصف فؤاد طمان جمال كنجى مريوط ، ويصف حديقته التى يستمتع بما فيها من طبيعة خلابة ، ثم يقبض على لحظة إنسيانية غالية ، تقف فيها الحياة أمام الموت لتبعده من ساحتها ، إن الشاعر – فى لحظة – يتذكر الريح التى تنشق عن خيول الموت التى تخطف الأحباب وتمضى بهم بعيدا ، لكن ضحكات أبنتيه الجميلتين تجعله لا يقدر على أن يذكر ذلك ، وقد استطاع الشاعر أن يعبر عن تلك الأفكار بشعر فى غاية العذوبة ينطق الصدق فى حروفه ، وينساب ماء الشعر فى مقطع يتجلى فيه لب التجربة ، لذا يصعب اجتزاء قدر منه .. يقول فيه :

لى طفلتان ..
تحلقان من السماء إلى شطوط القلب ..
واحدة إذا هلت
فعرس للربيع يهل
أزهار وفاكهة ولحن حالم وشذا يضوع
ونسمة تحى القلوب

[1] فؤاد طمان – مدى للورد والرصاص – مطابع السفير بالاسكندريه ٢٠٠١ – ص ١١ .

تهب من عليا الجنان
وبنية أخرى لها غمازتان
فتحت لها طرق القلوب ..
عذوبة الهمس الموقع
ثم أحكمت الرتاج البسمتان
وإذن ..
لماذا تظلم الدنيا أمامى فجأة
ويحط طير – مغلقا باب الشموس –
بريشه الكابى الكئيب ؟
وحبيبتاي جميلتان
عليهما ختمت يد الرحمن
حافيتين فى التل الشفيف
إلى تنحدران
من قمر إلى قمر .. وتنسلان
للقلب الجزوع
فإن هممت بفض سرى
تضحكان ... وتضحكان
فكيف أحكى عن خيول الموت ؟
والريح التى تنشق عنها فجأة ..
فتلم من نهوى
وترحل فى الغيوب [1]

وتمضى القصيدة إلى نهايتها على هذا المستوى من الهمس الشفيف ، المفعم بالمشاعر الفياضة والفكر العميق والجماليات الفنية دون مغالاة .

---

(1) السابق – ص١٢ ومابعدها .

إن قصـــيدة (الشمس تشرق فى مربوط) تقف بجدارة فى رأيى فى مصـــاف الشعر العالمى ،وهى واحدة من عيون القصائد لما اشتملت عليه من عطاء رفيع على عدة مستويات ، نجملها فى الآتى :

١- **علـــى المســـتوى الانسانى :** لمس الشاعر حالة يمكن أن يعيشها الانســـان فى أى زمان وفى أى مكان حين يصير أبناؤه دافعا للدخول فى بهجة الحياة وطرد شبح الموت ، وحين يرى أطفاله أجمل ما فى الحياة ، وهى حالة يعيشها الإنسان فى المجتمعات البدائية كما يعيشها الإنسان فى أرقى المجتمعات ، ولازمت البشرية منذ وجودها على ظهر الأرض منذ آلاف السنين ، وتمس الإنسان فى أدق مشاعره .

٢- **على المستوى الفكرى :** الفكرة الشاملة للحياة تستدعى التفكير فى المـــوت ، حيث تكتمل دورة الوجود (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) [1] كذلـــك اتضحت الفكرة شاملة حين بدأ الشاعر قصيدته بوصف جمال الطبيعة الأخاذ ، ثم انتقل إلى الحديث عن جمال الوجود متمثلا فى ابنتيه الجميلتين بوصفهما أغلى مافى الحياة وحينذاك برزت فكرة الموت ، حيث تهاجم الانسان أحزانه التى يخفيها عن أحبابه ، ويحاول النزول إلى زحـــام المديـــنة كى ينسى شبح الموت ويتفاعل مع أمواج العلاقات كى تستمر الحياة ، ثم يعود إلى أسرته وهو مقبل على الدنيا وإن كان لم يزل يشـــعر فـــى داخلـــه بظلال الخوف من الموت ، ولكن تصير الحياة هى الأقوى ولهذا يكتب لها الاستمرار .

٣- **علـــى المســـتوى الفنى :** تمتاز القصيدة ببناء محكم تتنامى فيه الفكـــرة ، وتمـــتاز بصـــور فنية يمكن تخيلها ، واعتمد – بتعبير البلاغة

---

[1] سورة الروم – الآية ١٩ .

القديمـــة – علــى المحســنات البديعية المعنوية ، وابتعد عن المحسنات البديعية اللفظية ، وبذلك صارت ترجمتها إلى أية لغة من اللغات لا تفقدها جــزءا من جمالياتها إذ لم يعتمد الشاعر على جماليات الألفاظ من جناس وغيره ، حتى التكرار الذى جاء به مثل قوله :

سأمضى للمدينة عابرا قوسا إلى قوس

أو قوله :

إلى تنحدران من قمر إلى قمر .

هــذا الــتكرار لا يفقد ما فيه من جمال لفظى لأنه يحتفظ بما فيه من جمال – اذا ترجم – إذ يتكرر اللفظ فى اللغات الأخرى أيضا .

لا أظن أن الشاعر فؤاد طمان وضع أمام ناظرية إمكانية ترجمة مثل هــذه القصيدة أثناء كتابتها ، لكن طبيعة القصيدة جاءت بمعطياتها تلقائيا وعفويــا دون قصد ، فإن القصيدة التى يتوفر فيها الابداع تجمع اطرافها وتــتخذ لهــا ملامح مختلفة عن غيرها من القصائد ، وتختط لها مسارا مخــتلفا عــن مسارات القصائد الأخر وإن كانت تصب جميعها فى بحر الشعر العظيم .

لا يمــيل فــؤاد طمان فى أعماله الحديثة إلى الفن الصاخب فلا نجد تفعــيلات حادة تدمدم فى جنبات القصيدة ، ولا نجد صورا فنية صادمة ، ولكــن تلاقينا موسيقا هادئة متنوعة النغمات ، فنجده فى قصيدة موسيقى الحــزن والفرح – على سبيل المثال – من ديوان مدى للورد والرصاص يســتخدم الــبحر البسيط فى شعر التفعيله معتمدا على وحدته الموسيقية (مستفعلن فاعلن) فيقول :

أصغى إلى البحر ..

أصغى للتراتيل

....

الصوت صوت الصبا
صوت الصبايا اللواتى بحن لى
علمننى الحب فى الفجر البديع
وكم غنين لى .. وله
رسمن بالقبل البيضاء فى زمنى
أفقا من الفرح الفواح
ها أنذا وحدى على الشط
شوق القلب منهمر عبر الليالى
وما جفت مناديلى [1]

وكذلـــك تلاقيـــنا صور هادئة ، لا زعيق فيها ولا مفاجأة تصويرية ، وإنمـــا هـــى تتســـاب انسياب الماء الرائق فى جدول جديد ... فيقول فى قصيدة (الياسمينة) من ذات الديوان :

أيقظت قلبى فى الليل المولى الياسمينه
آه يا أجمل اشجارى التى
تفتح جنياتها الليل
على خدر الغزالات الجميلات
وموسيقا السماوات البعيدات
وأنهار من الخمر التى
تسبح فيها الحور
من شط إلى شط .. عرايا (ص٧٥)

وهذا لا ينفى وجود تفعيلات صاخبة أحيانا ، ولا ينفى وجود صور صـــادمة ، ولكن السمة الغالبة على قصائده الحديثة هو هدوء الموسيقا ، وانسيابية العبارات المفعمة بالشعر .

---

(1) فؤاد طمان – مدى للورد والرصاص – ص ٩٢ .

إن رحلـــة الشاعر فؤاد طمان الفنية رحلة ثرية ، أضافت الكثير إلى ديـــوان الشعر فى الإسكندرية ، وكانت لتجربته خصوصيتها فهو شاعر بحـــار ، عـــاش البحر بحالاته المختلفة من هدوء وعنفوان ، ومن طاعة وعناد ، وهو شاعر مقاتل ، لذلك تشكل قاموسه من كلمات لازمته خلال دواوينه ، وأضيف إلى هذا القاموس الشعرى ما وهبته إياه مراحل تجربته الفنية ، واحدثها معايشته الحميمة للطبيعة ومفرداتها ومكوناتها من خلال حديقته الخاصة ، وبالرغم من أن الشاعر يتفاعل مع الطبيعة فى كل مكان إلا أن الحديقة الخاصة تشغل فى النفس موقعا لا ينافسها فيه شئ .

لقــد اســتطاع فــؤاد طمـــان أن يقدم تجربة شعرية غنية بأبعادها الانســـانية والفكـــرية والفنـــية ، ورفع اسم الإسكندرية عاليا فى المحافل الاقليمية والدولية ، واتخذ مكانه فى التاريخ الأدبى للثغر نجما مضيئا فى سماء الشعر .



المصادر والمراجع :

١- ابن تغرى بردى الأتابكى (جمال الدين أبوالمحاسن يوسف) – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – د.ت .

٢- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد) – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – تحقيق د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – د.ت .

٣- أحمد حسين – موسوعة تاريخ مصر – دار الشعب – ١٩٧٨ .

٤- أحمد خضر (بالاشتراك) – الشاعر أحمد السمرة المبدع والمفكر – مطبوعات قصر ثقافة الأنفوشي – د.ت .

٥- أحمد السمرة – انسام وأنغام – الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب – الإسكندرية – د.ت.

٦- د. أحمد عتمان – الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى – دار المعارف – ١٩٩٥ .

٧- د. أحمد عتمان (بالاشتراك) – كتاب أبحاث مؤتمر كاليماخوس – بحث بعنوان : كليماخوس شاعرا حداثيا – مركز الإسكندرية للابداع – ٢٠٠٣ .

٨- توماس بلفينش – عصر الأساطير – ترجمة رشدى السيسى – مراجعة د.محمد صقر خفاجة – دار النهضة العربية بمعاونة المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – سلسلة الألف كتاب (الأولى) – ١٩٦٦ .

٩- جورج سارتون – تاريخ العلم – ترجمة لفيف من العلماء – دار المعارف – ط ٢ – ١٩٧٩ .

١٠- د. حسين نصار - ظافر الحداد شاعر مصرى من العصر الفاطمى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ .
١١-سناء الجبالى - الإسكندرية الشعر والشعراء - مكتبة بستان المعرفة - ٢٠٠٣ .
١٢- د. شوقى ضيف - دراسات فى الشعر العربى المعاصر - دار المعارف = د.ت.
١٣-ظافر الحداد - ديوان ظافر الحداد ابن الإسكندرية - تحقيق د. حسين نصار - مكتبه مصر - ١٩٦٩ .
١٤-عبد العال الحمامصى - البوصيرى المادح الأعظم للرسول - دار المعارف - ١٩٧٨ .
١٥-عبد العليم القبانى - انطلاق - الإسكندرية - ١٩٨٩
١٦-عبد العليم القبانى - رواد الشعر السكندرى فى العصر الحديث- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٢ .
١٧-عبد العليم القبانى (بالاشتراك) - الشاعر السكندرى عبد المنعم الأنصارى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ١٩٩١ .
١٨-عبد العليم القبانى - عبد الحميد السنوسى - هيئة الفنون والآداب- ٢٠٠٢ .
١٩-د. عبد الله سرور عبد الله - اتجاهات الشعر السكندرى فى النصف الأول من القرن العشرين - دار المعرفة الجامعية - ١٩٨٥ .
٢٠-د. عبد الله سرور - الأنصاري شاعر الحرية والثورة - مطابع الفاروق بالقاهرة - ٢٠٠٥ .

٢١ عـبد المنعم سالم (إعداد) – إبداعات سكندرية – الهيئة العامة لقصـور الـثقافة – مطبوعات مؤتمر أدباء مصر فى الأقاليم – ٢٠٠٢ .
٢٢–فـؤاد طمـان – أغنـيات على شواطئ الحب – الإسكندرية – ١٩٧٣ .
٢٣–فـؤاد طمـان – أوراق الـرحلة المـرجأة – مطـابع السفير بالإسكندرية – ١٩٩٥ .
٢٤–فـؤاد طمـان – مـدى للـورد والرصـاص – مطابع السفير بالإسكندرية – ٢٠٠١ .
٢٥–د. فوزى سعد عيسى – ابن زهر الحفيد وشاح الأندلس – منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٨٣ .
٢٦–د. فوزى محمد أمين – الحركة الفكرية والأدبية فى الإسكندرية فى القرن السادس الهجرى – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ٢٠٠٢ .
٢٧–د. لطفـى عـبد الوهاب (بالاشتراك) – كتاب أبحاث مؤتمر كلـيماخوس – بحـث بعـنوان : عصـر كليماخوس – مركز الإسكندرية للإبداع – ٢٠٠٣ .
٢٨–د. مـاجدة الـنويعمى (بالاشـتراك) – كـتاب أبحاث مؤتمر كليماخوس – بحث بعنووان : كليماخوس والشعراء الرومان – مركز الإسكندرية للابداع – ٢٠٠٣ .
٢٩–مجموعـة من الباحثين – اللغة الفنية – ترجمة وتقديم د. محمد حسن عبد الله – دار المعارف – ١٩٨٥ .
٣٠–محجـوب موسـى – أحجـية بسيطة – المركز القومى للفنون والآداب – ١٩٨٧ .

٣١-محجـوب موسـى - بسـاطة - مطـبوعات نـادى الجمارك بالإسكندرية - ١٩٧٣ .
٣٢-د. محمد حمدى إبراهيم - الأدب السكندرى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٥ .
٣٣-د. محمـد زكـريا عنانى ود. سعيدة محمد رمضان - دراسات ونصوص فى أدب مصر الإسلامية - الإسكندرية - ١٩٨٨ .
٣٤-د. محمد زكى العشماوى - أزمنة فى زمان - بيروت- ١٩٩٦.
٣٥-د. محمد زكى العشماوى - أغنية فى غابة مشتعلة - الإسكندرية - ٢٠٠٠ .
٣٦- د. محمد زكى العشماوى - دراسات في النقد الادبى المعاصر - الدار الأندلسية - الإسكندرية - ١٩٨٨ .
٣٧-محمد عبد المنعم الأنصارى - المختار من اشعار الأنصارى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٥ .
٣٨-د. محمد مصطفى بدوى - كولردج - دار المعارف - ١٩٥٨ .
٣٩-د. محمد مصطفى هدارة (بالاشتراك) - محمد زكى العشماوى إبداعـا وفكرا - الهيئة العامة لقصور الثقافة - الكتاب التذكارى - ١٩٩٦ .
٤٠-محمـود العـتريس - أصـداف من شاطئ الفيروز - الملتقى المصرى للابداع والتنمية - ٢٠٠٠ .
٤١-محمـود العتريس - باب المدينة - الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب - الإسكندرية - ١٩٧٢ .
٤٢-د. مصـطفى العـبادى - مكتـبة الإسـكندرية القديمة سيرتها ومصـيرها - مركز مطبوعات اليونسكو ٠ القاهرة - ط ٢ - ٢٠٠٠ .

٤٣-نقـولا يوسـف أعلام من الإسكندرية – الطبعة الأولى : منشأة المعـارف بالإسـكندرية ١٩٦٩ – الطبعة الثانية الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة – ٢٠٠١ .

٤٤-يوسـف فهمـى الجزايـرلى – سـكندريات – سلسلة كراسات الإسكندرية – بإشراف المهندس رداميس اللقانى – الإسكندرية – ١٩٧٣ .

دوريات :

١- مجلـة أمـواج – قصر ثقافة الحرية – الإسكندرية – أكتوبر – ١٩٧٩ .

٢- مجلة الثقافة الجديدة – مصر – العدد ١٥٠ – اكتوبر ٢٠٠٢ .

٣- مجلة عالم الفكر – الكويت – ١٩٩٤ .

٤- مجلة الكلمة المعاصرة – إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافى – العدد السابع – مايو ١٩٩٩ .



الموضوع الصفحة

الفصل الثالث

صدر للمؤلف

أولا : دواوين شعر

١- أغنية لسيناء (مشترك) – هيئة الكتاب ١٩٧٥
٢- الترحال فى زمن الغربة – المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٤
٣- من سيمفونية العشق – المجلس القومى للفنون والآداب ١٩٨٥
٤- فصل فى الجحيم – هيئة الكتاب ١٩٨٥
٥- ولهية إلى الإسكندرية – مديرية الثقافة بالإسكندرية ١٩٨٨
٦- النيل يعبر المواسم – هيئة الكتاب ١٩٩١
٧- قطرات من شلال النار – هيئة قصور الثقافة ١٩٩٣
٨- مسافات السفر – المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦
٩- من سيرة الجواد المعاند – هيئة الفنون والآداب ١٩٩٨
١٠- أمواج فى بحر الحروف – اتحاد كتاب مصر ٢٠٠٢
١١- بركان يركض – هيئة الكتاب ٢٠٠٢
١٢- مكابدات – هيئة الكتاب ٢٠٠٢

ثانيا : دراســات

١- إطلالة على الشعر السعودى المعاصر – نادى جازان الأدبى – السعودية ١٩٨٥
٢- أحمد بن ماجد أسد البحار – دار المعارف ١٩٩٥
٣- مبادئ العروض – مطبوعات أصوات معاصرة ١٩٩٧
٤- زرياب عبقرى النغم – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٨
٥- أعظم الكتب العربية (٥ كتب) – المكتب العربى للمعارف ١٩٩٨
٦- فهد العسكر – مكتب ومطبعة الغد ١٩٩٨

٧- شمس الاسلام تشرق فى البلاد – الدار الثقافية للنشر ٢٠٠٠

٨- شاعرات الإسكندرية – هيئة الفنون والآداب ٢٠٠٢

٩- ابن زيدون – الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٢

١٠- عناصر الابداع الفنى فى شعر ابن زيدون ط٢ – مؤسسة البابطين – الكويت ٢٠٠٤

١١- عناصر الإبداع الفنى فى شعر ابن زيدون ط١- هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٤

ثالثا : للأطفـــــال :

قصــص :

١- عمر المختار – ط ١ – دار الشرق – دولة قطر ١٩٨٩

ط ٢ – المكتب العربى للمعارف ١٩٩٧

٢- صقر قريش – ط ١ – دار الشرق – دولة قطر ١٩٨٩

ط ٢ – المكتب العربى للمعارف ١٩٩٧

٣- الصوت الغريب – ط ١ – دار المعارف ١٩٩٤

ط ٢ – دار المعارف ١٩٩٧

٤- نوابغ العرب فى الطب (١٠ كتب) – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٨

٥- مخترعات عربية (٦ كتب) – الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨

٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب – جـ١ – رابطة الأدب الإسلامى العالمية ١٩٩٩

مسرحيات :

- مسرحيات قصيرة (٨ كتب) – دار أطفالنا للنشر ٢٠٠٣



رقم الإيداع :١٩٧١١/٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 9- 594- 327- 977

مــع تحــيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية
dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com
http:/ www.dwdpress.com